النُخْب الاجتماعية
فى مصر

الناشر

رئيس مجلس الإدارة
أسامة إبراهيم

المدير التنفيذي
سماح الجمال

المدير الفني
أحمد جابر

تصميم الغلاف
مصطفى الدناصورى

دار النخبـة
للطباعة والنشر والتوزيع

٣٣ شارع السنترال - المجاورة الأولى
- الحي الأول- مدينة الشيخ زايد -
الجيزة - مصر

تليفون: ٣٨٥١١٩٦٩ - ٠٠٢٠٢
٠٠٢ -٠١٢٨٨٦٨٨٨٧٥
E-mail: alnokhoba@gmail.com

الطبعة الأولى
1437 هـ - 2016 م
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:
2016 /19633
ISBN: 978 - 977 - 6580 - 03 - 9

النُخَب الاجتماعية فى مصر

دراسة على ضوء مقولات رأس المال وأشكاله لدي بورديو

دكتور

خالـد كاظـم أبــو دوح

أستاذ علم الاجتماع المساعد

بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

مدرس علم الاجتماع السياسي – جامعة سوهاج

٢٠١٧

الإهداء

إلى أستاذتى...

الأستاذة الدكتورة/ مديحة أحمد عبادة

التي مهدت صحاري عقلي للسوسيولوجيا،

وزودتني بتجربتها العلمية والحياتية بأروع القيم الإنسانية.

خالد،،،

تقديـم
بقلم أ.د : مديحة أحمد عبادة

أشعر بسعادة أن أقدم هذه الأطروحة في علم الاجتماعي السياسي للباحث "خالد كاظم أبو دوح"، فهي بحث أصيل عن النُخب الاجتماعية في مصر، لباحث يمتلك بشكل واضح وقوي أدواته النظرية والمنهجية، وساعده ذلك على تقديم هذه الأطروحة بالشكل المثالي إلى حد كبير.

وقد انطلق الباحث في دراسته التي بين أيدينا من فكرة هامة غاية الأهمية، واستطاع هو بقدراته العقلية النقدية ومهاراته البحثية أن يعرضها بشكل واضح وبسيط، وهي أن المجتمع يتشكل وكأنه فضاء اجتماعي تتوزع فيه العديد من المجالات، ويتضمن كل مجال منها (المجال الاقتصادي، المجال السياسي، المجال الثقافي ...الخ) شكل من أشكال رأس المال، بالمعني الذي طرحه "بورديو" رأس المال باعتباره طاقة اجتماعية يعتمد عليها الأفراد في التمييز والمنافسة، ويعد هذا الشكل من رأس المال هو رهان المجال، الذي يسعي الأفراد إلى حيازته ومراكمته، وذلك لأن ما يراكموه من رصيد يحدد أوضاعهم الطبقية ومكاناتهم الاجتماعية.

تلك الفرضية السابقة، والتي صاغها الباحث بمنتهي البساطة والوضوح والحرفية، تقدم العديد من الإبداعات النظرية والتطبيقية، وتضيف لتراث دراسة النُخب إضافات هامة، منها ما يتعلق بالخروج من دائرة التركيز التي سيطرت على تراث دراسة النُخب، وهي دائرة صناعة القرار والتأثير السياسي في المجال المركزي لممارسة السياسة، وانتقل الباحث عبر بحثه إلى دراسة طبيعة النفوذ الاجتماعي، وليس النفوذ السياسي فحسب، وهناك إضافة أخرى لهذا البحث تتمثل في تجاوز التحليلات النظرية التي ظهرت في نطاق دراسة النُخب حتى الآن، والتي تدور حول أطروحة تركز القوة (المنظورات الماركسية) أو أطروحة انتشار القوة (الاتجاهات الوظيفية والسلوكية).

ولقد استطاع الباحث من خلال ربط النُخب الاجتماعية بمفهوم رأس المال لدى "بورديو" أن يقدم لنا فهماً جديداً للنُخبة لا بوصفها جماعة مركزية، وإنما باعتبارها جماعات اجتماعية تتنوع وتتوزع على المجالات المختلفة داخل الفضاء الاجتماعي رأسياً وأفقياً. ليس هذا فحسب بل استطاع الباحث في هذا السياق أن يقدم لنا تحليلاً رائعاً للخطوط العامة لأفكار "بورديو" واستطاع أن يعرضها بشكل سهل وبسيط، وأعتقد أن هذا الجهد منه سوف يساهم في إعادة طرح "بورديو" ونظريته في المجال الأكاديمي المصري، وتقريب أفكاره ونشرها على نحو أوسع.

يضاف لذلك أن نشر هذا البحث يعبر في وقتنا الراهن عن حاجة مُلحة، ويجدر في هذا الصدد التذكير بأن المجتمع المصري يمر منذ ٢٥ يناير ٢٠١١م بمرحلة من المد الثوري، تميزت بجملة من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والملاحظ أن هذه التحولات الثورية تتم في ظروف معقدة، وبيئة عالمية وإقليمية تعرف هي الأخرى تحولات سريعة، وعليه فمن الطبيعي أن يحظي دور النُخب في مثل هذا الظرف باهتمام خاص بسبب ما يمكن أن يكون لهذه الفئة من تأثير في إدارة الأحداث والتحكم في مجمل التحولات الثورية التي تحدث في بر مصر.

واستمد البحث الراهن جانب من قوته وأصالته، من خلال الجهد الذي بذله الباحث في اختبار أطروحاته النظرية وإطاره التصوري، الذي انتهي إليه بعد معالجة تحليلية نقدية لمختلف الاتجاهات المرتبطة بتراث النُخبة من ناحية، والمقولات والأفكار المرتبطة بطرح "بورديو" وزملائه حول أشكال رأس المال المختلفة، والتي أضاف لها الباحث شكلاً جديداً تمثل في رأس المال الديني، وفي هذه الإضافة وعي كبير من الباحث بخصوصية الدين في المجتمع المصري، وإمكانية أن يصبح شكلاً من أشكال القوة، التي يمكن من خلالها تحقيق المكاسب والمنافع، ولنا أن نتأمل ذلك الصعود التي حظيت به النُخبة الدينية بعد ثورة ٢٥ يناير، على ضوء معالجة الباحث للدين كرأسمال، يضاف لجوانب القوة أيضاً الجهد الذي بذله الباحث في جمع مادته الميدانية، والتي تميز فيها بأعلى درجات الكفاءة والمرونة والإتقان في استخدام أدوات جمع البيانات في البحث الاجتماعي، ولعل هذا كله ساعد على خروج البحث الذي بين أيدينا بشكل مميز سواء على مستوى العمل النظري، أو التطبيق الميداني.

وأخيراً، أجدني من خلال مشوار طويل مع الباحث بدأ منذ سنوات الليسانس والتي بدأت عام ١٩٩٣م، واستمرت حتى الوقت الراهن، على ثقة كبيرة في أن الدكتور "خالد كاظم أبو دوح" صاحب هذه الأطروحة قادر –بإذن الله– على مواصلة العطاء، ومضاعفة جهوده المتميزة من أجل تقدم علم الاجتماع ورفعته في مصر.

وعلى الله قصد السبيل ،،،

مديحة أحمد عبادة
أستاذ علم الاجتماع بجامعة سوهاج
سوهاج – ٢٠١٦م

مقدمة فى منهجية الدراسة

- تمهيـد.
- إشكالية الدراسة وأهميتها.
- تساؤلات الدراسة.
- نمط الدراسة وأساليب جمع البيانات.
- حالات الدراسة.
- أسلوب تحليل البيانات ومعالجتها.

تمهيـد :

تُعد مقولة الفيلسوف الفرنسى "فولتير" عن ظاهرة التباين والتفاوت الاجتماعي، توصيف موضوعي لهذه الظاهرة، ومضمون هذه المقولة هو أن التفاوت واللامساواة حالة ملازمة لطبيعة المجتمع الإنساني، وأنه مهما كان هدف الحكومة في الوصول لتحقيق المساواة فلن تنجح، ويُشير التباين الاجتماعي في معناه العام إلى التوزيع غير المتساوي للموارد والعوائد والفرص على مختلف الأفراد داخل جماعة ما أو عدة جماعات داخل المجتمع الواحد، أنه من تناقضات المجتمع الإنساني الباقية ما بقى المجتمع.

ونظراً لأنه لا يوجد مجتمع حتى الآن استطاع تجاوز ميكانزمات التباين الاجتماعي بين أفراده، صارت ظاهرة التباين الاجتماعي من الموضوعات والظواهر التي اهتم بها الفكر السوسيولوجى منذ نشأته حتى الآن، وعكس هذا الاهتمام الكثير من مظاهر الخلاف والجدل بين علماء الاجتماع، ولعل التناقض بين الماركسية والرأسمالية والجدل الذى ثار بين أنصار كل نظرية منهما، خير تجسيداً لما ارتبط بالتباين الاجتماعي من أفكار في علم الاجتماع.

فقد سعت الماركسية إلى تخفيف – إن لم يكن إلغاء – أشكال التباين الاجتماعي، إلا أنها خلقت أشكالاً من التباين الاجتماعي واللامساواة خاصة بها، الأمر الذى أفضى إلى تدنى النمو الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية، وإنهارت تبعاً لذلك تلك المجتمعات تحت وطأة السخط الاجتماعي. بينما سعت الرأسمالية نحو إعطاء كل فرد في المجتمع فرصته من أجل إستثمار الموارد ومراكمة المنافع في سياق من الحرية بكافة صورها، إلا أن ذلك دعم ورسخ صور التباين الاجتماعي، ووسع الهوة ما بين الأفراد في المجتمع، وحول ذلك دار الجدل والحوار ما بين علماء الاقتصاد والاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية.

وفي إطار هذا الجدل حول طبيعة التباين الاجتماعي وصوره في المجتمع الرأسمالي، أو بالأحرى صور اللامساواة الاجتماعية التي يفرزها هذا المجتمع، ظهر مفهوم النُخْبة، فكان هذا المفهوم – بالنسبة لرواده الأوائل – أداة لدحض الأفكار؛ التي تُؤسس لنظرة طبقية تُقسم المجتمع إلى طبقة حاكمة، وأخرى محكومة بناءً على أسس اقتصادية. فإذا كان ثمة ميل إلى تباين اجتماعى يكشف عن صور من اللامساواة فإنه لا يتأسس بالضرورة على توازٍ بين التحكم الاقتصادي والتحكم السياسي، بل هو تباين سياسى في الأصل قد يكون طبيعياً في تكوين المجتمعات وتطورها. فالمجتمعات لا تفرز طبقات بقدر ما تفرز نُخَباً يكون لها السبق في التحكم السياسي، وفي السيطرة على مختلف دوائر التحكم. وبالرغم من أن التطورات

النظرية الكبرى التي طرأت على الفكر النُخْبوي قد فرعت هذه الفكرة في مسارات عديدة، إلا أن هذه التطورات احتفظت بالفكرة الجوهرية التي يتأسس عليها هذا الفكر؛ ومفادها أن صور التحكم والضبط في المجتمعات تميل إلى تجميع مصادر التحكم والضبط في أيدي قلة من الناس يطلق عليهم النُخْبة أو الصفوة.

ومنذ ذلك الحين اهتم علم الاجتماع بدراسة النُخْبة وبحثها كموضوع هام من موضوعات علم الاجتماع السياسي، واتجه البحث في هذا الموضوع نحو البحث عن الأساس الاجتماعي الذي تقوم عليه جماعة النُخْبة، وفي هذا الشأن ظهرت آراء متناقضة بعضها يعزي تكوين النُخْبة إلى مجموعة من العوامل السيكولوجية والتنظيمية المرتبطة بالأفراد أنفسهم، وبعضها يحاول أن يعزي تكوين النُخْبة إلى عوامل اقتصادية مرتبطة بطبيعة السيطرة الاقتصادية في المجتمع وما تؤدى إليه هذه السيطرة من وصول أفراد بعينهم إلى مجالات التأثير العُليا في المجتمع، وتشعبت نطاق هذه الدراسات لتتجاوز الجدل النظرى حول المفهوم، فظهرت دراسات تهتم بدراسة تشكيل النُخْبة على النطاق القومي، وأخرى تهتم بدراسة جماعات النُخْبة على النطاق المحلى، وثالثة تهتم بالمقارنة بين طبيعة جماعات النُخْبة في مجتمعات مختلفة، ورابعة تهتم بخصائص جماعات النُخْبة في المجتمعات النامية[١].

ويدور مفهوم النُخْبة غالباً حول الطريقة التي يتم من خلالها ممارسة القوة والنفوذ في المجتمع، وتركز ذلك في أيدي قلة من الأفراد يطلق عليهم النُخْبة، وهذا المعنى للنُخْبة يكاد يُجمع عليه مفكروا النُخْبة، إلا أنهم في المقابل يختلفون اختلافاً كبيراً حول الأسس التي تُشكل النُخْبة، أو بالأحرى المصادر التي تستقى منها هذه الفئة قوتها وسيطرتها.

يُضاف على ما سبق، أن الفكر النُخْبوى ظل يُركز لفترات طويلة على مجال مركزى للقوة يرتبط بتلك الدائرة المركزية التي تطل منها النُخْبة الحاكمة على جموع الشعب التي تُشكل جماهير غير منظمة، فالقوة تميل إلى أن تكون قوة مركزية تصنع لنفسها مجالها الخاص بها الذي غالباً ما يكون حكراً على أوليجاركية سياسية[٢]. ولذلك هُناك حاجةٌ في مجال علم الاجتماع السياسي لفتح مجالات للبحث في مجال القوة لا على أنه مجالٌ مركزيٌ، ولا على أنه مجال له استقلاله الخاص عن صور السيطرة الأخرى فحسب، بل بوصفه مجالٍ عام تظهر فيه صوراً للسيطرة والتحكم عبر مستوياتٍ متعددة في البنية الاجتماعية وتتبدى فيه صور التشابك بين ما هو سياسى وغير سياسى، وفي داخله يصبح كل شئٍ قابل للتحول والاستخدام، بمعنى أنه مجال يُتيح لمن يدخل إليه أن يحول كل ما يمكن من موارد وعلاقات

إلى وسائل لتثبيت المكانة السياسية والاجتماعية وإعادة إنتاجها، أى أن تفرد النُخْبة لا يقتصر على الجانب السياسي فقط بل أن هناك نُخَب عديدة مرتبطة بمجالات متعددة، يمكن أن نطلق عليها مصطلح بديل لمصطلح النُخْبة أو النُخْبة السياسية، وهو مصطلح النُخَب الاجتماعية[٢].

واستجابة لهذه الحاجة في علم الاجتماع السياسي، جاءت هذه الدراسة بهدف بناء إطار نظرى لمفهوم النُخَب الاجتماعية، واختبار هذا الإطار إمبيريقياً في الواقع الاجتماعي المصري، والفرضية النظرية التي تمثل جوهر هذا الإطار هو أن المجتمع عبارة عن فضاء اجتماعى تتوزع فيه العديد من المجالات (المجال الاقتصادي، والمجال السياسي، والمجال الثقافي، والمجال الديني، ...إلخ)، ويتضمن كل مجال منها، شكل من أشكال رأس المال (رأس المال الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والديني، ...إلخ)، ويُعد هذا الشكل من رأس المال هو رهان المجال، الذى يسعى الأفراد إلى حيازته ومراكمته، لأن أوضاعهم الهيراركية تتحدد بمقدار ونوعية رأس المال الذى يراكموه، وعلى هذا فإن تعدُد المجالات، وبالتالي تعدد أشكال رأس المال، هما المسئولان عن خلق نُخَب اجتماعية متعددة داخل الفضاء الاجتماعي، ومن خلال جماعات النُخَب الاجتماعية يتم اختيار بعض عناصر النُخْبة المركزية.

إشكالية الدراسة وأهميتها :

ثمة نظرة تقليدية لمفهوم النُخْبة، تعتبر النُخْبة هي الفئة القليلة من البشر، الذين يتحقق لهم قدر من السيطرة والتحكم في الفئات الأخرى، وتقوم هذه السيطرة على عدد من الأسس، عددها المفكرون الأوائل للنُخْبة؛ فهناك من ذهب إلى أن سيطرة النُخْبة تنبع من خلال امتلاكها لرصيد نفسي (غرائز، أو قدرات تنظيمية، أو قدرة على الاستحواذ والاستمرار)، واتسعت هذه الرؤية فيما بعد لتتضمن أبعاداً سياسية واقتصادية وعسكرية، فالتأثير على صناعة القرار وتنفيذه يرتبط بالعديد من العوامل الاجتماعية، التي تخلق مجال لممارسة القوة وإعادة إنتاجها.

واعتبرت هذه النظرة مجال ممارسة القوة، والذي تمارس النُخْبة خلاله نفوذها، هو مجال مركزي، يرتبط بتلك الدائرة المركزية، التي تطل منها النُخْبة الحاكمة على جموع الشعب، حيث تميل القوة إلى أن تكون مركزية، تصنع لنفسها مجالها الخاص الذي غالباً ما يكون حكراً على أقلية سياسية.

وتطورت هذه النظرة من خلال إسهام العديد من العلماء، وأصبح هناك إمكانية للنظر إلى مجالات أو نطاقات متعددة لممارسة القوة، يمكن رصدها عبر النظر إلى الطريقة التي يمكن أن يؤثر بها البشر في صناعة القرار.

واستطاع " بورديو "Bourdieu من خلال نظريته الاجتماعية أن يقدم العديد من المفاهيم والأفكار التي دعمت هذا التطور حول مفهوم القوة، حيث ذهب إلى أن المجتمع عبارة عن مجموعة من المجالات، ويتشكل كل مجال من خلال الأفراد الذين يتوزعون على الأوضاع الهيراركية داخل المجال، ويتوقف هذا التوزيع إلى حد ما على الرصيد الذي يكونه كل فرد من رأس المال النوعي، أي رأس المال الخاص بالمجال.

ويعرف " بورديو " مفهوم رأس المال بأنه " كل قوة اجتماعية يعتمد عليها الفرد في تحقيق التميز داخل المجال، ولقد عدد " بورديو " أشكال رأس المال، حسب تعدد المجالات داخل المجتمع؛ فهناك رأس المال الاقتصادي المرتبط بالمجال الاقتصادي، ورأس المال الثقافي المرتبط بالمجال الثقافي...وغير ذلك.

وتعددت بهذا أشكال القوة، فلم تعد قاصرة على القوة السياسية، بل امتدت لأشكال أخرى عبر المجالات المختلفة، وعلى هذا الأساس لم تعد هناك نُخْبة سياسية فحسب، بل يفترض أن كل شكل من أشكال رأس المال يخلق نُخْبته الخاصة، ومن خلال علاقات التشابك والتقاطع بين نُخْبة كل مجال يتم تكوين النُخْبة المركزية.

وتتحدد مكانة الفرد في هذا السياق، على أساس الرصيد الذي ينجح في مراكمته من رأس المال النوعي، ويعد هذا الرصيد محك أساسي للتباين والتميز ما بين الأفراد، ويصبح من الطبيعي أن يتزايد رصيد بعض الأفراد من رأس المال النوعي، وبالتالي ترتفع مكانتهم في البنية الهيراركية للمجال، وقد ينجح الفرد في تدوير رصيده من رأس المال النوعي والاستثمار فيه، وتحويل جزء منه إلى أشكال أخرى من رأس المال، وقد تدفعه هذه العملية ليصبح من نُخْبة مجال أخر، مثال ذلك الأستاذ الجامعي الذي يعتمد على رصيده من رأس المال الثقافي، بالإضافة إلى رصيده من رأس المال الجمعي، للوصول إلى منصب سياسي معين.

ويصبح التساؤل المطروح هنا مرتبط بدور أشكال رأس المال في تشكيل النُخَب الاجتماعية؟ والكيفية التي يتم بها ذلك؟

ويتضمن هذا التساؤل ثلاثة أنماط من المتغيرات؛ **النمط الأول :** ويتمثل في مجموعة المتغيرات المستقلة، التي تعد مسئولة عن عمليات تشكيل النُخْبة وبناءها؛ وهي في إطار الدراسة الراهنة الأشكال المختلفة لرأس المال (رأس المال الاقتصادي، ورأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي، ورأس المال السياسي، ورأس المال الديني).

النمط الثاني : يتمثل في مجموعة المتغيرات التابعة، والتي تشير إلى جماعات النُخَب

الاجتماعية، التي تتشكل بواسطة رءوس الأموال السابقة، وتتوزع داخل المجالات المتعددة التي يتكون منها المجتمع.

النمط الثالث : من المتغيرات، ويتمثل في المتغيرات الوسيطة، والتي تشير إلى المجال الذي تتشكل فيه جماعة النُخْب، والمستوى الذي بلغته النُخْبة داخل البنية الهيراركية للمجال، بالإضافة إلى ذلك الاستراتيجيات التي اعتمد عليها الفرد في مراكمة وتدوير أرصدة رءوس الأموال التي يحوزها.

وبعد هذا التحليل لمختلف المتغيرات التي تتضمنها إشكالية الدراسة الراهنة، فإنه يمكن التطرق لجوانب الأهمية النظرية والمنهجية للدراسة الحالية، وذلك على النحو التالى:

١- تستمد الدراسة جانباً من أهميتها من خلال محاولة الباحث دراسة وتوظيف مقولات عالم الاجتماع الفرنسى "بيير بورديو" Bourdieu مثال: المجال Field، رأس المال Capital، الاستراتيجية Strategy، بهدف بناء إطار نظرى ملائم لدراسة وفهم تشكيل النُخْب الاجتماعية، واختبار هذا الإطار في الواقع الاجتماعي المصرى.

٢- تكمن أهمية الدراسة الحالية في جانب كبير منها، في طرحها لمفهوم النُخْب الاجتماعية، حيث أن طرح مفهوم النُخْب الاجتماعية للدراسة والتحليل السوسيولوجي، يضيف إلى تراث دراسة النُخْب في إطار علم الاجتماع السياسي، إضافتين مهتمين هما :-

أ- الخروج من دائرة التركيز على صناعة القرار السياسي، والتأثير السياسي في المجال المركزي، والاهتمام بالنُخْب السياسية فحسب، إلى طرح دراسة النفوذ الاجتماعي بشكل عام، وليس هذا فحسب، بل توضيح طبيعة التشابكات والتقاطعات ما بين جماعات النُخْب التي تتعدد بتعدد المجالات التي تُشكل المجتمع.

ب- تجاوز التحليلات النظرية التي ارتبطت بتراث دراسة النُخْب، والتي تدور حول تركز القوة، وممارستها في مجال مركزي فحسب.

٣- إن الدراسة الراهنة إذ تتخذ من دور أشكال رأس المال في تشكيل النُخْب الاجتماعية موضوعاً للدراسة، فإن ذلك يُمكن أن يُساهم في تقديم فهم لطبيعة البناء الاجتماعي والسياسي في المجتمعات المحلية المصرية، وهذا بدوره يساهم مع دراسات اجتماعية أخرى في تقديم فهم عميق لطبيعة النظام السياسي المصري، خاصة فيما يتصل بالنفوذ والسيطرة، كعمليات تحدث داخل هذا النظام.

تساؤلات الدراسة :

١- ما الأصول العائلية والطبقية التي توافدت منها حالات النُخَب الاجتماعية وخصائصها الاجتماعية؟

٢- ما مدى فاعلية أشكال رأس المال المختلفة (الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والديني) في تشكيل النُخَب الاجتماعية؟ والكيفية التي تتشكل من خلالها نخبوية الأفراد؟

٣- ما صور تبدلات أشكال رأس المال لدى حالات النُخَب الاجتماعية ومردوداتها؟

٤- ما استراتيجيات تحقيق النُخْبوية داخل المجالات الاجتماعية (المجال الاقتصادي، والمجال الثقافي، والمجال السياسي، والمجال الديني) ومدى اختلاف أو اتفاق هذه الاستراتيجيات؟

نمط الدراسة وأساليب جمع البيانات :

تنتمي هذه الدراسة إلى البحوث الوصفية Exploratory Type ، ويحاول الباحث الكشف عن كيفية تشكيل النُخْبوية عبر الأشكال المختلفة لرأس المال، ووصف حركة أشكال رأس المال وتبدلاتها عبر المجالات المختلفة، والكشف عن استراتيجيات تحقيق النُخْبوية.

وقد ركزت الدراسة الراهنة على إستراتيجية بحثية تقوم على جمع بيانات تفصيلية وعميقة عن عدد محدود من الحالات، ولذلك اعتمدت على الأسلوب الكيفي في الدراسة، ولتحقيق هذا الهدف استعان الباحث بأداة المقابلة المتعمقة لجمع بيانات تفصيلية عن الحالة وتاريخها الحياتي، وشكل رأس المال الذي راكمته والكيفية التي تم بها ذلك، وتدويرات هذا الشكل خلال سنوات حياة الحالة، ولقد تضمنت أداة المقابلة عدد من المحاور وهي كالتالي :

١- تاريخ الحالة وظروف النشأة والتكوين، ويتضمن حديث الحالة عن الميلاد وذكرياته، وظروف النشأة ومكانها في الأسرة الأولى، ووصف الأسرة الحالية للحالة، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والمهني في أسرة النشأة الأولى، والأسرة الحالية.

٢- رأس المال الاجتماعي، وشبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، وتطورها عبر رحلة الحياة، وأهم سمات وخصائص هذه العلاقات، وتكاليفها ومردوداتها على الفرد، وأهم الاستراتيجيات التي اعتمد عليها الفرد في تكوين وتطوير هذه العلاقات، وصور تبدلاتها في حياة الفرد.

٣- رأس المال الثقافي، علاقة الحالة بالتعليم، من حيث سنوات التعليم ونوعه، وعلاقته

بالمكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد، وعلاقة أسرة النشأة الأولى وأسرة الحالة بالتعليم، واستراتيجيات الحالة في الاستفادة من التعليم، سواء في إقامة شبكة علاقات اجتماعية، أو مراكمة رأس مال اقتصادي.

٤- رأس المال السياسي، علاقة الحالة بالسياسة، وأهم المناصب والمكانات السياسية التي وصلت إليها الحالة، وآليات الوصول لها، ومردودها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي على الحالة، وعلاقات الحالة داخل المجال السياسي أو المجالات الأخرى، وعمليات الصراع والمنافسة والمناورات داخل المجال السياسي، وأهم المشكلات التي واجهت الحالة في سبيل الوصول للمكانة السياسية التي تشغلها.

٥- رأس المال الديني، وصف رأس المال الديني الذي تحوزه الحالة، وكيفية مراكمة هذا الرصيد، وكيفية الاستفادة منه من خلال عمليات التحويل والتدوير التي يقوم بها الفرد، ومردود ذلك على حياة الفرد اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

وبجانب أداة المقابلة، استعان الباحث بعدد من الإخباريين، بهدف الوصول إلى مادة إضافية احتاجها الباحث لتوضيح بعض الأمور غير الواضحة لدى حالات الدراسة، ولقد كانت المادة التي قدمها الإخباريون مادة ثانوية إلى حد ما.

اعتمد الباحث في تسجيله للبيانات والمعلومات المختلفة، التي جمعها من خلال حالات الدراسة، على جهاز التسجيل الصوتي – باستثناء عدد قليل من الحالات – وهو الأمر الذي ساعد الباحث كثيراً في إجراء مقابلاته بنجاح، وعدم تشتته أثناء إجراء المقابلات في تدوين نصوص المقابلات يدوياً.

حالات الدراسة :

حدد الباحث حالات الدراسة وفقاً للرؤى الإجرائية التي قدمها لمفاهيم الدراسة، والمؤشرات التي حددها لكل مفهوم، وفى البداية حدد الباحث ما يقرب من (٣٠ حالة) داخل مدينة سوهاج، استطاع الباحث أن يُجرى المقابلات مع (٢٤ حالة) وبمراجعة البيانات التي جمعها الباحث خلال المقابلات، فضل استبعاد (٥ حالات) لأن البيانات التي تم جمعها لم تكن بالقدر المطلوب، ويُعزي ذلك إلى أن هذه الحالات لم تُتيح للباحث الوقت الكافي، الذي يمكن من خلاله الوصول للبيانات المطلوبة.

وعلى هذا بلغ عدد حالات الدراسة (١٩ حالة) موزعة على النحو التالي: (٥ حالات) من داخل المجال الاقتصادي، (٥ حالات) داخل المجال الثقافي، (٥ حالات) داخل المجال السياسي، (٤ حالات) داخل المجال الديني.

واستغرقت مقابلة الحالات قرابة ستة أشهر، ابتداءً من شهر نوفمبر ٢٠٠٨م، حتى شهر أبريل ٢٠٠٩م.

جدول (١) ويعرض لحالات الدراسة وخصائصها الاجتماعية [١]

رقم الحالة	الحالة العمرية	الحالة التعليمية	الحالة الاجتماعية	المكانة الوظيفية والمناصب
١	٦٣	مؤهل متوسط	متزوج	صاحب ومدير مجموعة استوديوهات ومعامل تصوير داخل مدينة سوهاج
٢	٤٠	مؤهل متوسط	متزوج	صاحب ومدير توكيل فودافون، ومجموعة محلات لخدمة الاتصالات والمحمول فى مدينة سوهاج
٣	٤٥	مؤهل جامعي	متزوج	مدير شركة للاستثمارات والمقاولات العقارية
٤	٥٠	مؤهل جامعي	متزوج	صاحب ومدير توكيل اتصالات ومجموعة محلات لخدمات الاتصال والمحمول بمدينة سوهاج ومحافظات أخرى
٥	٦٥	مؤهل متوسط	متزوج	صاحب ومدير شركة للمقاولات والاستثمار العقاري
٦	٤٧	دكتوراه	متزوج	رئيس جامعة
٧	٥٨	دكتوراه	متزوج	نائب رئيس جامعة
٨	٥٩	دكتوراه	متزوج	نائب رئيس جامعة
٩	٥٣	دكتوراه	متزوج	عميد كلية – وأديب – وكاتب سياسي
١٠	٦٤	دكتوراه	متزوج	وكيل كلية – وأديب– وكاتب سياسي
١١	٦٢	مؤهل جامعي	متزوجة (أنثى)	عضو مجلس شورى
١٢	٦٢	مؤهل جامعي	متزوج	أمين عام حزب سياسي بسوهاج وعضو الأمانة العامة
١٣	٦٥	دكتوراه	متزوج	أمين عام حزب سياسي بسوهاج وأمين المجلس المحلى بسوهاج
١٤	٥٩	مؤهل جامعي	متزوج	عضو أمانة حزب سياسي بسوهاج
١٥	٤٥	مؤهل جامعي	متزوجة (أنثى)	عضو أمانة حزب سياسي بسوهاج
١٦	٦٤	ليسانس أصول الدين	متزوج	وكيل وزارة سابق والمستشار الديني للمحافظ
١٧	٥٩	ليسانس أصول الدين	متزوج	مدير مديرية الأوقاف بسوهاج
١٨	٥٣	ليسانس أصول الدين	متزوج	مدير الدعوة بأوقاف سوهاج
١٩	٥١	ليسانس أصول الدين	متزوج	وكيل وزارة الأوقاف

(١) ترتيب وأرقام الحالات في الجدول، هو ذاته الذي ورد في المتن.

سادساً : أسلوب تحليل البيانات ومعالجتها :

اعتمدت هذه الدراسة على التحليل الكيفي[*] Qualitative Analysis. وذلك وفقاً لنوعية البيانات التي جمعها الباحث وهى بيانات كيفية، تتميز بأنها أعلى في الحميمية، والتعبير عما في أعماق الشخص، والمصداقية على أساس أنها مباشرة، أو أقرب ما تكون إلى المباشرة، وتوافرت فيها درجة من الطبيعة والتلقائية، وقام الباحث بإعطاء الحالات الحرية في الاسترسال – إلى حد ما – بتفاصيل قد تكون مهمة، حتى يصل إلى درجة عالية من التعمق، وجمع البيانات التفصيلية عن حالات الدراسة.

وبعد أن جمع الباحث بياناته، قام بتفريع[**]. هذه البيانات وتصنيفها وفقاً لمحاور الدراسة وأهدافها، ثم بدأ الباحث في قراءة هذه البيانات أكثر من مرة على فترات متباعدة إلى حد ما، بهدف الوصول إلى خلق حالة من الفهم والحوار والتفاهم بينه وبين هذه النصوص التي تحدثت عبرها حالات الدراسة.

ثم بدأ الباحث بعد ذلك عملية تفسير هذه البيانات، من خلال إلقاء الضوء عليها، وتوضيح ما تم استخلاصه منها، والكشف عن الدلالات المختلفة التي حملتها هذه البيانات، وتدخلات الباحث في جانب تفسير البيانات اعتمدت على ثلاث آليات هي :

١- محاولة الربط ما بين الإطار التصوري للدراسة والمادة الإمبيريقية التي تم جمعها، أي شرح المادة على ضوء تساؤلات الدراسة ومنطلقاتها النظرية التي بدأت منها.

٢- أحياناً الربط ما بين نتائج الدراسة الراهنة، وبعض النتائج التي توصل إليها باحثون آخرون، أي محاولة تأسيس نتائج الدراسة على قاعدة من نتائج البحوث الأخرى.

(*) يشاع أحياناً أن التحليل الكيفي من إبداعات حركة ما بعد الحداثة، والسنوات العشر الأخيرة بخاصة، إلا أن المؤكد أن الإرهاصات الأولى لأهم العلوم الاجتماعية لم تعرف التحليل الكمي، وكانت بدايات علم الاجتماع بالتحليل الكيفي، ليس فقط في أعمال الرواد (سان سيمون، وأوجست كونت، كارل ماركس)، وإنما في أعمال أعلام مدرسة شيكاغو، التي تحفظها مكتبة غنية والدورية الأشهر في مجال علم الاجتماع (المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع) The American journal of Sociology، انظر في ذلك :

- عزت حجازي، التحليل الكيفي في البحث الاجتماعي، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الرابع والأربعون، العدد الثالث، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٧م، ص٢.

(**) استعان الباحث بباحثين من الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع فى تفريغ بعض الحالات.

٣- والآلية الثالثة تتمثل في التفسير البنائي، حيث يتم إحالة تفسير بعض نتائج الدراسة على ضوء سمات البناء الاجتماعي، وما يعتريه من تغيرات بنائية معاصرة.

ويتوقف استخدام هذه الآليات على طبيعة الموقف التفسيري، وما يتطلبه، فأحياناً يتم الاستعانة بأحد هذه الأساليب فقط، وأحياناً أخرى يتم الاعتماد على الآليات الثلاث في تفسير نتيجة واحدة.

هوامش المقدمة

(١) من أمثلة هذه الدراسات :

- أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
- عايدة عبد الفتاح، التحولات الاجتماعية وتغير أدوار الصفوة، مؤتمر "القرية المصرية- الواقع والمستقبل"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- مايسة الجمل، النُخْبة السياسية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
- صلاح سالم زرنوقة، التحول في جماعات الصفوة في الريف المصري، مؤتمر " ماذا جرى في الريف المصري "، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- سامية سعيد، من يملك مصر ... دراسة تحليلية للأصول الاجتماعية لنُخْبة الانفتاح الاقتصادي في المجتمع المصري ١٩٧٤م-١٩٨٠م، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) أحمد زايد، النُخْب بين المجال السياسي والاجتماعي، ندوة " النُخْب الاجتماعية .. حالة الجزائر ومصر"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٠.

(٣) المرجع السابق، ص ١١.

الفصل الأول

النُخْب الاجتماعية على صعيد التراث النظري

- تمهيـد.
- أولاً : مفهوم النُخْبة ... بين إشكاليات التكوين ومحاولات التجديد.
- ثانياً : الاتجاهات الكلاسيكية فى دراسة النُخْب.

١- باريتو والأساس السيكولوجي لتكوين النُخْبة.

٢- موسكا وميشيلز... القدرات التنظيمية وتكوين النُخْبة.

٣- جيمس بيرنهام والأساس الاقتصادى للنُخْبة.

٤- رايت ميلز والأساس النظامي للنُخْبة.

- ثالثاً : روبرت دال ... ونظرية التعددية.
- رابعاً : الاتجاه البنائي الوظيفي.
- خامساً : النُخْب الاجتماعية ... نحو تجديد الفكر النُخْبوي.
- التعقيب

تمهيـد :

يُحاول الباحث من خلال هذا الفصل تقديم مقاربة لمفهوم النُخْبة ومناقشة تعريفاته المختلفة، وعرض الاتجاهات النظرية المرتبطة به، خاصةً وأن هُناك العديد من الطرق والأساليب التي تمت بها معالجة مفهوم النُخْبة، ولقد تمخض عن ذلك صور عديدة من الجدل والنزاع حوله.

وسوف يبدأ الفصل بتحليل ونقد الإشكاليات المرتبطة بظهور مفهوم النُخْبة ومحاولات تجديده عبر مراحل تطوره التاريخي، ثم تقديم مناقشة نقدية لمختلف الاتجاهات الكلاسيكية التي شكلت جوهر نظرية النُخْبة، وأساس تطور هذا المفهوم فيما بعد، مروراً بعد ذلك بأهم الاتجاهات التي تشكلت من خلال هذه الرؤى الكلاسيكية، حتى يصل بنا الفصل إلى مفهوم النُخْب الاجتماعية وما يطرحه من أفكار نظرية هامة وجديدة، من خلال ربطه بأشكال رأس المال المختلفة (رأس المال الاجتماعي، رأس المال الثقافي، رأس المال السياسي، رأس المال الديني ...إلخ) والطرح المعاصر له.

وسوف يعتمد الباحث في سياق معالجته لأطروحة النُخْب الاجتماعية، على بعض المفاهيم والأفكار التي طرحها عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو"، بهدف التوصل إلى صياغة نظرية موضوعية، يمكن اختبارها إمبيريقياً.

ومنهجية العرض خلال هذا الفصل سوف تنحصر في أسلوب العرض الرأسي الذي يراعى التسلسل التاريخي، وأسلوب العرض الأفقي الذي سوف يهتم بإبراز نقاط الاتفاق والاختلاف سواء بين العلماء أنفسهم أو بين الاتجاهات النظرية المختلفة، ولعل هذا الأسلوب سوف يسمح للباحث بعرض أوجه الاختلاف والتباين التي شهدها استخدام العلماء لمفهوم النُخْبة من ناحية، واختلافهم حول التنظير له من ناحية أخرى.

أولاً : مفهوم النُخبة : بين إشكاليات التكوين ومحاولات التجديد :

ارتبط مفهوم النُخْبة Elite منذ ظهوره وحتى الآن بالعديد من الإشكاليات النظرية والمنهجية، فلقد امتزج مُنذ ظهوره – أي مفهوم النُخْبة – بمضامين أيديولوجية، وبمعنى آخر فإن مفهوم النُخْبة قد ولد لصيقاً بفكر سوسيولوجي ذي ظلال أيديولوجية واضحة، تنعكس بجلاء في معاداة مفهوم "الطبقة الحاكمة" بالصياغة الماركسية، ومن ناحية ثانية فإن المفهوم كان قريباً إلى سيكولوجيا البشر منه إلى الأبعاد الموضوعية المرتبطة بتركيب البناء الاجتماعي[1]. ولهذا وصف"أنتونى جيدنز" A.Giddens مفهوم النُخْبة بأنه مفهوم خضع

للأوهام والأفكار المتناقضة، وأكد على أن هذا المفهوم يرتبط بإشكاليتين[٢]:

١- هي المحددات التي يتم الارتكاز عليها في تحديد من هم النُخْبة؟، ومن هم دون النُخْبة؟، حيث لا يُوجد خطٌ فاصل وواضح بين هؤلاء الذين في القمة، وهؤلاء الذين يمتلكون سُلطةً واضحةً ولكن لا ينضمون إلى جماعات النُخْبة.

٢- هي مسألة العلاقة بين السُلطة الرسمية، والقوة الفاعلة غير الرسمية.

ويعكس الفكر السوسيولوجي العالمي في الوقت الراهن إشكالية هامة فيما يرتبط بمفهوم النُخْبة، وهي أن الفكر السوسيولوجي ومنذ وقت طويل لم ينتج جديداً فيما يتصل بمفهوم النُخْبة، ولم يتم تطوير هذا المفهوم أو إعادة إنتاجه بما يتماشى ومجمل التحولات المختلفة التي شهدها العالم في العقود القليلة الماضية في مختلف المجالات.

وعلى الرغم من هذه الإشكاليات، فإن المُتابع للفكر الاجتماعي يلحظ ذيوع وانتشار استخدام مفهوم النُخْبة، إلى حد وصف أي جماعة مُتميزة وقوية على أنها جماعة النُخْبة، كالسياسيين، وعلماء الدين، والأذكياء، والمجرمون، والناجحون وغيرهم[٣].

وإذا كانت هذه هي أهم الإشكاليات التي لاحظها الباحث في سياق مراجعته للفكر النُخْبوى، ومنها ما هو مرتبط ببداية نشأة المفهوم وتكوينه، ومنها ما هو مرتبط بتطوره، فإنه أيضاً من المهم التدليل على هذه الإشكاليات، وهذا ما سيحاول الباحث معالجته من خلال عرضه لعدد من المحاولات التعريفية لمفهوم النُخْبة.

يُشير "أحمد زايد" إلى أن عدداً من هذه الإشكاليات السابقة قد إنعكس في الصياغة المبكرة لمفهوم النُخْبة، فقد أصبح المفهوم يُشير إلى المجموعة القليلة من البشر التي تمتلك نصيباً وافراً من القوة والتحكم (أو حتى الثروة) بفضل ما تملكه من خصائص شخصية. ويُؤكد على أن هناك شبه اتفاق على هذا التعريف لدى المنظرين الأوائل (باريتو، وموسكا، وميشلز). كما أنهم يتفقون على أن النُخْبة تقف في مقابل "الجماهير" التي تُكون عُموم الشعب، ولكنهم يختلفون – قليلاً – حول طبيعة هذه الخصائص الشخصية والسيكولوجية التي تُحدد النُخْبة[٤].

ولقد انعكست هذه الرؤية التي طرحها الرواد الأوائل على العديد من المحاولات التي جاءت لاحقاً، فهناك من يذهب إلى أن النُخْبة هم جماعة من الأفراد الذين يتمتعون بوضع ومركز السيادة والسطوة على الآخرين[٥].

ويتفق "صابر عبد ربه" مع المفهوم السابق بإشارته إلى أن النُخْبة في معناها العام تشير

إلى مجموعة من الناس تتميز بخصائص مُعينة تُمكنها من تبوء مراكز مرموقة في المجتمع[٦]. ولا يختلف عما سبق تعريف "رش" Rush الذي يذهب فيه إلى أن النُخْبة مفهوم يُشير إلى جماعة متميزة وفقاً لقدراتها وامتيازاتها في مجال ما[٧].

بالإضافة إلى ما سبق، جاء طرح "ميللز" Mills والذي لم يبتعد كثيراً عن طرح الرواد الأوائل على الرغم من استخدامه لمصطلح "صفوة القوة" ولقد عَرّف هذا المصطلح بنفس الطريقة التي ظهرت لدى الأوائل، فلقد أشار إلى أن صفوة القوة Power Elite تشمل أولئك الذين يشغلون المراكز القيادية[٨].

ويُعلق أحد الباحثين على إسهام "بوتومور" في صياغة مفهوم النُخْبة بقوله أن : صياغة "بوتومور" لمفهوم النُخْبة تجعل من الممكن استخدامه استخداماً واسعاً، أو ضيقاً، فمن ناحية يمكن اعتبار النُخْبة جماعة ذات مكانة عالية، أو طبقة ذات إمكانية وقدرة على حيازة النفوذ والتأثير، ومن ناحية أخرى يُمكن اعتبار النُخْبة هم شاغلوا المناصب الرئيسة داخل التنظيم[٩].

ولا تختلف المحاولات المعاصرة عن جوهر الرؤى الكلاسيكية للمفهوم، فعلى سبيل المثال ذهب "أنتونى جيدنز" إلى أن النُخْبة هم هؤلاء الذين يقودون النشاط الاجتماعي داخل أي فئة اجتماعية، ومن أمثلتهم: الفنانون، والقادة، والسياسيون، والاقتصاديون، ومع ذلك يُوجد فرقٌ واضح ما بين الفنانين الرواد، والسياسيين الرواد، وهو أن الرواد في الحالة الأولى يرتبطون بنوع ما بالمركز الاجتماعي، أو الشهرة، أو الدخل، أما في الحالة الثانية فهم الأشخاص الذين يكونون على رأس تنظيم اجتماعي معين له بنية سلطة داخلية، وقد يكون هؤلاء الأفراد بجانب ذلك أغنياء، أو أصحاب مركز اجتماعي مرموق وشهرة[١٠].

ويُعرف "بوتنام" Putman النُخْبة بأنها مجموعة من الأفراد لهم قوة أكبر من الآخرين، والقوة هنا تعنى التأثير بالفعل بشكل مباشر أو غير مباشر على السياسة ونشاط الدولة[١١]. ويتفق "دانيل ستيفن" S. Steven مع تعريف "بوتنام" ويصف النُخْبة بأنها جماعة من الأفراد تشغل المناصب المهمة، ويمتلكون الأدوار المؤثرة في الحكومة[١٢].

ومن خلال مراجعة الباحث للمحاولات التي بذلت من أجل صياغة مفهوم النُخْبة يتضح أنها قد جاءت في جوهرها لتعبر عن النُخْبة السياسية، وهذا ما لاحظه "سكوت" Scott وعبر عنه بقوله أن معظم المحاولات التي عرفت مفهوم النُخْبة ذهبت إلى أنها مجموعة الأفراد الذين يحتلون قمة الترتيبات الهرمية ذات السيادة، مثال مراكز السيطرة داخل الوزارات والهيئات، أو قمة الأحزاب، أو قمة المؤسسات السياسية، وأشار أيضاً إلى أن هناك محاولات

قليلة حاولت تعريف مفهوم النُخْبة انطلاقاً من مبدأ تعددية النُخْبة[١٣].

ولعل فكرة تعددية النُخْبة التي أشار إليها "سكوت"، تعد إضافة مهمة على مفهوم النُخْبة، فلقد أصبح المفهوم أكثر اتساعاً بحيث لم يُعد يقتصر على النُخْب السياسية فحسب، وإنما أصبح يضم أيضاً فئاتٌ كثيرة، ولقد جاء ذلك على أيدي السلوكيين وعلى رأسهم "روبرت دال" R. Dahl حيث أنهم رفضوا مفهوم النُخْبة نظرياً ومنهجياً، لأنه يفترض أن القوة تُوزع في المجتمع توزيعاً صفرياً، حيث تمتلك جماعة واحدة كل القوة في مقابل حرمان بقية الجماعات منها، لقد أفسحت الصياغات النظرية المُحدثة مكاناً لمفهوم النُخْب المتعددة وذلك من منطلق الفهم، فينطلقون من فهم تعدُدي للحياة الاجتماعية والذي يفترض أن القوة موزعة على كل الجماعات دون أن تحتكرها جماعة بعينها[١٤].

وفي سياق فكرة التعدُدية طرح عدداً من العلماء مفهوم "النُخْب الاجتماعية"[*]. Social Elites ليعبروا من خلاله على فكرة تعدُدية النُخْب في أي سياق اجتماعي، "فباريتو" Pareto (١٨٤٨-١٩٢٣م) كان لديه تعدُدية النُخْب، وذلك عندما أوضح أن النُخْبة ينبغي أن تشير إلى طبقة من الناس يُظهرون درجة عالية من المقدرة والسعة في أي فرع من فروع النشاط الإنساني، كما تناول "مانهايم" Mannheim (١٨٩٣-١٩٤٧م) فكرة تعدُدية النُخْب فهناك نُخْب سياسية، ونُخْب تنظيمية، ونُخْب فكرية وفنية، ودينية، كما قدم كلٌ من " لاسويل " و" كابلان " مفهوم النُخْب المتوسطة، أو نصف النُخْب لينطبق على الجماعات المتنوعة الموجودة في المجتمع، والتي تكون مُؤلفة من المتخصصين أصحاب المهارات المتميزة، أمثال المحامون ورجال الجيش.

ولقد أكد "أحمد زايد" على أن طرح مفهوم النُخْب الاجتماعية على بُساط البحث يضيف لتراث دراسة النُخْب إضافتين مهمتين. الأولى: تتعلق بالخروج من دائرة التركيز الذي سيطر على تُراث دراسة النُخْب، وهو دائرة صناعة القرار والتأثير السياسي في المجال المركزي لممارسة السياسة. والخروج من هذه الدائرة يطرح إمكانية لدرس لا طبيعة النفوذ السياسي فحسب، بل طبيعة النفوذ الاجتماعي بشكل عام. أما الإضافة الثانية: فإنها تتعلق بتجاوز التحليلات النظرية التي ظهرت في نطاق دراسة النُخْب حتى الآن، والتي تدور حول أُطروحة تركز القوة (المنظورات المتأثرة بالماركسية) أو أُطروحة انتشار القوة (المنظورات الوظيفية والسلوكية).

إن طرح مفهوم النُخْب الاجتماعية يربط درس النُخْب بمفهوم المجال. فليست القضية

هنا تركز القوة أو انتشارها وإنما في طبيعة التأثير السياسي والاجتماعي داخل مجال معين من المجالات الاجتماعية، وطبيعة التشابك الذي يُمكن أن يحدث بين المجالات عبر التأثير والنفوذ الذي تُمارسه النُخَب الاجتماعية؛ وطبيعة الاحتلال والإزاحة في هذه المجالات، سواءٌ في داخل المجال الواحد أو بين المجالات المختلفة، أما بالنسبة للمجالات التي تتبارى فيها النُخَب الاجتماعية فإنها تقع بالضرورة خارج مجال القوة المركزية، وإنها تُحيط به في دوائر تقترب منه أحياناً وتبتعد عنه أحياناً أخرى[١٥].

ومن ناحية أخرى هناك عدداً من العلماء أشاروا إلى أن طرح مفهوم النُخَب الاجتماعية يُلفت النظر إلى مشكلة مهمة ترتبط بالترتيب الهيراركى لهذه النُخَب في بنية المجتمع، وهذه المشكلة في ذاتها لم تحوز على الاهتمام المناسب[١٦]. وهذه المشكلة سوف يعالجها الباحث بمزيدٍ من التفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

وتتبنى الدراسة الراهنة رؤية إجرائية لمفهوم النُخْبة مؤداها، أن: **النُخْبة هي جماعة الأفراد الذين يحوزون أكبر رصيد من رأس المال النوعي المرتبط بمجال معين من مجالات الفضاء الاجتماعي، ولديهم من الاستراتيجيات ما يُمكنهم من مراكمة هذا الرصيد من رأس المال وتدويره وتعبئته نحو تحقيق أهدافهم ومصالحهم، والارتقاء بوضعهم داخل مجال ما، أو خارج حدود هذا المجال نحو حدود مجال السلطة العام.**

ومن خلال هذا الرؤية، يُمكن تحقيق عدد من المزايا التحليلية، والتي يمكن عرضها على النحو التالي :

أ- إمكانية الاستفادة من أُطُر نظرية مختلفة، خاصة الاتجاهات النظرية التي تؤكد على علاقة التفاوت في حيازة رأس المال بأشكاله المختلفة، والتفاوت الاجتماعي، وتجسد ذلك على مستوى الممارسات الاجتماعية للأفراد.

ب- ربط مفهوم النُخْبة بمفهوم رأس المال النوعي المرتبط بمجالٍ ما، يُساعد على فهم النُخْبة لا بوصفها جماعة مركزية، وإنما بوصفها جماعات اجتماعية تتنوع وتتوزع على المجالات المختلفة داخل الفضاء الاجتماعي، وهذا بدوره يساعد على تحليل النُخْبة ودراستها من خلال تجاوز التحليلات النظرية التي تدور حول تركز القوة.

ت- لا تأتى النُخْبوية مصادفة، ولكنها تحتاج إلى العديد من الاستراتيجيات التي تُحدد كيفية مراكمة رأس المال وتدويره، والوصول إلى الموارد الكامنة فيه، والاستفادة منها في تحقيق الارتقاء الطبقي للفرد.

ثانياً : الاتجاهات الكلاسيكية في دراسة النُخْبة :

من الحقائق التي أكد عليها معظم علماء النُخْبة، أن نظرية النُخْبة في صورتها الكلاسيكية قد ظهرت كاشتباك أو رد فعل لنظرية "كارل ماركس" عن الطبقة الحاكمة. وترسم نظرية "ماركس"، صورة للطبقة الحاكمة تتجسد من خلال علاقات السيطرة والخضوع السائدة في التنظيم الرأسمالي لعملية الإنتاج. والحكومة السياسية بالنسبة إلى "ماركس"، هي تعبير عن الطبقات المسيطرة اقتصادياً، وفي الوقت نفسه أداة لها[١٧].

والطبقة الحاكمة عند ماركس لا تتحكم في الموارد الاقتصادية، ومصادر القوة السياسية في المجتمع فحسب، بل يمتد هذا التحكم ليطول المصادر الأيديولوجية، والثقافية والقانونية، وهذا في مُجمله يُمكنها من تجديد المجتمع الرأسمالي بشكل مستمر.

ولقد إعتقد "ماركس" أن هذا التفسير يُمثل تفسيراً علمياً للمجتمع وبنائه السياسي، وذلك لأنه يُوضح الأُسس الموضوعية التي يقوم عليها التحكم السياسي والاجتماعي في المجتمع الرأسمالي، والمُحقق – على حد قول "أحمد زايد" – أن نظرية النُخْبة الكلاسيكية لا تُعد فقط محاولة للبحث عن أساس غير اقتصادي للتحكم السياسي، وإنما تُمثل أيضاً إدعاء بتقديم نظرية أكثر علمية عن طبيعة المجتمع وبنائه السياسي. فقد إعتقد علماء النُخْبة الكلاسيكيون أن بإمكانهم المساهمة في تكوين علم سياسي موضوعي ومحايد بعيداً عن أي تضمينات أخلاقية، بل أنهم ذهبوا إلى أكثر من هذا، وهو أن أعمالهم تنتهج نهجاً موضوعياً على غِرار العلوم الطبيعية، ومن هذا المنطق جاء هُجومهم على الماركسية، والذي تركز حول ثلاث نقاط أساسية هي :

١- القول بأن نظرية "ماركس" عن الطبقة الحاكمة ما هي إلا أيديولوجية مرحلية للطبقة العاملة وليست نظرية علمية.

٢- رفضهم لتنبؤ ماركس عن مستقبل المجتمع اللاطبقي.

٣- تحديهم لوجهة نظر الماركسية القائلة بأن الاقتصاد وليس السياسة هو القوة المحركة لمجرى التاريخ[١٨].

وبعد هذا النقد الشديد الذي وجهة علماء نظرية النُخْبة الكلاسيكية لرؤية "كارل ماركس"، حاولوا أن يقدموا رؤيتهم البديلة، وسوف يستعرض الباحث هذه الرؤى فيما يلي.

(١) باريتو والأساس السيكولوجي لتكوين النُخْبة :

في البداية ينبغي التأكيد على رفض "باريتو" Pareto للطرح الماركسي الذي يؤكد على أن

الجماعة السائدة في المجتمع تكون ناتجة عن حيازة القوة الاقتصادية، ويعلن بديلاً عن ذلك هو أن النُخْبة تتكون من خلال السمات والخصائص البشرية، ومن قدرات ومهارات فردية[١٩].

ويستوجب فهم هذا الطرح، تقديم عرضاً مُوجزاً لمُجمل أفكار "باريتو" لما لهذه الأفكار من دلالات على رؤية "باريتو" فيما يتصل بالنُخْبة، حيث أن "باريتو" يرى المجتمع نسقاً في حالة توازن(×). وهو يتكون من مُجمل الرواسب، والمشتقات، والمصالح والرغبات، التي تتجمع في نمطين للفعل؛ الفعل المنطقي، والفعل غير المنطقي. ولا يُمثل الفعل المنطقي عند "باريتو" سوى مقولة تصنيفية، فهو نمط مثالي غير موجود في الواقع. فالأفعال الواقعية ما هي إلا تنويعات من الأفعال غير المنطقية، وهذا هو السبب في أن هذا النمط من الفعل (النمط غير المنطقي) هو الذي حاز على اهتمام "باريتو". وتتبدى الأفعال غير المنطقية فيما أسماه "باريتو" الرواسب والمشتقات. والرواسب هي العناصر الثابتة للنظريات غير العلمية التي تُصاحب الفعل غير المنطقي، بينما تُعبر المشتقات عن العناصر المتغيرة لهذه النظريات[٢٠].

وقسم "باريتو" الرواسب إلى ستة أنواع؛ التكامل، واستمرار الجماعات، والألفة الاجتماعية، والنشاط، والتكامل الشخصي، والجنس، ولقد أكد "باريتو" على أنه من بين هذه الرواسب ثمة إثنين يفوقان غيرهما أهمية بكثير هما؛ " راسب التكامل" والذي يستثير الدهاء والمهارة والحصافة والقدرة على التجديد والإبداع، وراسب "استمرار الجماعات"، الذي يستثير الشجاعة والقوة، والميل نحو التصلب، والرغبة في الدخول في صراع مفتوح[٢١].

ويرتبط تكوين وبناء النُخْبة في المجتمع بهذين الراسبين، فالمجتمع عند "باريتو" ينقسم إلى شريحتين : الشريحة الدنيا Lower Stratum وهي ما يُطلق عليها اللانُخْبة Non-elite، والشريحة العليا Upper Stratum، وتضم النُخْبة، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى شقين: نُخْبةٌ حاكمة، ونُخْبةٌ غير حاكمة.

وتميل النُخْبة الحاكمة إلى الحصول على القوة والمحافظة عليها، ووسيلتها إلى ذلك إما العُنف أو الخداع. فالجماعة التي يُؤثر في سلوكها راسب استمرار الجماعات ودوامها تميل إلى استخدام العنف، أما الجماعة التي يُؤثر في سلوكها راسب التكامل فإنها تميل إلى استخدام الخداع والحيلة، ويتشكل الصراع السياسي في المجتمع من خلال الصراع بين هاتين الجماعتين من النُخْبة (جماعة الأسود، وجماعة الثعالب). ولا تتربع أي من هاتين الجماعتين على عرش السلطة إلى الأبد، فكل ارستقراطية زائلة لا محالة. فالجماعة التي تحكم لابد وأن يأتي عليها يوم تفقد فيه قوة الراسب الذي أوصلها إلى السلطة والتأثير، في الوقت الذي تكون

فيه الجماعة غير الحاكمة ساعية إلى تقوية الراسب الذي يُمكنها من أخذ زمام الأمور من الجماعة الآيلة للسقوط، تلك التي تبدأ من جديد في السعي نحو الحصول على مواقع السلطة والتأثير مرة أخرى، وهكذا تبدأ دورة ودورات النُخْبة[٢٢].

وبناءً على هذا الطرح فإن "باريتو" يحاول التأكيد على أن هناك ثمة رواسب للتغير وفرض الانهيار على الوجود الاجتماعي القائم، في مواجهة رواسب أخرى تفرض الحفاظ عليه والتمسك به، وهذه الفكرة ترتبط بالأساس الذي إنطلق منه "باريتو" وهو فكرة التوازن. فالخداع والعُنف يُمثلان – وكما يذهب بارسونز- قوتين خفيتين تعملان على الحفاظ على حالة التوازن داخل النسق، وفي هذا السياق يحاول "على ليلة" أن يُلفت النظر إلى قضية مهمة، مؤداها أن "باريتو" وإن كان قد أوضح تبدل رواسب النُخْبة، ومن ثم دورة النُخْبة، إلا أنه لم يوضح بصورةٍ حاسمة كيف تدوم عواطف الجماهير من غير تبديل أو تغير، تلك الجماهير التي تحكمها رواسب أخرى تُؤكد على ما هو قائم[٢٣].

(٢) موسكا وميشيلز ... القدرات التنظيمية وتكوين النُخْبة :

لقد أكد كل من " موسكا " Mosca و" ميشيلز" Michels على أن وجود النُخْبة في المجتمع يُؤشر على أن هناك أقلية منظمة، استطاعت أن تستثمر قدراتها التنظيمية –وبرعت في ذلك- لتحقيق التفوق والسيطرة على الجماعات الأخرى الأقل تنظيماً[٢٤].

(أ) موسكا (١٨٥٨م – ١٩٤١م)

لا تخلو أية كتابات حول أُطروحة "موسكا" الخاصة بالنُخْبة من إشارته الواضحة إلى أن كل المجتمعات من الأقل تطوراً إلى الأكثر تقدماً، تتضمن طبقتين من الأفراد؛ الأولى طبقة حاكمة ومُسيطرة، والثانية طبقة خاضعة ومحكومة، والطبقة التي تحكم تكون قليلة العدد، بينما الطبقة الخاضعة هي الأكثر عدداً، وتكون مُوجهة ومُسَيطر عليها بواسطة الطبقة الأولى[٢٥].

وتستمد هذه الطبقة المُسيطرة وجودها من حيازتها لبعض الخصائص ذات القيمة العالية من وجهة نظر معظم الأفراد في المجتمع. وأشار "موسكا" هنا إلى الثروة، أو الاهتمام بالصالح العام، أو التحكم في السلطة العسكرية، أو المركز الديني. غير أنه أكد على القدرة التنظيمية التي تتمتع بها هذه الأقلية على أنها أهم الخصائص جميعاً. ويتضح من هذه الصياغة أنه على الرغم من أن "موسكا" قد أشار إلى الثروة والتحكم في السلطة العسكرية –وهي إشارة تقربه من الصياغة الماركسية- إلا أن إصراره على الأساس التنظيمي للطبقة الحاكمة، وعلى كونها أقلية منفصلة عن الجماهير إلى حدٍ ما، هو السبب الذي جعل صياغته أقرب

إلى مفهوم النُخْبة منها إلى مفهوم الطبقة الحاكمة. ومما يُعضد ذلك إشارته إلى الصراع بين الجماعات السياسية المختلفة، وربط هذا الصراع بالديمقراطية، ومصدر الصراع عنده هو صراع المصالح بما تستند عليه من أُسس؛ كالانتخابات العامة، والدعوة إلى الليبرالية، والأساس البيروقراطي، والأساس الارستقراطي، على أن هذا الصراع على المصالح يظهر في شكل ديمقراطي، وليس في شكل صراع تتحكم فيه الخصائص النفسية للنُخْبة على نحو ما ذهب "باريتو"[٢٦].

(ب) ميشيلز (١٨٧٦م - ١٩٣٦م)

تتلمذ "روبرت ميشيلز" على يد أستاذه "موسكا" وتابع موقفه في دراسة النُخْبة، كما أنه دعمه فيما ذهب إليه، مشيراً إلى أن النُخْبة وسيطرتها تتوقف إلى حد كبير على طابعها التنظيمي[٢٧].

ولقد أكد "ميشيلز" على أن التنظيم يؤدى إلى حكم الأقلية، فإذا كانت القوة تُمارس بالضرورة داخل تنظيمات، فإن هذه المُمارسة لا تؤدى إلى توزيع القوة، وإنما تؤدى –على العكس– إلى تركيزها في أيدي مجموعة قليلة من الأفراد، فعندما نتحدث عن التنظيم، لابد وأن نتحدث بالضرورة عن الأوليجاركية. ويعتبر "ميشيلز" أن ذلك يُعد بمثابة قانون عام يحكم السلوك التنظيمي أياً كان، وأطلق على هذا القانون "القانون العام للأوليجاركية"، ودلل على صحته من خلال دراسته تنظيمات الأحزاب الاشتراكية، وخاصةً الحزب الاشتراكي الألماني وأكد على أن التنظيم الحزبي ما هو إلا قوة أوليجاركية يتم تأسيسها على أساس ديمقراطي[٢٨].

ولقد فسر "أحمد زايد" رأي "ميشيلز" هنا من زاويتين؛ الأولى : أن تشاؤمه بصدد الديمقراطية وتأكيده على حتمية القانون الحديدي للأوليجاركية قد يُفهم على أنه تصوير لأسلوب التحكم الذي يقوم على القهر سواءً في ديمقراطيات أوروبا الغربية، أو في النظم الاشتراكية الشرقية.

الثانية : أن هذا التشاؤم، فضلاً عن نقده للأحزاب الاشتراكية قد يُفهم على أنه محاولة لتأكيد الفكرة التي مؤداها أن النظم الاشتراكية التي تنبأ بها "ماركس" لن تُؤدى مُطلقاً إلى إعطاء مزيد من المشاركة الديمقراطية للجماهير، أو إلى مزيد من العدالة الاجتماعية، وإنما سوف تنتهي حتماً إلى الحكم القائم على الطغيان[٢٩].

(٣) جيمس بيرنهام ... والأساس الاقتصادى للنُخْبة :

يتفق "جيمس بيرنهام" J. Burnham مع "ماركس" في أن القوة تكون دوماً في حيازة

هؤلاء الذين يتحكمون في وسائل الإنتاج، وبهذا يتخذ "بيرنهام" موقفاً من النُخْبة يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي اتخذه كل من "موسكا وميشيلز وباريتو". فإن كان هؤلاء العلماء قد سعوا إلى هدم النظرية الماركسية في "الطبقة الحاكمة"، وإن كان الماركسيون –بدورهم– قد رفضوا نظرية النُخْبة بوصفها تعبيراً عن أيديولوجية برجوازية، فإن "بيرنهام" حاول المزاوجة بين النظريتين[٣٠].

ويُشير "بيرنهام" إلى أن النظام الرأسمالي في تدهور مستمر، وأنه سيتحول –تدريجياً– إلى مجتمع تُسيطر عليه نُخْبة إدارية تتولى شئونه الاقتصادية والسياسية، ولقد لجأ "بيرنهام" إلى كتابات علماء النُخْبة فاستعان بها في صياغة فروضه الأساسية. والتي كان من أهمها أن السياسة ما هي إلا كفاح ونضال وصراع بين الجماعات من أجل الحصول على القوة، وأن الجماعة الصغيرة في كل المجتمعات هي تلك التي تتولى –حتماً– اتخاذ القرارات الأساسية، وفضلاً عن ذلك نجد "بيرنهام" يستعين بكتابات علماء النُخْبة الكلاسيكيين في تحليل وتفسير مجرى التغير الاجتماعي فمصدر هذا التغير يكمن في بناء النُخْبة ذاتها أو استبدالها بنُخْبة أخرى[٣١].

ويُؤكد "بيرنهام" على أن نجاح النُخْبة أو فشلها في استمرار قوتها إنما يعتمد على احتكارها لوسائل الإنتاج، وهكذا سوف تضمحل النُخْبة إذا هي سمحت لجماعة أخرى بأن تُسيطر على وسائل الإنتاج أو تستحدث أساليبٌ جديدة. وعلى هذا فإن تفسير "بيرنهام" للتغيرات التي تطرأ على الوضع الطبقي هو تفسيرٌ ماركسي، ولكن تأكيده بأن النتيجة سوف تكون بالضرورة مُتمثلة في وجود طبقة حاكمة هو تأكيد مُستمد من نظريات النُخْبة[٣٢].

(٤) رايت ميلز ... والأساس النظامي للنُخْبة :

أوضح "رايت ميلز" W. Mills أن النُخْبة في المجتمع الأمريكي تكون مُدمجة في بنيات المجتمع، وعلى هذا فإن القوة التي يحوزها أعضاء النُخْبة هي قوة نظامية أو مؤسساتية، أو بمعنى آخر أن مصادر القوة التي يحوزها أفراد جماعة النُخْبة تكون كامنة في البنية التنظيمية للمجتمع[٣٣].

ولقد انتقد "ميلز" مفهوم الطبقة الحاكمة من حيث أنه مصطلح اقتصادي لا يستوعب عمليتي التحكم السياسي والتحكم العسكري، وهما ضربان من التحكم يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بنمط التحكم الاقتصادى الذي يُشير إلى مفهوم الطبقة الحاكمة، وبتعبير آخر، أنه لا يجب رد مجالات التحكم والسيطرة المتعددة إلى التحكم الاقتصادى، وعلى هذا الأساس اقتنع "ميلز"

بأهمية طرح مفهوم جديد يكون أكثر كفاءة في وصف وتفسير بناء القوة في المجتمع الأمريكي، خلال الحقبة التاريخية التي عاش فيها، ولقد كان هذا المفهوم هو "صفوة القوة"[٣٤].

ولقد طرح "ميلز" عدد من القضايا المهمة والتي منها :

١- أن التغيرات التكنولوجية، فضلاً عن التغيرات في النظم الاجتماعية قد أفرزت تركزاً للقوة لم يسبق له مثيل، ووسعت بالتالي من الهوة التي تفصل بين النُخْبة والجماهير.

٢- أنه لا يُمكن الحكم على طابع نُخْبة بعينها وعلى سياساتها العملية من مجرد النظر إلى الأصول الاجتماعية لأعضائها، ولكن ينبغي أن يتم ذلك من خلال دراسة علاقتهما بتشكل نظرة أعضاء النُخْبة من خلال التدريب والخبرة، وبالإطار التاريخي والنظامي الذي يوجدان فيه[٣٥].

وجوهر مفهوم "صفوة القوة" هو تعدُد مصادر القوة في المجتمع، غير أن تعدُد هذه المصادر لا يؤدى إلى توزيع القوة في المجتمع، أو حتى إلى تكوين صفوات متعددة، وإنما يؤدى إلى وجود نُخْبة واحدة قوية، مُتعددة الأسس، ولكنها مترابطة البُنيان[٣٦].

وعلى الرغم من تعدد المصادر التي يستمد منها أعضاء النُخْبة ميكانزمات قوتهم وسيطرتهم، إلا أن هناك خلفيات اجتماعية متشابهة مثلت المادة اللاحمة لهؤلاء الأعضاء، تلك التي سهلت قنوات الاتصال بين جماعات النُخْبة، على الرغم من أن "ميلز" قد إعترف أن مصالح وإهتمام هذه الجماعات لم تتقارب دائماً[٣٧].

ثانياً : روبرت دال ... ونظرية التعددية :

نشر "روبرت دال" R.Dahl عام ١٩٥٨م مقالاً مهماً أظهر فيه أهم السمات والخصائص التعريفية المرتبطة بالنُخْبة الحاكمة، وحاول أن يُحدد طريقة يُمكن من خلالها فحص وجود النُخْبة الحاكمة[٣٨]. وذهب "دال" إلى أن الفرض الكامن خلف مفهوم النُخْبة يُؤكد على وجود جماعة من الأفراد يُمارسون تأثيراً على فاعلية الآخرين داخل النسق، ولاختبار هذا الفرض لابد أن :

(١) تحديد المجال الذي تُمارس فيه القوة. فالقول بأن (أ) يمتلك قوة أكثر من (ب) قول غامض، طالما أنه لا يُحدد المجال الذي تظهر فيه قوة (أ).

(٢) تحديد الفروق في درجة التأثير النسبي للفاعلين الذين يقومون بأفعال متماثلة تجاه الجماعة التي يؤثرون عليها. وطالما أن هناك إجماع بين الجماعة على هذا التأثير النسبي، فإن معنى ذلك لا توجد صفوة حاكمة.

ويذهب "دال" إلى أن نظريات النُخْبة فشلت في اختبار فرضها الأساسي، وظهر لديها خلطٌ واضح بين النُخْبة الحاكمة وبين الجماعة التي تمتلك قدرة عالية على الضبط أو الضغط، أو بين النُخْبة الحاكمة وبين الجماعة التي تمتلك تأثيراً أكبر من غيرها داخل النسق السياسي. وفي مقابل ذلك يقترح "دال" اختباراً لنظرية النُخْبة، يعتقد أنه أفضل من غيره لأنه يبرز درجة التأثير النسبي للجماعات المختلفة في نطاق الممارسة السياسية. ويقوم هذا الاختبار على دراسة درجة تأثير الجماعات السياسية على القرارات السياسية[٣٩].

ويُشير "أحمد زايد" إلى أن المحقق أن هذا الرأي لا يكشف عن رغبة في إثبات وجود النُخْبة، وإنما هو محاولة لوضع أساس لرفض فكرة النُخْبة بادئ ذي بدء، ولقد اتضح ذلك من دراسة "دال" عن بناء القوة في مدينة "نيوهافن" والتي أكد من خلالها أنه عن طريق فحص عدد كبير من القرارات السياسية التي اتخذت في هذا المجتمع المحلى، ظهر أن القوة لا تتركز في أيدي جماعة بعينها، وإنما تتعدد درجة التأثير النسبي للجماعات المختلفة باختلاف درجة تأثيرها في هذه القرارات، وفيما يلي عرضٌ لأهم النتائج التي توصل إليها "دال" بشأن بناء القوة[٤٠]:

(أ) تتوزع القوة على جماعات متعددة، ولا تتركز في أيدي جماعة واحدة بأي حال من الأحوال. وتتضمن التعدُدية هنا الفكرة التي مؤداها أنه لا تُوجد حقيقة مُطلقة واحدة، وإن كل فاعل يؤدي أكثر من دور في وقت واحد، وأن هناك دائماً علاقات متقاطعة متعددة بين العناصر بحيث لا تُمثل إحداها موقعاً متميزاً عن الأخرى، ويترتب على ذلك ألا تتحكم جماعة واحدة في القوة، وإنما تتوزع تلك الأخيرة في المجتمع برمته من القاعدة إلى القمة.

(ب) أن هذا التوزيع التعدُدي للقوة ناتج عن التغيرات البنائية التي طرأت على المجتمع الأمريكي، فقد تحول هذا المجتمع من حكم الأقلية إلى حكم الأكثرية، وأصبح توزيع القوة داخله أكثر عدالةً عن ذي قبل.

(جـ) تتبدى القوة في التأثير على القرارات. فكلما زادت قُدرة الفرد على التأثير في القرارات السياسية كلما زادت قوته. وتتضمن هذه الصياغة القول بأن لكل فاعل مصادر قوة، وأنه يستطيع أن يكون قوياً بحق لو نجح في استخدام ما يمتلكه من مصادر في التأثير في عملية اتخاذ القرارات السياسية. كما تتضمن الصياغة فكرة المنافسة، فهناك عدداً كبيراً من الجماعات المتنافسة، ولكل واحدةٍ من هذه

الجماعات تأثيرٌ مُباشر أو غير مُباشر على مسألة من المسائل المطروحة على المسرح السياسي، غير أن كمية ودرجة التأثير تختلفُ من جماعة إلى أخرى، ويتشكل الكم النهائي للقوة من خلال الصراع الديمقراطي، ويُمكن أن نتعرف في هذا الصراع الديمقراطي على ثلاث جماعات أساسية؛ الناخبون وهم يُمارسون تأثير غير مُباشر من خلال مشاركتهم في عملية الانتخابات، والقادة وهم ينقسمون إلى جماعات مختلفة حسب درجة تأثير كل جماعة على القرارات السياسية، ويمارسون تأثيراً مباشراً وأخيراً تأتي جماعة شبه القادة في مكانٍ وسطٍ بين الناخبين وبين القادة.

(د) تُمارس الجماعات المختلفة تأثيرات عديدة في نطاقاتٍ محدودة، فلكل جماعة مركز ثقل في مجالٍ مُعين، وفضلاً عن هذا فإن الجماعة التي لها مركز ثقل في مجالٍ مُعين ينحدر أفرادها من أصول اجتماعية متشابهة، تختلف عن الأصول الاجتماعية للجماعات الأخرى التي تُمارس تأثيرات في مجالات أخرى.

وهكذا يُمكن التأكيد على أن التعدُّدية تُحاول التأكيد على أن التأثير الذي يُمارس على المسائل والقرارات السياسية لا يأتي إلا من مجموعة قليلة من الأفراد، وهي لا تكون نُخْبة واحدة، وإنما مجموعة من النُخَب تُمارس كل منها تأثيراً معيناً على مجموعة معينة من المسائل والقرارات السياسية[٤١].

ثالثاً : الاتجاه البنائي الوظيفي :

يستمد هذا الاتجاه جذوره الفكرية من خلال العديد من المصادر؛ منها رؤية "إميل دور كايم" والتي تعتمد على فكرة التفرقة ما بين نمطين من المجتمعات، ورؤية "بارسونز"، التي تعمل على التوليف ما بين عدد من الصياغات النظرية في صياغة عامة لوصف أشكال عديدة من المجتمعات[٤٢].

فالنسبة "لإميل دور كايم" يمكن التأكيد على أن فكرة التضامن الآلي والتضامن العضوي لم تُكن مجرد مقولة وصفية تحليلية ذات طابع تطوري فحسب، وإنما كانت أيضاً بمثابة وصف لشكلين من أشكال الفعل يختلف كل منها باختلاف التنظيم الاجتماعي الذي يسود فيه، فالتماسك الآلي يُوجد في المجتمع الذي يتصف بإحساس قوى وعام بالضمير الجمعي، فأي فعل ضد شخص ما يُعتبر فعلاً مُضاداً لكل الناس في المجتمع، وفي مثل هذا المجتمع البدائي تُوقع الجزاءات بطريقة آلية. كما يلاحظ أن الناس فيه متشابهون في أفكارهم وفي وجهات نظرهم، ونظراً لما لديهم من قيم وخبرات مشتركة فإنهم يُصبحون جميعاً كرجلٍ واحد ولهم

عقلٌ واحد، وبذلك يتحقق التماسك الاجتماعي بينهم، ولكن هذا التماسك تماسك آلي أو طبيعي[٤٣].

أما في المجتمعات الحديثة فإن الأمر يختلف عن ذلك تماماً، فأفراد المجتمع يختلفون في كثيرٍ من النواحي مثل الخبرات التي يمرون بها وتنشئتهم الاجتماعية وتدريبهم، أو بعبارة أخرى يختلفون نظراً لتقسيم العمل فيما بينهم، ويسود في هذا المجتمع ما يُسمى بالتماسك العضوي، وهذا النمط من التماسك يصاحب التقسيم المعقد في العمل الذي تتصف به المجتمعات الصناعية.

وعلى هذا الأساس ذهب "دور كايم" إلى أن عدد النُخَب في المجتمع يرتبط بطبيعة البناء الاجتماعي، فالنُخْبة في المجتمع التقليدي غيرها في المجتمع الحديث ويتزايد عدد النُخَب كلما تحول المجتمع من المستوى الآلي إلى المستوى العضوي، وتعقدت مظاهر تقسيم العمل وازداد التخصص المهني، وتكاثر النُخَب يؤثر على التباين البنائى في المجتمع، إذ كلما تنوعت الأنشطة في المجتمع ازداد عدد النُخَب وتعددت أنواعها، فبجانب النُخْبة السياسية الحاكمة هناك القيادات العسكرية والنُخَب الدينية، والنُخَب المثقفة، والنُخَب الاقتصادية، وهذه النُخَب جميعها تؤدى أدواراً أساسية، وهم يؤدون وظائف ترتبط بالحكم والإنتاج، والفكر والفن[٤٤].

أما "بارسونز" فلقد ذهب إلى أن النسق السياسي في المجتمعات الأقل تطوراً لم يُحقق استقلالاً جوهرياً عن الأنساق الأخرى وما يزال يرتبط بهذه الأنساق بروابط قائمة على الانتشار، ولهذا فإن المُمارسة السياسية أقل ديمقراطية، والقوة أقل انتشاراً، وهي تتركز في أيدي نُخْبة حاكمة سواءٌ على المستوى القومي أم المستوى المحلى، وإذا كانت هذه المجتمعات تسعى إلى اكتساب القيم القائمة على العمومية والإنجاز، إلا أن هذه القيم الجديدة لا تزال تصارع القيم التقليدية التي ترتبط بالخصوصية، والنُخْبة هي الحاملة لهذه القيم الجديدة، كما أنها تسعى إلى تشكيلها وصياغتها في نظم اجتماعية، وعلى الرغم من اضطلاع النُخْبة بهذه المهمة، إلا أن الصياغة النظامية لهذه القيم الحديثة لا تزال تمر بمرحلة من عدم الاستقرار والصراع[٤٥].

ويؤكد "بارسونز" على أن شريحة النُخْبة تنظر إلى المسئولية السياسية بوصفها مسألة تقليدية بالنسبة لها، وأن هذه شريحة مُركب يضم عناصر من رجال الأعمال وعناصر أخرى. ويُعقب "على ليلة" على هذه الرؤية بقوله أنه من الملاحظ التأثير الواضح لأفكار "باريتو" عن النُخْبة التي تُشكل شريحة فوق الجماهير حيث يطالبها "بارسونز" بأن تتحمل مسئولياتها

في قيادة المجتمع الأمريكي، فهي شريحة تتأصل فيها المسئولية السياسية. ومن الطبيعي أن تتناقض أفكار "بارسونز" عن النُخْبة مع الأيديولوجيا الديمقراطية التي يأخذ بها المجتمع الأمريكي[٤٦].

ويمكن بعد هذا العرض التأكيد على أن أهم العيوب المرتبطة بهذه النظرية، اعتبارها أن التوزيع غير المتكافئ للأجور، وما يترتب عليه من عدم مساواة في توزيع العوائد والفوائد حسب المراكز والأوضاع الاجتماعية المختلفة، أمرٌ ضروري لضمان شغل أفراد أكفاء للمناصب الحيوية، خاصة وأن تلك المناصب مهمة في تحقيق تكامل واستقرار المجتمع[٤٧].

وعلى هذا الأساس تعامل هذا الاتجاه مع جماعات النُخْبة بوصفها جماعات لا غنى عنها من أجل تحقيق التكامل ما بين عناصر البناء الاجتماعي.

رابعاً : النُخْب الاجتماعية .. نحو تجديد الفكر النُخْبوي :

يعكس الطرح السابق لمختلف الاتجاهات النظرية التي اهتمت بمفهوم النُخْبة الظلال الأيديولوجية التي لازمت هذا المفهوم، إضافة إلى الربط ما بين النُخْبوية والسمات السيكولوجية للأفراد، وجاءت الصياغة التي طرحها كل من "باريتو" و "موسكا" و"ميشيلز" لمفهوم النُخْبة كما تم عرضها فيما سبق، صياغة لا تخلو من التحيز، إضافة إلى إغفالها للأسس المادية وأُسس التحكم السياسي، والتي لا تقل أهمية عما طرحوه من أُسس تقف خلف تكوين النُخْب وتشكيلها، ولهذا تم رفض هذه الصياغات من قِبل علماء التعدُدية، سواء أولئك الذين ينتمون للوظيفة، أو الذين ينتمون للمدرسة السلوكية.

ومع بداية الحديث عن النُخْب المتعددة، واستخدام هذا المفهوم من قبل "دال"، والتأكيد عليه وتوضيحه بشكلٍ أكثر من خلال دراسة "سوزان كيلر" Killer والتي افترضت فيها وجود نخب استراتيجية في ميادين الحياة المختلفة (الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والمجتمع المدني) ولكل واحدة من هذه النُخْب وظيفة ودور في ميدان وجودها، لذا فقد أصبح الحديث مُتاح حول نخب ثقافية ونخب اجتماعية، تعمل وتؤدى دورها في المجتمع دون أن تصل إلى الحكم، أو دون أن تُسيطر على المجال المركزي للقوة، ولم يظهر هذا التوسيع لاستخدام مفهوم النُخْب السياسية في التراث الوظيفي والسلوكي فقط، بل ظهر في الصياغات الماركسية أيضاً، خاصة تلك التي اهتمت بتطوير نظرية "ماركس" حول الدولة، وقد كان على رأس أولئك الذين اهتموا بهذا التطوير عالم الاجتماع البريطاني "رالف ميلباند" Miliband الذي انشغل بقضية العلاقة ما بين الدولة والطبقة، لقد أصبحت الطبقة الحاكمة في صياغته طبقة

مُسيطرة تنقسم من الداخل إلى عدد من النُخَب الاقتصادية؛ وهي النُخَب التي تسيطر على إدارة الاقتصاد كما تُسيطر على إدارة الدولة، ولكن سيطرتها على إدارة الدولة تتم من خلال نُخْبةٌ أخرى هي نُخْبة الدولة، وهي تتكون بدورها من نخب فرعية تعكس المؤسسات الرئيسة للدولة؛ الحكومة، والإدارة، والجيش، والبوليس، والمؤسسات القضائية، والحكومة المحلية، والهيئات البرلمانية[٤٨].

وعلى ضوء التراث البحثي الضخم المرتبط بمفهوم النُخْبة، جاء اشتباك "أحمد زايد" مع هذا الفكر ليطرح مفهوم النُخَب الاجتماعية، والذي يعتقد أنه المفهوم الذي سوف يسمح بفتح مجالات واسعة للبحث في مجال القوة، لا على أنه مجال مركزي، ولا على أنه مجال له استقلاله الخاص عن صور السيطرة الأخرى فحسب، بل لأنه مجالٍ عام تظهر فيه صور للسيطرة والتحكم عبر مستويات مُتعدُدة في البنية الاجتماعية، وتتبدى فيه صور التشابك بين ما هو سياسي وما هو غير سياسي، وفي داخله يُصبح كل شئ قابل للتحول والاستخدام، بمعنى أنه مجال يُتيح لمن يدخل إليه أن يحول كل ما يمكن من موارد وعلاقات إلى وسائل لتثبيت المكانة السياسية والاجتماعية وإعادة إنتاجها.

وتعد هذه الفكرة التي يطرحها "أحمد زايد" نقطة الانطلاق للدراسة الراهنة، فليس هناك خلاف على أهمية طرح مفهوم النُخَب الاجتماعية، وهذا يتضح من عنوان هذه الأطروحة، ولكن الدراسة الراهنة تحاول الاشتباك مع الفكرة التي يطرحها "أحمد زايد" من خلال تطوير رؤية نظرية تستفيد من طرحه، بالإضافة إلى توظيف عدد من المفاهيم والأفكار التي طرحها "بورديو" بهدف الوصول إلى صياغة نظرية موضوعية، يُمكن اختبارها إمبيريقياً.

يُشير مفهوم النُخَب الاجتماعية إلى أي جماعة اجتماعية يحوز أفرادها أكبر قدر من رأس المال النوعي المرتبط بمجال معين، من مجالات الفضاء الاجتماعي، ولديهم من الاستراتيجيات ما يُمكنهم من مراكمة وتدوير هذا القدر من رأس المال النوعي، وتحقيق أهدافهم وحصد المغانم والعوائد القيمة.

ويحاول الباحث من خلال هذا التعريف لمفهوم النُخَب الاجتماعية الربط بين هذا المفهوم ومفاهيم المجال، ورأس المال، ومفهوم الاستراتيجية. وسوف يركز الباحث في هذا السياق على مفهوم المجال، وإحالة الطرح الخاص بمفهوم رأس المال ومفهوم الإستراتيجية إلى الفصل الثالث من الدراسة الحالية.

يُعد مفهوم المجال من المفاهيم المهمة والمحورية داخل الطرح الخاص "ببير بورديو"[٤٩].

ويمكن التدليل على ذلك إذا تم الكشف عن أن "بورديو" يتعامل مع المجتمع بوصفه فضاء اجتماعي، يتضمن عدداً من المجالات الفرعية، كما يستبدل "بورديو" مفهوم الفضاء الاجتماعي أحياناً بمصطلح المجال الاجتماعي العام، حتى يميزه عن المجالات الفرعية[٥٠].

والمجال هو نظام بنائي للأوضاع الاجتماعية التي يحتلها الأفراد أو الجماعات، أو هو نظام للقوة التي تُوجد بين مُختلف الأوضاع الاجتماعية، فالمجال بناء يتضمن علاقات القوة بين الأفراد من أجل السيطرة على الفوائد والمنافع، أو الموارد الاجتماعية لرأس المال، والوصول إلى الرهان الخاص بالمجال. أو بمعنى آخر فإن المجالات هي فضاءات تتصارع وتكافح وتتنافس فيها الجماعات المسيطرة والتابعة من أجل حيازة الموارد والسيطرة عليها، وكل ميدان يكون مرتبط بشكلٍ أو أكثر من أشكال رأس المال، وبالفعل كلٌ من "بورديو" و "واكوانت" Wacquant قد أوضحا أن رأس المال لا يعمل ولا يكون موجود ولا يؤدى وظائفه إلا في ظل وجود مجال[٥١].

ويؤكد "بورديو" على أن بنية المجال هي حالة لعلاقة القوة بين العناصر الفاعلة أو المؤسسات المشتبكة في الصراع، أو هي حالة لتوزيع رأس المال النوعي الذي تراكم في مجرى الصراعات السابقة، وأصبح –أي رأس المال النوعي- يُوجه الاستراتيجيات التالية، وهذه البنية التي هي مصدر الاستراتيجيات الموجهة، هي نفسها مشاركة دائماً في اللعُبة، فالصراعات التي يكون المجال مسرحاً لها يصير رهانها احتكار العنف الشرعي (سلطة نوعية) وهي الصفة المميزة لمجالٍ معين، ويعنى ذلك في النهاية الحفاظ على بنية توزيع رأس المال النوعي أو تدميرها[٥٢].

وكل مجال في الفضاء الاجتماعي له مجموعة من العلاقات بما يحيط به من مجالات أخرى، بعضها يحكمه التجانس، وأحياناً يكون للمجال سطوة على محيطه، من جراء تحصنه بسورٍ منيع، هذا السور أو الحد لا يُغلق المجال، أي أنها ليست منطقة لفظ وطرد للبرانى في أي صورةٍ كان، أنه منطقة تبادل واصطفاء، فالاستقلالية لا تقضى على التبعية بشكلٍ مطلق، ولكن يمكنٍ فهمها على أنها انفتاح على مجال السلطة بمعنى المجال الاجتماعي العام[٥٣].

وبالإضافة إلى ذلك فإن "بورديو" يُشير إلى أن حدود المجال حيث ينتهي تأثيره، أي حيث تفقد رهانات وأسهم اللُعبة تأثيرها[٥٤]. وأن لكل مجال قوانينه العامة، أنها قواعد غير منطوقة تحدد ما الذي يصح قوله أو إدراكه داخله، وما الذي ينبعى ألا يرد ذكره على اللسان، أو ينبغي أن يظل خارج مدى الرؤية[٥٥]. ويمكن إيجاز هذه القوانين على النحو التالي[٥٦].

١- تتشكل المجالات حول علاقة القوة بين العناصر الفاعلة (ويقصد بالعناصر الفاعلة

الأفراد أو المؤسسات) والمتصارعة في نفس الوقت، أو أن المجالات تتشكل حول توزيع رأس المال النوعي (ورأس المال النوعي هو كل رأس مال له فاعليته في مجال معين). ومعنى هذا أن علاقات القوة هي التي تُشكل المجالات المختلفة داخل الفضاء الاجتماعي، وبالتالي هي التي تبنى المجتمع.

٢- أن المحتكرين لرأس المال النوعي في مجال ما (النُخْبة)، يميلون إلى استراتيجيات المحافظة على الوضع، لما لهم فيه من مصالح معينة، بينما يميل المجردون من رأس المال إلى استراتيجيات من شأنها تدمير البنية القائمة والقضاء عليها، أو مقاومة علاقات القوة السائدة داخل المجال.

٣- أن كل المنتمين لمجال ما تجمعهم مصلحة مشتركة، وهي المحافظة على بقاء واستمرار المجال في ذاته، ويجُمعون على أن ما يتصارعون بشأنه داخل هذا المجال، هو بالفعل يستحق الصراع من أجله.

ويُحلل "بورديو" المجالات وأوضاع الفاعلين داخلها على أساس مبادئ للتفرقة بين الفاعلين، ويفترض أن هذه المبادئ تنحصر في مبدأين :

الأول: هو الحجم الكلى لرأس المال. **والثاني**: هو تركيبة هذا الحجم الكلى من رأس المال، وبذلك يحلل "بورديو" المجال على أساس محورين؛ محور رأسي يقيس الحجم الكلى من رأس المال، ومحور أفقي يحدد تركيبته ومكوناته، ويفترض أن رأس المال الاقتصادى والثقافي هما بلا شك أكثر أنواع رأس المال تأثيراً في البلدان الصناعية كالولايات المتحدة واليابان وفرنسا. وعلى هذا الأساس فإن الفاعلين تجمعهم أشياء مشتركة (ويقصد أساليب العيش والميزات الاجتماعية) كلما كانوا يحتلون أوضاعاً متقاربة داخل المجال، والعكس صحيح. ومثال ذلك أن الحائزين لحجم كبير من رأس المال الكلى؛ أمثال أرباب العمل، وأساتذة الجامعات، يتعارضون بشكل شامل مع غير الحائزين؛ أمثال العمال غير المؤهلين، والأجراء الزراعيين، أما من حيث الوزن النسبي لرأس المال الاقتصادى والثقافي، فيتعارض أساتذة الجامعات (وهم الأغنى نسبياً في رأس المال الثقافي عن رأس المال الاقتصادى) مع أرباب العمل (وهم الأغنى نسبياً في رأس المال الاقتصادى عن الثقافي)[٥٧].

وبناءً على هذا الطرح السابق، يُمكن الإشارة إلى أن المجتمع يتكون من مجموعة من المجالات الفرعية، وداخل كل مجال من هذه المجالات يُوجد الفاعلون (أفراد أو مؤسسات) الذين يتنافسون ويكافحون داخل هذا المجال، من أجل حيازة ومراكمة رأس المال النوعي الذي يتضمنه المجال، وفي حال نجاح الفاعل في حيازة ومراكمة أكبر قدر من رأس المال النوعي الخاص بالمجال، فإنه يدفع بنفسه إلى وضع اجتماعي مُعين، يتماثل مع مقدار القوة الذي

يستمده من الحجم الإجمالي لرأس المال الذي نجح في حيازته ومراكمته، وبهذا يُصبح من نُخْبة هذا المجال، أو من المُسيطرين على هذا المجال. وعلى هذا النحو فإن كل مجال يُفرز النُخْبة الخاصة به.

ومراكمة الفاعل لرأس المال داخل مجال معين، لا تأتى صدفة ولكنه –أي الفاعل- يحتاج في هذه العملية إلى الاستراتيجيات والخطط التي تُوجهه، وهذه الاستراتيجيات على حد قول – بورديو- لا تكون شعورية أو يمكن حسابها أو تحديدها بشكلٍ آلي، ولكن يُنظر إليها بوصفها النتاج الحدسي البديهي لقواعد اللُعبة[٥٨].

ولأن كل الأفراد –على حد قول "سان سيمون"- يرتبطون بحالة احتياج دائم إلى القوة[٥٩]. فإن الفاعل الذي يتمكن من حيازة رأس المال النوعي في مجال معين ومراكمته، يحاول بالاعتماد على عملية تدوير رأس المال، أن يُحول رأس المال الذي يمتلكه إلى شكلٍ آخر من أشكال رأس المال يُحقق له مزيد من القوة مدى أمكن ذلك، وقد تنقله هذه العملية من مجال إلى آخر، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال أن هناك بعض أساتذة الجامعات الذين يحوزون مقدار كبير من رأس المال الثقافي، يُمكن لهم الوصول إلى أعلى المناصب داخل المجال الثقافي، وفي حال نجاحهم في تدوير هذا المقدار من رأس المال الثقافي إلى أشكال أخرى من رأس المال، قد نجدهم أعضاء بارزين في المجال السياسي (كتولي منصب وزير، أو محافظ)، خاصة وأن عمل وحركة المجالات الفرعية داخل الفضاء الاجتماعي، يتم مراقبتها وتوجيهها من خلال الدولة، والتي يؤكد "بورديو" على قدرتها للقيام بذلك حيث يتراكم في حيزها كل رؤوس الأموال[٦٠].

وبناءً على ما سبق، يُمكن التأكيد على أن المجتمع يتضمن مجموعة متعددة من المجالات، ولكل مجال من هذه المجالات نُخْبة خاصة به، هذه النُخْبة تتضمن مجموعة الأفراد الذين نجحوا في حيازة ومراكمة أكبر قدر من رأس المال النوعي الذي يتضمنه المجال، وهذا القدر من رأس المال يرتبط بقدر من القوة والسلطة، وهنا لا تُوجد قوة أو سُلطة واحدة، ولكن لكل مجال قوته وسلطته[*]. ويبقى هنا السؤال عن الكيفية التي يعمل بها رأس المال في تكوين النُخَب داخل المجالات المتعددة؟ والإجابة عن هذا السؤال هو موضوع النقاش في الفصل التالي.

(*) لقد كان هذا المدخل، إحدى الإجراءات المنهجية التي اعتمد عليها «أحمد زايد» في دراسته عن جماعات النُخْبة في المجتمع المصري.

التعقيب:

من خلال مناقشة مفهوم النُخْبة يُود الباحث التأكيد على عددٍ من الملاحظات التي أفاض بها هذا الطرح، وأهم هذه الملاحظات ما يلي:

١- إذا ما تم تجاوز الإشكاليات المنهجية والنظرية المرتبطة بمفهوم النُخْبة، والتباس هذا المفهوم أيضاً بمضامين أيديولوجية، يُمكن التأكيد على أن الرؤية الكلاسيكية لمفهوم النُخْبة والتي طرحت من خلال مجموعة من العلماء أمثال "باريتو، وموسكا، وميشيلز" استمرت تأثيراتها على الرؤى المعاصرة، خاصة وأن معظم المحاولات التي تعاملت مع مفهوم النُخْبة اعتمدت على هذه الرؤية الكلاسيكية.

٢- على الرغم من التحولات التي شهدها علم الاجتماع في العقدين الماضيين إلا أن الفكر السوسيولوجي لم يقدم جديداً فيما يرتبط بمفهوم النُخْبة وقد يرجع ذلك إلى تراجع استخدام هذا المفهوم في المجتمعات الغربية.

٣- يُمكن النظر إلى مفهوم "النُخَب الاجتماعية" بوصفه التجديد القوى داخل الفكر النُخْبوى، خاصة وأن هذا المفهوم يُحاول البحث في طبيعة النفوذ الاجتماعي وليس النفوذ السياسي فحسب، وهذا يربط ما بين القوة والمجالات الاجتماعية، أو بمعنى آخر، أن مفهوم النُخَب الاجتماعية يربط ما بين الأشكال المختلفة لرأس المال، والتي يرتبط كل شكل منه أو شكلين بمجال اجتماعي معين، وبين تحقيق النُخْبوية داخل المجالات المختلفة، أي أن النُخَب الاجتماعية هي جماعات من الأفراد يحوزون الرصيد الأكبر من رءوس الأموال المرتبطة بالمجال الذي يكافحون فيه من أجل القوة ومن أجل الفوز بالرهانات التي يقدمها هذا المجال.

٤- أن فكرة الربط ما بين الأشكال المختلفة لرأس المال، وبين تكوين النُخَب الاجتماعية، قد تكون ملائمة للتعامل مع إشكالية مهمة ارتبطت بطرح مفهوم النُخَب الاجتماعية، ألا وهي إشكالية التوزيع الهيراركى لجماعات النُخَب الاجتماعية، حيث افترض أن التباين في حجم الرصيد الذي يمتلكه الفرد من رأس المال، ونوعية رأس المال ذاته هي المسئولة عن هذا التوزيع الهيراركى، وقيمة نوعية رأس المال داخل التكوين الاجتماعي، ترجع في الأساس لعوامل بنائية داخل هذا التكوين، أضف إلى ذلك قدرات الفرد على تكوين ومراكمة رصيده من رءوس الأموال، وتعبئة هذا الرصيد نحو الوصول للمكانة الاجتماعية المرموقة.

وتأمُل الباحث الاتجاهات النظرية والتراث النظري والإمبيريقي المرتبط بها، أفضى إلى

عدد من الملاحظات النظرية والمنهجية حول هذه الاتجاهات، والتي يمكن عرضها فيما يلي :

(١) أن مُجمل هذه الرؤى، خلقت من مفهوم النُخْبة، مفهوماً محورياً في الفكر السوسيولوجي عامة، والفكر المرتبط بعلم الاجتماع السياسي بشكل خاص، بالإضافة إلى أن أصحاب هذه الرؤى قد عالجوا مفهوم النُخْبة من خلال العديد من الطرق والأساليب، وتمخض عن ذلك صور عديدة من الجدل والنزاع حول هذا المفهوم، وإن كان هناك عاملٌ مشترك بين هذه الرؤى، فإنه قد يكون التأثير على أن مفهوم الديمقراطية كان تدليساً وخداعاً، حيث أنه لم يكن يتطابق مع الواقع والحقيقة[٦١].

(٢) التأكيد على أهمية الافتراض الذي طرحه "أحمد زايد" في دراسته عن جماعات النُخْبة القديمة والجديدة في المجتمع المصري، والذي مؤداه أن النظرية الماركسية كانت مُحركة وموجودة في معظم هذه الرؤى الكلاسيكية لمفهوم النُخْبة. فالواضح من تأمُل هذه الرؤى، هو أن أصحابها استوعبوا جيداً النظرية الماركسية، خاصة رؤية "ماركس" حول الطبقة الحاكمة.

(٣) أن مُجمل الدراسات التي حاولت دعم نظريات النُخْبة، انطلقت من خلال الاعتماد على سؤالين هما: من الذين يتم اختيارهم لمواقع معينة في المجتمع؟ وكيف يتم هذا الاختيار؟ وفي العادة تتم الإجابة عن السؤال الأول من خلال فحص الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء الذين يتولون المناصب، أو المرشحين لذلك، وهذا سوف يُؤهلهم للدخول كأعضاء في النُخْبة، مثال: أعضاء الهيئات القانونية وأصحاب المناصب السياسية والإدارية في الدولة، وفي بعض الأحيان من يحتلون المناصب العليا في الأحزاب السياسية والمنظمات والمؤسسات الأخرى، التي يعتقد أنها مهمة في ممارسة القوة وحيازتها. ولقد كان نتيجة فحص هذه الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية، في عدد من الدراسات أن النُخَب لا تُمثل السكان الذين ينتمون إليها طبقاً للعوامل الاجتماعية والاقتصادية، أو بمعنى آخر أنه على ضوء الجوانب والأصول الاجتماعية والاقتصادية لا تكون جماعة النُخْبة مُمثلة للسكان الذين ينحدرون منهم، ومع القليل من الاستثناءات تميل النُخَب إلى الانحدار من طبقات المجتمع العليا في جوانب التعليم، والوظيفة، والدخل، والمكانة الاجتماعية والاقتصادية[٦٢].

(٤) أشارت بعض هذه الدراسات إلى أنه من المفترض أن الذين يحتلون المناصب والمراكز العُليا في المجتمع يمارسون بالفعل القوة، وهم الذين يتخذون كل القرارات المهمة.

(٥) أما السؤال الثاني والذي يرتبط بكيفية اختيار أعضاء النُخْبة، يعلن عن نفسه كثيراً

في عدد من الموضوعات والمشكلات التي يعبر عنها "ميشيلز" بقدرة النُخْبة على أن تدخل وتدمج ذاتها داخل مراكز القوة والتأثير. وبالتالي فإن هذا السؤال يرتبط بعملية تعبئة وحشد الأفراد. وبالطبع فإن الكثير من المناصب والمراكز السياسية تكون بالانتخاب، ولكنها في حالات أخرى يكون الاختيار أو الترشيح في أيدي مجموعة صغيرة من الأفراد، وهذا بدوره يدعم أفكار "ميشيلز" حول حكم الأقلية.

(٦) ولقد برز "مدخل واتجاه الشهرة" كآلية مهمة من آليات اختبار نظرية النُخْبة، وارتبط هذا المدخل بعمل "فلويد هنتر" Floyd Hunter والذي يحمل عنوان "بنية القوة في المجتمع المحلى ... دراسة على متخذي القرار"(*). وقد قام "هنتر" بسؤال مجموعة من أفراد المجتمع عن الأفراد الذين يرون أنهم يتخذون القرار في "أطلنطا" وطلب منهم الاختيار من القوائم التي وفرتها عدد من المؤسسات، مثال الغرفة التجارية، ومحرري الصحف والقادة المدنيين، وخلص "هنتر" من هذا، إلى أن "أطلنطا" يتحكم فيها ويُسيطر عليها نُخْبة تُجارية أو نُخْبة من رجال الأعمال(٦٣).

(٧) لقد أضافت التعددية إلى تُراث دراسة النُخْب، من خلال تأكيدها وربطها ما بين حيازة القوة وممارستها وبين المجال، وهذا بدوره يدعم فكرة تعدد النُخْب في المجتمع، حيث أن كل مجتمع يتضمن عدد من المجالات. وبالإضافة لذلك فإن أهم الانتقادات التي وجهت إلى نموذج التعدُدية كما ظهر في دراسة "نيوهافن" هو أن هذا النموذج لم يكن نموذجاً يُحتذى به، بمعنى إذا لم يكن هناك سبب للتشكيك في نتائج هذه الدراسة، فإن هناك احتمالية عدم صلاحية تطبيق نموذجها النظري في مدن أخرى(٦٤).

وعلى أية حال فإن من أخطر الانتقادات التي تم توجيهها إلى نظرية التعدُدية، يرتبط بما أطلق عليه "ستيفن لوكس" Steven Lukes البعدين الثاني والثالث للقوة، وفي هذا السياق تمت الإشارة من خلال كلٌ من "باتراك ، وبارنز" إلى أن علماء نظرية التعدُدية عالجوا فقط القرارات التي يُمكن مُلاحظتها، والقضايا التي يمكن أن تدخل بالفعل في الأجندة السياسية، وتجاهلوا بالتالي القضايا والقرارات البعيدة عن هذه الأجندة. وهذا هو البعد الثاني، أما البُعد الثالث فيوضحه "لوكس" ويشير إلى أنه يرتبط بالصراعات الكامنة، التي تنشأ من خلال المصالح والمنافع والاهتمامات الحقيقية لأعضاء المجتمع(٦٥).

(*) يذهب "بورديو" فى هذا السياق إلى أن السوسيولوجيا علم لا يختزل البحث فيه عن سُلطة واحدة، فالسُلطة سُلط وكل واحدة مرتبطة بالمجال الذي تمارس فيه..

هوامش الفصل الأول

(١) أحمد زايد، النُخَب السياسية والاجتماعية .. مدخل نظري مع إشارة خاصة إلى تشكلها في المجتمع المصري، في "النُخَب الاجتماعية"، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ص ٣٦-٣٧.

(2) Anthony Giddens. Elites in The British Class Structure, in The Sociology of Elites. John Scott (ed). Vol. 1. Edward Elgar Publishing Limited, London. 1990, PP. 345- 349.

(3) John Scott. Sociology … The Key Concepts, Rutledge. London, 2006. P. 65.

(٤) أحمد زايد، النُخَب السياسية والاجتماعية .. مدخل نظري، مرجع سابق، ص ٣٧.

(5) S.F. Nadel. The Concept of Social Elites. in John Scott (ed). The Sociology of Elites. Vol.1. Edward Elgar publishing, London, 1990,P. 414.

(٦) صابر محمد عبد ربه، موقف الصفوة من النظام العالمي الجديد .. دراسة ميدانية، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ٢٣.

(7) Micheal Rush, Politics and Society, Rentice Hall, London, 1992, P. 59.

(٨) بوتومور، الصفوة والمجتمع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م،ص٥١.

(9) George Lenczowshi, Some Reflection on The Study of Elites, In Political Elites in Middle East, American Enterprise Institute for Public Policy Research Washington, 1975,P. 6.

(10) Anthony Giddens, Elite in The British Class Structure, Op.Cit., P. 348.

(11) William Genieys, The Sociology of Political Elites in France : The End of an Exception ?, International Political Science Review, Vol. 26, No. 4. 2005, P. 416.

(12) Daniel Steven and Others. Authoritarian Attitudes. Democracy and Policy Preferences Among Latin American Elites. American Journal of Political Science, Vol. 50, No. 3, July 2006. P. 607.

(13) John Scott, Sociology, the Key Concepts, Op. Cit., P. 65.

(١٤) أميمة أبو الخير، النُخْبة النسوية .. رؤية سوسيولوجية، مجلة الديمقراطية، العدد (٢٥)، مركز الدراسات والبحوث السياسية، القاهرة، يناير ٢٠٠٧م، ص٨٠.

(*) انظر في ذلك :

- S. F. Nadel, The Concept of Social Elites. Op. Cit., PP. 419 -425.

- أحمد زايد، النُخَب السياسية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ص ٩-١٨.

(١٥) أحمد زايد، تناقضات الحداثة في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص ١٧٥-١٧٦.

(١٦) انظر في ذلك :

- S.F. Nadel, The Concept of Social Elites, Op. Cit., P. 419.

- Kaare Svalastoga, Elite and Social System. http://asjSagepub.Com. 22/ 2/ 2007, P.13.

(١٧) مايسة الجمل، النُخْبة السياسية في مصر ... دراسة حالة للنُخْبة الوزارية، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٨) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري ... تحليل لجماعات الصفوة القديمة والجديدة، مرجع سابق، ص ص ٣٨-٣٩.

(19) Micheal Rush, Politics and Society, Op.Cit., P.63.

(**) يشير "عاطف غيث" في هذا السياق إلى أن علم الاجتماع عند "باريتو" يعتبر محاولة لتطبيق فكرة التوازن التي أدخلها "والراس" Walras في دراسة الاقتصاد، والتي تناولها باريتو بالدراسة، ووقف عليها قسطاً كبيراً من جهوده. انظر في ذلك :

- محمد عاطف غيث، تاريخ النظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٤٣.

(٢٠) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢١) انظر في ذلك :

- بوتومور، الصفوة والمجتمع، مرجع سابق، ص ٦٨.
- جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثاني، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٨٧٥.
- أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢٢) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢٣) على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٥١٦.

(24) Micheal Ruch, Politics and Society, Op.Cit., P. 60.

(25) Ali Farazmond, The Elite Question : Toward a Normative Elite Theory of Organization. Administration & Society, Vol.31. No.3, July 1999, P.330.

(٢٦) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢٧) ثروت على الديب، جماعات الصفوة في مدينة مصرية صغيرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٠م، ص ٢٧.

(٢٨) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢٩) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٣٠) بوتومور، الصفوة والمجتمع، مرجع سابق، ص ١٠.

(٣١) المرجع السابق، ص ١٠.

(٣٢) محمد على محمد، أصول الاجتماع السياسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ١٩٢.

(33) Micheal Rush, Politics and Society, Op.Cit., P. 65.

(٣٤) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٣٥) بوتومور، علم الاجتماع والنقد الاجتماعي، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص ص ١٧٣-١٧٤.

(٣٦) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٤٨.

(37) Rod Hague and Others, Comparative Government and Politics, Macmillan Press, London, 1992, P.14.

(38) K. Newton, A Critique of the Pluralist Model, Acta Sociological. No.12, 1969. P.209.

(٣٩) لمزيد من التفاصيل حول هذا الاختبار، انظر :

- المرجع السابق، ص ٢٠٩ وما بعدها.

- Micheal Rush, Politics ad Society, Op.Cit., P.66.

- أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، ص ص ٥٥-٥٦.

- إسماعيل على سعد، نظرية القوة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٤٧-٢٥٤.

- Rod Hague and Other, Comparative Government and Politics, Op.Cit., PP. 14- 15.

(٤٠) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ص ٥٧-٥٨.

(٤١) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٤٢) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ص ٧٧-٧٨.

(٤٣) يمكن مراجعة أفكار البنائية والوظيفية وأفكار "دور كايم" من خلال :

- سمير نعيم، النظرية في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١٠٤-١١٣.

- على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، مرجع سابق، ص ص ٢٥٧-٣١٥.

(٤٤) محمد سعيد فرح، الصفوة المصرية والشخصية، في علم الاجتماع والرعاية الاجتماعية، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٠٧.

(٤٥) المرجع السابق، ص٨٦. ولمزيد من التفاصيل حول أفكار بارسونز انظر :

- جى روشيه، علم الاجتماع الأمريكي .. دراسة لأعمال بارسونز، ترجمة محمد الجوهري-أحمد زايد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

(٤٦) ألفن جولدنر، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ترجمة على ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٨٦.

(47) Vincent Jeffries, H. Edward, Social Stratification, Allyn and Bacon, London, 1980. P.58.

(٤٨) أحمد زايد، النُخَب السياسية والاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٩.

(49) Paul Dimaggio. on Pierre Bourdieu, The American Journal of Sociology, Vol.84, No. 6, May 1979, P. 1463.

(50) Craig Calboun, Critical Social Theory, Black Well, oxford, 1995, P.140.

ولقد استخدم بورديو مصطلح الفضاء الاجتماعي كعنوان لأكثر من دراسة له، منها :

- Bourdieu, Social Space and Symbolic Power, Sociological Theory, Vol.7, No.1, Spr.1989.

(٥١) انظر في ذلك :

- بورديو، العقلانية العملية، ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٢٠.

- Richard Jenkins, Pierre Bourdieu, Op.Cit., PP. 84- 85.

- Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender and School Success, Op.Cit., P.46.

(٥٢) بورديو، أسئلة علم الاجتماع، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٣٢.

(٥٣) بورديو، باسرون، إعادة الإنتاج... في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ص ٤٣-٤٤.

" العلاقة بين المجالات المتعددة التي يتضمنها الفضاء الاجتماعي علاقة جدلية، فهناك علاقات ما تربط بين بعض المجالات وبعضها الآخر، دون أن يفقد أي منهما حدوده وهويته، وهناك مجالات تلاشت وتفككت حدودها وتحللت هويتها في مجالات أخرى، وهناك مجالات ثالثة علت كافة المجالات، وهذا هو شأن المجال السياسي أو ما يعبر عنه بورديو بعلاقات السلطة ".

(54) Alexander Lellatchitch. and Others, The Filed of Career .. Towards A New Theoretical Perspective, Op.Cit., P.3.

(٥٥) بيير بورديو، قواعد الفن، ترجمة إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٢.

(٥٦) خالد عبد الفتاح، المتعلمون القرويون خصائصهم الاجتماعية وروائهم للعالم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٩٩٩م، ص ٦٧.

(٥٧) المرجع السابق، ص ٦٥.

(58) Ghada F. Barsoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Op.Cit.. P.21.

(59) David K. Hart, Saint - Simon and the Role of Elite, the Western Political Quarterly, Vol. 17, No.3, Sep. 1964. P. 424.

(٦٠) بورديو، العقلانية العملية، مرجع سابق، ص ٦٢.

(61) George Leuczowski, Some Reflections on the Study of Elites, in Political Elites in the Middle East, Op. Cit., 1975, P.2.

(62) Micheal Rush, Politics and Society, Op. Cit., P.65.

(٦٣) لمزيد من التفاصيل حول مدخل الشهرة، انظر :

- إسماعيل على سعد، نظرية القوة، مرجع سابق، ص ص ٢٤٢-٢٤٧.

(64) Michael Rush, Politics and Society, Op. Cit., P. 69.

(٦٥) انظر في ذلك :

- Peter Digeser, The Fourth Face of power, The Journal of Politics, Vol. 54, No.4, Nov.1992, PP. 978 -979.
- Kim Quaiale, Carl Klarner, The Many Faces of Elite Power, The Journal of Politics, Vol.64, No.4, Nov.2002, P.1116.

الفصل الثانى

مقولات رأس المال وأشكاله على ضوء نظرية بورديو

- تمهيـد.
- أولاً : مفهوم رأس المال...من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر.
  - ١- مفهوم رأس المال.
  - ٢- مفهوم رأس المال البشرى.
- ثانياً : مفهوم رأس المال الاجتماعي.
- ثالثاً : مفهوم رأس المال الثقافي.
- رابعاً : مفهوم رأس المال السياسي.
- خامساً : مفهوم رأس المال الديني.
- التعقيب

تمهيـد :

تُشكل المفاهيم ركن من الأركان الرئيسية في أية دراسة علمية، لذلك فإن الباحث عندما يتجه إلى فحص ودراسة مفاهيم دراسته، فإنه بذلك يحاول إلقاء مزيد من الضوء على دراسته، ومحاولة الوصول لفهم واضح ودقيق لها، وهذا سوف يساعد الباحث على الوصول للطريقة النظرية والمنهجية الملائمة لموضوع دارسته.

ويُجسد هذا الفصل من خلال ما يتضمنه من مفاهيم كيف أن المفاهيم تتغير، كما تتغير النظريات، بل قد يكون تغير معاني المفاهيم أكثر عمقاً من تغير النظريات، خاصة وأن المفاهيم والمصطلحات هي التي تبنى وتكون النظرية[1]. وهذا ما ينطبق على المفاهيم التي سوف تتم مناقشتها خلال هذا الفصل.

ويأتي هذا الفصل كمدخل تعريفي بمفهوم رأس المال Capital ونشأته وتطوره عبر جهود عدد من العلماء في المرحلة الكلاسيكية، ويعد هذا المدخل ضروري لفهم رأس المال الاجتماعي، خاصة وأن مفهوم رأس المال يعد من المفاهيم المحورية في بناء نظرية أكثر من علم، خاصة علم الاقتصاد، وعلم الاجتماع، اللذان يتضمنان إسهامات عدد كبير من العلماء فيما يتصل بمفهوم رأس المال. وهذا التتبع التاريخي لحركة مفهوم رأس المال بداية من المجال الاقتصادي إلى المجال السوسيولوجي المعاصر، مروراً بالأصل اللغوي للمصطلح، يهدف بالأساس إلى الكشف عن سر رأس المال وتطور مضامينه بتطور المجتمع البشري من ناحية وتطور التفكير الإنساني من ناحية أخري.

ونؤشر على أهمية مثل هذا التحليل التاريخي لمفهوم رأس المال ومضامينه، إذا أدركنا أننا أمام مفهوم تم استخدامه في التأسيس لنظام اقتصادي قائم على رأس المال بمعناه المادي، وتمخض عن ذلك تحلل الصلات والعلاقات التي تؤلف الجماعات التقليدية، بحيث أصبح رأس المال "النقود" هي المجتمع الجديد الواقعي، وهكذا انتقل بنا مفهوم رأس المال من نمط حياة نعتمد فيه مباشرة على هؤلاء الذين تربطنا بهم معرفة شخصية، إلى نمط حياة نرتبط فيه مع الآخرين بعلاقات غير شخصية وموضوعية، ومع تكرار عمليات التبادل وانتشارها يظهر رأس المال أكثر فأكثر كقوة هي خارج المنتجين الأصليين ومستقلة عنهم، ويتحول ما كان هدفه أصلاً تشجيع الإنتاج إلى علاقة غريبة عن المنتجين وينشأ حجاب يصنعه رأس المال والتبادل في السوق يحظى أو يزيف العلاقات الاجتماعية الحقيقية القائمة بين الأشياء.

يدفعنا مثل هذا الوضع إلى ضرورة تمحيص المفهوم ومضامينه والكشف عن السر الكامن

فيه، وكيف أثر إيجابياً وسلبياً على شكل الحياة التي نحياها وأسلوبها، نحن هنا لسنا بصدد كلمة تتكون من مجموعة حروف، إننا أمام مجموعة من العمليات والممارسات التي صنعنا منها أسلوب الحياة وشكل المجتمع الذي نتواجد فيه.

أولاً : مفهوم رأس المال ... من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر :

(١) مفهوم رأس المال :

يُشير "جورج ريتزر" George Ritzer في موسوعة النظرية الاجتماعية إلى أن تبنى العلوم الاقتصادية والاجتماعية لمصطلح "رأس المال" قد جاء في البداية من لغة التُجار، وكانت تعنى المواشي والدواب المعدودة بالرأس، لأنه في ذلك الوقت المُبكر كانت الدواب والمواشي هي السلعة التي يتم بواسطتها تقدير وتقييم كل السلع الأخرى أو ما يِطلق عليه العلماء رأس المال الاقتصادي Economic Capital[٢].

وبعد ذلك تم استخدام كلمة رأس المال لتُشير إلى المال أو الاستثمار في المال، ويكاد يكون هناك إتفاقٌ عام بين العلماء على مختلف تخصصاتهم على أن رأس المال الاقتصادى هو أكثر أشكال رأس المال كفاءة، وهو يُشير إلى الدخل المادي، أو هو الشكل الذي يقبل التحويل بشكلٍ مباشرٍ وسريع إلى مال، ليس هذا فحسب بل من المُمكن تحويله إلى أي شكلٍ آخر من أشكال رأس المال بسهولة ويسر، كما يُمكن نقله من جيل إلى آخر[٣].

وجاءت بعد ذلك جماعة الفيزيوقراط ومن بعدهم "آدم سميث" (١٧٢٣-١٧٩٠م) Adam Smith ليحرروا مصطلح رأس المال من اقتصاره على رأس المال النقدي، ليُشير إلى المال والأدوات وأغراض أخرى، واستخدم "آدم سميث" مفهوم رأس المال ليشير إلى جميع متطلبات الإنتاج التي تُحقق الدخل، وجزءٌ من هذه المتطلبات – والذي يُعد جزءاً من رأس المال – يتمثل في القدر المناسب من المهارات التي يمتلكها الأفراد، الذين يكون لديهم القدرة على توظيفها بكفاءة، وهو ما يتم التعبير عنه بمفهوم رأس المال البشرى Human Capital[٤].

ولقد تعامل عُلماء الاقتصاد البورجوازيين الكلاسيكيين التابعين لـ "ريكاردو" (١٧٧٢-١٨٢٣م) مع رأس المال بوصفه عمل متراكم وناتج عن جهود الإنتاج السابقة. ويأتي بعد ذلك إسهام "كارل ماركس" (١٨١٨-١٨٨٣م) الذي يتعامل مع رأس المال بوصفه القيمة الفائضة الناتجة عن استغلال العمال المأجورين، فرأس المال ليس في حد ذاتهِ وسيلة للإنتاج، بل هو علاقة اجتماعية بين الطبقات الرئيسية في المجتمع البورجوازي، وعلاقة استغلال بين مالكي وسائل الإنتاج والعمال المأجورين[٥].

ويُمكن من خلال مُراجعة الفكر الماركسي حول مفهوم رأس المال التأكيد على جوهر رؤية "ماركس" لرأس المال في العناصر التالية[٦]:

أ- يرتبط رأس المال بشكلٍ وثيق بإنتاج وتبادل السلع. والسلع في نظريات "ماركس" تكون بشكلٍ أساسي بضائع مادية لها بطاقات للسعر، والعمل والقوة العاملة وقيمة العمل هي جزءٌ من بطاقة السعر.

ب- يتضمن رأس المال مجموعة عمليات متنوعة، فهو ليس بالبساطة التي نرى بها السلعة، حيث أنه يمثل عملية استثمار من جانب الرأسمالي فالإنتاج يتطلب تجميع وتنظيم العمل، والأرض، والأجور، والأجهزة والمعدات وغير ذلك.

ت- نتيجة لهذه العمليات، يكون أي رأس مال ناتج عبارة عن قيمة مضافة (فائض القيمة أو الربح)، ووجود رأس المال يعنى أن قيمة السلعة في السوق أعلى من قيمة إنتاجها أو تكلفة إنتاجها.

ث- يُعد رأس المال مفهومٌ اجتماعي، حيث يستلزم عمليات ونشاطات اجتماعية، فعملية الإنتاج تستلزم العديد من الأنشطة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال يصف "ماركس" قيمة الاستخدام على أنها تعتمد على "العمل الضروري اجتماعياً" "Socially Necessary Labor"، وعملية التبادل أيضاً هي في جوهرها عملية اجتماعية.

ج- يحصل الرأسمالي على رأس المال، أو العائد من عملية تداول السلع، عبر دورة إنتاج وتبادل السلعة وتراكم رأس المال. ويُعد رأس المال عملية ونتيجة نهائية، ويتركز تحديداً في أيدي هؤلاء الذين يتحكمون في وسائل الإنتاج.

وتعكس الرؤى السابقة فكرة أساسية جوهرها أن رأس المال هو استثمار الموارد المتاحة بهدف إنتاج الربح، وأن الماركسية أكدت على أن كل من الاستثمار والربح هما منوطين وراسخين للرأسماليين، ولا يؤدى العمل المتضمن في عمليات الإنتاج إلى تراكم رأس المال لدى العمال، ولهذا فإن التباين الطبقي شئ أساسي في المجتمعات الرأسمالية، حيث أن الرأسمالي يتحكم في وسائل الإنتاج، ويجمع ما يتم إنتاجه من فائض القيمة الناتج عن هذا العمل.

ولقد جاء التطور الذي شهده مفهوم رأس المال بعد ذلك ليحذف أو يُعدل جوهرياً التفسير الطبقي كتوجه نظري ضروري، وهذا التطور يتجسد على نحو واضح في رؤية "بورديو" Bourdieu لمفهوم رأس المال، والتي تتلخص في أن رأس المال يُشير إلى تراكم العمل في شكله المادي أو شكله المُنتج المُجسد، والذي عندما يحوزه فرد أو جماعة يُمكنهم من إمتلاك

قوة اجتماعية Social Energy بصورتها المادية أو الاجتماعية (الحياتية)، ويُمثل رأس المال بهذا المعنى قوةً ذات بنى ذاتية وموضوعية. وبنية توزيع الأشكال الرئيسية والفرعية لرأس المال في لحظة معينة تعكس وتجسد بنية العالم الاجتماعي، حيث أن رأس المال وأشكاله المختلفة ووظائفه داخل العالم الاجتماعي تكون محكومة بمجموعة من الكوابح Constraints[*]. التي يشملها العالم الاجتماعي، تلك الكوابح التي تحكم وظائف رأس المال بطريقة مستمرة، وتُحدد فرص النجاح للممارسات المختلفة المرتبطة به[٧].

ويُحدد هذا التعريف ثلاث سمات أساسية مميزة لمفهوم رأس المال، هي[٨]: أن رأس المال لا يكون بالضرورة في صورة مادية أو مالية فحسب.

١- هُناك أشكالٌ متعددة لرأس المال، منها المادي الذي يُطلق عليه رأس المال الاقتصادى، وهناك الغير مادي والذي يتمثل في رأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي، وغير ذلك من الأشكال العديدة لرأس المال.

٢- يمكن تحويل رأس المال من شكل إلي آخر، طبقاً لمبدأ تحويل الطاقة الاجتماعية وتبدلها.

وعمل " بورديو" بهذه الرؤية على تعديل التوجه النظري المرتبط برأس المال ونقله من توجه قائم على الطبقة (حيث يتم استثمار رأس المال وتراكمه بواسطة الطبقة البورجوازية فقط) إلى رؤية مبنية على الفاعل الفرد (حيث أن الفاعلين سواءٌ كانوا أفراداً أو مجتمعات يستثمرون ويراكمون مثل هذه الموارد)[٩]. وهذا التحول الذي حدث في التعامل مع مفهوم رأس المال ينسحب على نحو واضح ليشمل الأشكال المختلفة لرأس المال، والتي تزايد الحديث عنها في العقود الخمسة الأخيرة ومنها؛ رأس المال البشرى، ورأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي.

(٢) مفهوم رأس المال البشرى :

يُشير مفهوم رأس المال البشرى إلى المعرفة والمهارات والاتجاهات التي تكون متضمنة ومتجسدة داخل الأفراد، وقد كان "آدم سميث" من الأوائل الذين تناولوا البشر على ضوء مفهوم رأس المال، فلقد تصور ونظر إلى قدرات مواطني الدولة على أنها جزءٌ من رأسمالهم المتوفر. ورأس المال البشرى المتجسد في شكل المعرفة والمهارات والاتجاهات يُمكن أن يُنتج فوائد ومنافع للمجتمع والفرد، حيث أن الأفكار الجديدة المبنية على المعرفة يمكن أن تُغير طريقة أداء الأفراد للمهام مما يُسهل عليهم تحقيق العوائد والمغانم لأنفسهم، إضافة إلى تحقيق مغانم عامة[١٠].

وعلى الرغم من أن "آدم سميث" هو أول من تحدث عن جوهر فكرة مفهوم رأس المال البشرى، إلا أن هُناك من يُشير إلى أن "تيودور شولتز" Thedore Schultz هو مؤسس نظرية رأس المال البشرى، وأن "جاكوب ماينسر" Jacob Mincer هو أول من استخدم هذا التعبير عام ١٩٥٨م[١١].

وتتلخص فكرة "شولتز" عن مفهوم رأس المال البشرى في أنه يُشير إلى المهارات والمعارف المُفيدة التي يكتسبها الأفراد، والتي لم ينظر إليها من قبل على أنها تُمثل شكلاً من رأس المال، وينتج جزءاً منه عن استثمار مخطط، والسمة المميزة لرأس المال البشرى، هو أنه جزءٌ من البشر لا ينفصل عنهم، لذا يوصف بأنه بشري، وهو رأس مال لأنه مصدر لإشباع الحاجات، وتحقيق المكاسب في المستقبل أو كلاهما[١٢].

ويذهب " كولمان " Colman إلى أن رأس المال البشرى هو رأس المال المتضمن في مهارات الفرد، وما يمتلكه من خبرات. ونفس هذا المعنى يؤكده باحث آخر بقوله أن رأس المال البشرى هو معارف الشخص ومهاراته وخبراته، والتي يتم اكتسابها من خلال تنمية مهارات الفرد وقدراته، الأمر الذي يساعده على تطوير مستوى أدائه[١٣].

ويُعد رأس المال البشرى وفق الطرح السابق مفهوماً مهماً، لأنه يرتبط بكل من الأفراد والمجتمع، ومن خلال تنمية رأس المال البشرى يُمكن للأفراد أن يطوروا من قدراتهم، وذلك بهدف تحقيق أكبر رصيد من المنافع لهم وللآخرين، ومن خلال التعليم والتدريب – كمصادر رئيسية لرأس المال البشرى – يمكن للأفراد التفكير والعمل بأساليب جديدة، وقد يُمكنهم هذا من الوصول إلى امتيازات اقتصادية ومهنية، لأن هناك علاقة ارتباطيه بين التحصيل، والإنجاز التعليمي، والتدريب، والمركز الاجتماعي، والمهنة ذات العوائد الاقتصادية المرتفعة. فضلاً عن ذلك فإن الأفراد أصحاب المستويات العالية من رأس المال البشرى هم في الأساس أعضاء في المجتمع، ولاشك في أن قدراتهم ومهاراتهم هذه سوف تعمل على تراكم المنافع والفوائد على مستوى المجتمع، فتنمية أساليب التفكير العلمي لدى أفراد المجتمع وامتلاكهم المهارات العلمية الفاعلة في أداء الوظائف والأعمال، ويساعد كل هذا على تنمية المجتمع وتطوره[١٤].

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن "نان لين" Nan Lin يعتبر رأس المال البشرى من النظريات الحديثة لرأس المال بسبب تخليها عن العلاقات الاجتماعية ودورها في الإنتاج والاستهلاك، وهذا يُعد اختلاف راديكالي عن بنية الفرضية الأساسية في النظريات الكلاسيكية لرأس

المال[١٥]. وإن كان ليس هناك اختلافاً جوهرياً في تعريف رأس المال المرتبط بالمفهوم الماركسي، ويظل هو استثمار ذو عائدات متوقعة في ساحة السوق، ومن وجهة النظر الماركسية هذه القيمة المضافة (المعرفة، والمهارات، والتعليم) تُمكن الرأسمالي (صاحب العمل) من زيادة قدرة العمل وسعته، ونتيجة لذلك تزيد قيمة السلعة في السوق، واستثمار العمال في رأس مالهم البشرى سوف يمكنهم من[١٦]:

أ- توفير دخل يمكن أن يُستخدم للاستثمار في الأنشطة التي تؤدي إلى تراكم رأس المال لدى العمال، أو لدعم رفاهيتهم واحتياجاتهم، وفقاً لأساليب حياتهم.

ب- توفير رأس المال، الذي يمنح العمال القدرة على الإدخار.

ثانياً : مفهوم رأس المال الاجتماعي :

أصبح مفهوم رأس المال الاجتماعي[*].Social Capital خلال السنوات الأخيرة، أحد أهم نتاجات النظرية الاجتماعية، والتي اخترقت لغة الحياة اليومية، ولقد تطور مفهوم رأس المال الاجتماعي خلال هذه السنوات نظراً لذيوع استخدامه في العديد من المجالات العلمية، والسياسية، والاجتماعية، إلى الحد الذي يتم معه طرح هذا المفهوم كآلية علاجية جديدة للعديد من الأمراض الاجتماعية والمجتمعية، ولقد أسفر هذا الذيوع والاستخدامات المتعددة عن وضع هذا المفهوم وما يحمله من مضامين تحت اختبارات شديدة وعميقة[١٧].

ويُؤكد "بورتس" Portes على أنه بالرغم من الشهرة التي حققها مصطلح رأس المال الاجتماعي، إلا أنه لا يتضمن بالفعل أي فكرة جديدة بالنسبة لعلماء الاجتماع، فالمشاركة والاندماج مع الجماعات وما قد يترتب على وجودهما من تداعيات إيجابية على الفرد والمجتمع هي فكرة رئيسة وأصيلة الوجود في الفكر الاجتماعي، وقد يمكن تلمسها في أفكار "دور كايم" عندما أكد على الحياة الجماعية كترياق وعلاج لمخالفة القواعد الاجتماعية، وترجع أيضاً إلى تمييز "كارل ماركس" بين الطبقة الذاتية والطبقة التعبوية[١٨].

ومن خلال محاولة الباحث لتتبع تطور مفهوم رأس المال الاجتماعي تاريخياً، وجد إشارة "لبوتنام" Putnam تُفيد بأن هناك مُصلح اجتماعي اسمه "جودسون هانيفان"Judson Hanifan يُؤكد أن معظم المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية التي عاش فيها، كان يُمكن حلها فقط بواسطة تقوية شبكات التضامن بين مواطنيها، حيث كان أفراد تلك المجتمعات أقل اهتماماً بعادات ومعايير مهمة؛ كحق الجوار، والحياة الجمعية، والمشاركة والمساندة الاجتماعية، ولذلك أجرى عام ١٩١٦م

بحثاً عن أهمية المشاركة المجتمعية لدعم ومساندة الديمقراطية والتنمية، وصاغ مصطلح رأس المال الاجتماعي. ولقد ذهب "جودسون" في بحثه هذا إلى أن رأس المال الاجتماعي لديه ليس هو ملكية عقار أو منقولات وأمتعة عينية، ولكن يقصد به المهارات الاجتماعية التي تتطلبها الحياة، والتي تجعل هذه الموارد المادية تعمل لصالح تحقيق الأفضل للحياة اليومية للأفراد، وهي بالتحديد؛ الرضا، والوفاق، والصحبة، والعطف، والتلاحم، والمواساة، والمخالطة الاجتماعية بين الأفراد والأسر. فالفرد يُصبح يائس اجتماعياً إذا تُرك لنفسه، ولكن إذا ما اتصل بجاره وارتبط بهؤلاء الجيران وغيرهم، فإنه سوف يراكم لنفسه رأس مال اجتماعي يُساعده على إشباع احتياجاته، ويكتسب قدرة اجتماعية كافية لتحسين ظروفه المعيشية وتقدمها[١٩].

أما "فوكوياما" Fukuyama فقد أكد على أن الاستخدام الأول لمفهوم رأس المال الاجتماعي، كان قد ظهر في أحد أعمال "جان جاكوب"Jane Jacob، والذي يحمل عنوان "موت وحياة المدن الأمريكية الكبرى" والذي صدر عام ١٩٦١م، حيث أوضح "جاكوب" في هذا الكتاب كيف أن الشبكات الاجتماعية في المجاورات القديمة لبعض المدن، قد شكلت نمطاً لرأس المال الاجتماعي، وأن هذه الشبكات لعبت دوراً في تقليل جرائم الشارع، وزيادة فاعلية المؤسسات الرسمية[٢٠].

وعلى عكس الخلاف القائم بين الباحثين حول الاستخدام الأول لمفهوم رأس المال الاجتماعي، هناك شبه اتفاق بين مختلف الباحثين على أن أول تحليل علمي منظم ومعاصر لمفهوم رأس المال الاجتماعي أنتجه "بيير بورديو" والذي عرف رأس المال الاجتماعي بأنه إجمالي الموارد الفعلية التي يحوزها الفرد من خلال ملكيته لشبكة دائمة من العلاقات المؤسسية أو عضوية الجماعات، فالجماعة تزود كل عضو من أعضائها بقدر مشترك من رأس المال، أي أن هذه العضوية في الجماعات تُمثل كارت ائتمان يمد كل عضو داخل الجماعة برصيد من هذا الائتمان المشترك فيما بين أعضائها. ولقد أكد "بورديو" على أن وجود شبكة من العلاقات لا يعد هبة طبيعية أو حتى هبة اجتماعية، فشبكة العلاقات الاجتماعية هي نتاج لخطط الاستثمار –الفردي أو الجماعي– التي تهدف إلى إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية التي يُمكن استخدامها مباشرة على المدى القصير أو الطويل في تحويل العلاقات العارضة غير المباشرة (مثال علاقات الجيرة، وزمالة العمل) إلى علاقات تبدو مُهمة ومباشرة وقوية، وتضمن دوامها واستمراريتها وتنمية المشاعر الداخلية فيها والمرتبطة بالامتنان والاحترام

والصداقة، ويتم إنتاج هذه العلاقات باستمرار من خلال التبادل (للهدايا والكلمات ...الخ) الذي يشجع على التعارف والإدراك المتبادل[٢١].

ويتضمن تعريف "بورديو" لرأس المال الاجتماعي عنصرين مهمين هما[٢٢]:

أ- العلاقات الاجتماعية، والتي تسمح للأفراد الإعلان عن الوصول إلى الموارد المملوكة لشركائهم وزملائهم في هذه العلاقة.

ب- الموارد التي وصل إليها الأفراد ونوعيتها وجودتها.

ولقد سار العديد من الباحثين على هدّى تعريف "بورديو"، ولهذا ظهرت العديد من المحاولات التي تُؤكد على شبكة العلاقات الاجتماعية في سياق تعريف رأس المال الاجتماعي، ففي موسوعة علم الاجتماع تم تعريف رأس المال الاجتماعي على أنه شكلٌ من أشكال رأس المال الموجود داخل العلاقات الاجتماعية ما بين الأفراد، ومن خلال رأس المال الاجتماعي وموارده يُمكن للأفراد أن يُحققوا منافعهم[٢٣].

ويذهب مجموعة من الباحثين إلى أن رأس المال الاجتماعي هو المجموع الفعلي للموارد التي يُمكن أن تُحدث حراك للأفراد داخل البنية الاجتماعية، وتكمن هذه الموارد في العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد[٢٤].

ويشير "باكستون" Paxton إلى أن رأس المال الاجتماعي هو مجموع العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، وتسهل له إنتاج البضائع الاقتصادية وغير الاقتصادية[٢٥]. أما "ريكاردو" Ricardo فيذهب إلى أن رأس المال الاجتماعي هو العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، والتي من خلالها يمكن له أن يصل إلى نماذج وموارد متعددة للاتصال بالمؤسسات التي تدعمه في المجتمع، وهذا يتضمن اكتساب المعرفة بالاعتماد على مصادرها[٢٦].

أما "نان لين" فيذهب في تعريفه لرأس المال الاجتماعي إلى أنه استثمار واستخدام للموارد الكامنة في العلاقات الاجتماعية، والتي من المتوقع أن يعود استثمارها على صاحبها بالمنافع والأرباح الاجتماعية. ويتم هنا فهم رأس المال الاجتماعي، كالتالي[٢٧]:

١- مقدار الموارد ونوعيتها وفاعليتها، التي يمكن للفاعل الوصول إليها أو استخدامها (سواء أكان الفاعل فرد، أم جماعة، أم مجتمع محلى).

٢- موقع رأس المال الاجتماعي وهذه الموارد في الشبكة الاجتماعية.

ويُعلق "بورتس" على مُجمل المحاولات السابقة والتي تعتبر رأس المال الاجتماعي هو القدرة على حيازة الموارد من خلال العلاقات والشبكات الاجتماعية، والتي هي أكثر انتشاراً وشيوعاً،

بأنها تتضمن عدة مشكلات منها[٢٨]:

أ- الخلط الواضح بين القدرة على الوصول إلى الموارد، والموارد ذاتها، فوصول الفرد إلى الموارد لا يعنى بأي حالٍ من الأحوال الحصول على نتيجةٍ إيجابية، أو تحقيق مغانم.

ب- يُؤكد المفهوم من خلال استخداماته لدى العديد من الباحثين على النتائج الإيجابية للصلات والروابط الاجتماعية، وإبعاد وطرد العوائد غير المرغوبة.

ت- تُهمل هذه الرؤية الدوافع التي تقف خلف الأفراد في سياق عملية التبادل، كما تهمل التحليل النظري لها.

ولا تغفل الأدبيات المرتبطة برأس المال الاجتماعي جهود "جيمس كولمان" Colman في تطوير هذا المفهوم ونشره، ولقد أشار "كولمان" إلى أنه من الممكن تعريف رأس المال الاجتماعي من خلال وظائفه، فهو لا يُمثل وحدة مفردة، بل وحدات متعددة تشترك جميعها في عنصرين متشابهين؛ الأول: أنها تتضمن بعض مظاهر البناء الاجتماعي، والثاني: أنها تُسهل عملية إتمام الأفراد لبعض الأفعال. سواء كانوا أشخاصاً منفردين، أم فاعلين مترابطين داخل بناء معين، ومثال الأشكال الأخرى من رأس المال يتسم رأس المال الاجتماعي بالإنتاجية، فهو يسهل من عملية إنجاز الغايات والأهداف، والتي ربما في غيابه يكون ذلك أمراً صعباً، ومثال رأس المال البشرى، يختص رأس المال الاجتماعي ببعض الأنشطة وليس جميعها، ورأس المال الاجتماعي قد يكون له قيمة في إنجاز بعض الأهداف لدى بعض الفاعلين، وقد لا يكون كذلك، أو قد يكون غير ذي أهمية بالنسبة للآخرين، وبخلاف الأشكال الأخرى من رأس المال، يرتبط رأس المال الاجتماعي ببنية العلاقات ما بين فردين أو أكثر داخل المجتمع، بمعنى أن رأس المال الاجتماعي متأصل وموجود داخل بنية العلاقات الاجتماعية[٢٩].

ولقد طرح " كولمان " أشكالاً عديدة لرأس المال الاجتماعي، وهي على النحو التالى[٣٠]:

١- الالتزامات والتوقعات : Obligations and Expectations

إذا فعل (A) شيئا ما إلى (B) ووثق أن (B) سوف يبادله ذلك أو يرده له في المستقبل، فإن ذلك يؤسس توقع عند الفرد (A)، والتزام من جانب الفرد (B) للحفاظ على هذه الثقة. ويتوقف هذا الشكل على مدى توافر الثقة في البيئة الاجتماعية ومستواها، والذي يتضمن قناعة الفرد بأن الالتزامات التي يؤديها سوف تُرد له.

٢- حيازة المعلومات : Information Potential

هناك شكل مهم من أشكال رأس المال الاجتماعي، وهو الحصول على المعلومات وحيازتها،

تلك المعلومات الموجودة والكامنة في العلاقات الاجتماعية، وهذه المعلومات تكون مهمة في توافر أساس للفعل.

٣- الأعراف والجزاءات الفعالة : Norms and Effective Sanctions

عندما يُوجد العرف بشكل فعال فإنه يمنح سلطة شرعية وقوة كبيرة لرأس المال الاجتماعي، فالأعراف الفعالة تحد على سبيل المثال من معدلات الجرائم الليلية في شوارع المدينة، وتُمكن الأفراد من أن يعيشوا داخل منازلهم ولديهم إحساس بالأمان. وهذا الشكل من رأس المال الاجتماعي لا يُسهل أفعال معينة فحسب، ولكن أيضاً يُقيد أفعالاً أخرى أو يمنعها.

ولقد انتقد "بورتس" إسهام "كولمان" حول رأس المال الاجتماعي، وذكر أنه استخدم تعريفاً غامضاً إلى حدٍ ما، وترتب على هذا أن "كولمان" قد فتح الطريق أمام عنونة عدد من العمليات المختلفة والمتناقضة أحياناً على أنها رأس مال اجتماعي. وأشار "بورتس" إلى ضرورة أن يكون هناك خطٌ فاصل ما بين عضوية البنية الاجتماعية من ناحية، والموارد المكتسبة عبر مثل هذه العضويات من ناحية أخرى. كما أوضح "بورتس" أيضاً أن "كولمان" قد ركز على أهمية الصلات العميقة، مع إهماله للصلات الضعيفة التي قد تُبرهن على أنها فعالة أكثر من الصلات العميقة في توفير المعرفة والموارد الجديدة. فضلاً عن ذلك يبدو أن النظرية عند "كولمان" قد أدت إلى تكوين مفهوم عضوي ومحافظ نوعاً ما من رأس المال الاجتماعي[٣١].

وينظر "روبرت بوتنام" -الذي يُعد من أهم العلماء الذين روجوا لمفهوم رأس المال الاجتماعي، كما يُعد المسئول عن دخول المفهوم إلى دائرة الخطاب السياسي، ونشره عبر دوائر واسعة[٣٢]. - إلى رأس المال الاجتماعي بوصفه سمات للتنظيم الاجتماعي – مثال الشبكات، والمعايير والثقة الاجتماعية – والتي تُسهل عمليات التنسيق والتعاون بين الأفراد من أجل تحقيق المنفعة المتبادلة[٣٣].

ولقد أشار "بورتس" إلى أن أعمال "بوتنام" حول رأس المال الاجتماعي كان لها أكبر الأثر في نقل دراسة رأس المال الاجتماعي من المستوى الفردي إلى المستوى المجتمعي، وقد تمخض عن ذلك اختلافات في استخدام مفهوم رأس المال الاجتماعي، حيث أن عملية نقل المفهوم من المستوى الفردي إلى المستوى المجتمعي لم يتم تأطيرها نظرياً، مما ترتب عليه مزيد من الارتباك والغموض حول المفهوم، كما أن الآثار المترتبة على رأس المال الاجتماعي كسمة مجتمعية لم يتم تحليلها بالشكل الكافي، مما أدى إلى وجود نسبةٍ عالية من الأفكار الاستنتاجية أو غير المباشرة[٣٤].

ومن خلال تتبع الباحث لحركة مفهوم رأس المال الاجتماعي خلال الدراسات الإمبيريقية لاحظ أن هناك تعدد وتباين واضح في مؤشرات قياس رأس المال الاجتماعي، ومن هذه المؤشرات؛ شبكة العلاقات الاجتماعية، وعضوية المؤسسات والجمعيات، ومستويات الثقة الاجتماعية، والتعاون والتبادل داخل السياق الاجتماعي، وغيرها، وقد يُعزى هذا التباين إلى حدٍ ما إلى ارتباط رأس المال الاجتماعي بالعديد من الموضوعات والظواهر الاجتماعية، من ناحية، وللاختلاف الواضح في تعريفات رأس المال الاجتماعي، من ناحية أخرى، فعلى الرغم من هذا الانتشار الهائل لمفهوم رأس المال الاجتماعي في مختلف أدبيات البحث، إلا أن هذا المفهوم مازال غير متفق عليه وعلى حدوده داخل هذه الأدبيات، وقد اعترف "بوتنام" بذلك وأشار إلى أن فهم مصطلح رأس المال الاجتماعي غير واضح، وأن هناك أيضاً من أشار إلى أن رأس المال الاجتماعي كمفهوم يجسد وجهات نظر الفروع المتعددة للمعرفة[٣٥].

ولا يقتصر التباين والتعدد على آليات قياس رأس المال الاجتماعي، بل يمتد ليطول الآلية الواحدة، فعلى سبيل المثال تُعد الشبكات الاجتماعية من أهم المؤشرات التي تم استخدامها لدراسة رأس المال الاجتماعي، ومع هذا فإن الدراسات التي اعتمدت على الشبكات جسدت وجهات نظر مختلفة فيما يتصل بنوع الشبكات التي يتم أخذها في الاعتبار عند دراسة رأس المال الاجتماعي، فهناك دراسات ركزت على الجماعات الرسمية داخل الشبكات، وأخرى ركزت على الجماعات غير الرسمية، وهناك مجموعة أهملت ذلك وركزت على حجم الشبكات، حيث التركيز على الجماعات الصغيرة التي تعتمد على علاقات الوجه للوجه، وهناك من أشار إلى أنه كلما زاد حجم الجماعة وبالتالي اتسعت الشبكة الاجتماعية، كلما زادت التنافسية، وهذا ما يعمل على تعظيم الفوائد للأفراد، وأخيراً عكست الدراسات السابقة اختلاف واضح حول نوعية العلاقات داخل الشبكات، فهناك من يُركز على العلاقات القوية، والتي من شأنها زيادة أرصدة رأس المال الاجتماعي، وهناك من يطرح فكرة الروابط الضعيفة ودورها في تسهيل الفعل الجمعي، وبالتالي زيادة الفوائد المترتبة على هذا الفعل[٣٦].

كما أن هناك تعدد في مستويات قياس رأس المال الاجتماعي، فهناك عدد من الدراسات تحاول تطبيق رأس المال الاجتماعي وقياسه على مستوى الأفراد، وهناك دراسات ثانية تستخدم رأس المال الاجتماعي على مستوى الجماعات، وثالثة تطبق رأس المال الاجتماعي على مستوى المجتمع القومي، بل أن هناك دراسات اعتبرت رأس المال الاجتماعي مفهوم يمكن الاعتماد عليه في مجالات التنمية القومية، ولعل هذا يرجع إلى أوجه القصور التي تضمنها

المنظور الاقتصادي في نظرته نحو تحقيق الأهداف الأساسية للتنمية من نمو اقتصادي، ومساواة، وديمقراطية، والأكثر من ذلك هو اعتبار رأس المال الاجتماعي بما يحمله من مضامين وأفكار، محاولة لإعادة تقديم وإدخال البعد الاجتماعي في الرأسمالية، وأنه آلية علاج سريعة للتآكل الملحوظ للثقة في العلاقات اليومية، ولذلك ليس من الغريب في شئ أن يكون "فوكوياما" الذي احتفل في أطروحة "نهاية التاريخ" بالانتصار النهائي للرأسمالية، هو ذاته أحد المفسرين البارزين لمفهوم رأس المال الاجتماعي وما يحمله من فضائل اجتماعية ينبغي العودة إليها[٣٧].

ومن خلال مراجعة الدراسات التي حاولت دراسة وتطبيق رأس المال الاجتماعي في مستويات متعددة، يمكن التأكيد على أن الدراسات التي ربطت ما بين رأس المال الاجتماعي والأفراد أو الجماعات، هي الدراسات الأكثر وضوحاً ودقة في التعامل مع رأس المال الاجتماعي، سواء كان ذلك على مستوى تعريفات المفهوم، أو آليات قياسه، وفي هذا السياق يأتي إسهام "بورديو" النظري والإمبيريقي من أهم الإسهامات التي ارتبطت برأس المال الاجتماعي وتطبيقاته على المستوى الفردي[٣٨].

وتؤكد معظم نتائج الدراسات السابقة على العوائد الإيجابية لرأس المال الاجتماعي، سواء كانت هذه العوائد على المستوى الفردي، أم على المستويين القومي والعالمي، ومن ضمن هذه العوائد الإيجابية :

١- أن رأس المال الاجتماعي يدعم مكانة الفرد داخل البنية الاجتماعية، ويُساهم في تحقيق الأهداف الفردية، والوصول إلى الموارد التي يمكن أن تمنح الفرد القوة والتميز.

٢- يُسهل رأس المال الاجتماعي عملية اتخاذ القرارات، لأن أعضاء المجتمع لا يحتاجون إلى إعادة التبادل والتفاوض في كل وقت يدخلون فيه إلى نشاط مشترك، فهم يثقون في بعضهم البعض.

٣- يُقلل رأس المال الاجتماعي من مستويات الغموض والشك ما بين أعضاء الجماعات، أو على الأقل يزيد من مساحات التسامح ما بين الأفراد.

٤- يُسهل رأس المال الاجتماعي عمليات التنسيق والتنظيم للأفراد، وذلك بسبب ارتباطه بعملية الاتصال الفعال والمتكرر بين أعضاء المجتمع.

٥- يعنى رأس المال الاجتماعي أن هناك مشاركة واسعة في رأس المال المادي والبشرى بين أعضاء الجماعة، وذلك يسمح بإنتاجية أكبر، ونفقات منخفضة.

٦- يُخفف رأس المال الاجتماعي من احتمالات الفشل أو الخُسارة.

ويتعارض ما سبق مع بعض إشارات مجموعة من العلماء إلى العوائد السلبية لرأس المال الاجتماعي، حيث أن مثل هذه الإشارات لم يجد لها الباحث أي تدعيم أو تأكيد من خلال قراءة نتائج البحوث السابقة.

وقد عكست الدراسات السابقة أيضاً تنوع في أدوات جمع البيانات ومصادرها، وهذا ارتبط بالتنوع في المستوى الذي يتم فيه دراسة رأس المال الاجتماعي، ومن ناحية ثانية بالتنوع في الرؤى الإجرائية الخاصة بمفهوم

رأس المال الاجتماعي ومؤشرات قياسه، وقد كانت المقابلات، والمسح من أهم الأدوات التي تم الاعتماد عليها في جمع البيانات المتصلة برأس المال الاجتماعي، كما أن معظم هذه الدراسات اعتمدت على المنهج الكيفي في تحليل البيانات وتفسيرها.

وعلى الرغم من تعدد المتغيرات والظواهر الاجتماعية التي ربطها الباحثون برأس المال الاجتماعي، لم تكن هناك أي دراسة ربطت بشكل واضح ما بين رأس المال الاجتماعي وتحقيق التميز أو النُخبوية في المجتمع، كانت معظم التحليلات والتفسيرات التي عرضت لها هذه الدراسات تحمل في ثناياها اعتراف وتأكيد على أن رأس المال الاجتماعي آلية فعالة في تحقيق التميز والوصول إلى المكانة الاجتماعية المرموقة، وهذه الأفكار التي لم تظهر بوضوح في الدراسات الإمبيريقية، كانت واضحة تماماً لدى العديد من العلماء على مستوى التنظير، ويمكن أن نستشهد على ذلك من خلال الطرح النظري الخاص بكل من "بيير بورديو"، و"نان لين"، فالأول اعتبر رأس المال الاجتماعي أو غيره من الأشكال الأخرى طاقة اجتماعية يُمكن أن تُستخدم في تحقيق التميز والمنافسة، أما الثاني فلقد توسع بشكلٍ كبير في طرحه الخاص برأس المال الاجتماعي وتحقيق المكانة الاجتماعية[٣٩].

إضافة لذلك غابت عن مُجمل الدراسات فكرة دراسة رأس المال الاجتماعي على ضوء الأشكال الأخرى من رأس المال، أو بمعنى آخر أغفلت معظم الدراسات فكرة التحقق الإمبيريقى من فاعلية أشكال رأس المال، وأيها هو الأكثر سيولة وفاعلية من الأشكال الأخرى، ولعل هذه الفكرة هي من إحدى أهداف الدراسة الراهنة.

بناءً على ما سبق، يُمكن تعريف مفهوم رأس المال الاجتماعي بأنه : جُملة الموارد التي يُمكن أن يحوزها الفرد بشكل مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية (الرسمية، وغير الرسمية)، أو يحوزها بشكلٍ غير مباشر من خلال شبكات العلاقات الاجتماعية للأفراد

الآخرين، والتي يمتلك الوصول إليها، ويبذل الوقت والجهد في تدوير هذه الموارد بهدف تحقيق المكانة الاجتماعية المتميزة.

ثالثاً : مفهوم رأس المال الثقافي :

على الرغم من أن "بورديو" هو من صاغ مفهوم رأس المال الثقافي Cultural Capital، إلا أن فكرة الثقافة التي تُمثل مصدراً من مصادر المكانة والقوة، كانت موجودة ومتأصلة في النظرية الاجتماعية، خاصةً الفكر المرتبط بالطبقات في أعمال كل من "ماكس فيبر" و"إميل دور كايم". فلقد كتب "فيبر" بشكلٍ موسع حول ما أطلق عليه جماعات المكانة Status Groups، ويقصد بهم الأفراد الذين تجمعهم ثقافة المكانة الواحدة أو المشتركة، أي الذين يمتلكون نفس الهوية والقيم والأذواق الجمالية، وأشكال الزى، والخطاب ... الخ، ويعد ذلك بالنسبة لهم مصدراً للشرف والتميز والتكريم، وأكد "فيبر" هُنا على أن أي معيار للتباين والتميز مهما كان بسيطاً يُمكن أن يُفيد كأساس في تشكيل جماعة المكانة، وهذا التأكيد من قبل "فيبر" يظهر صداه لدى "بورديو" في استخدامه لمفهوم الاستبداد أو التعسف الثقافي Cultural Arbitrary لوصف رأس المال الثقافي، كذلك وفر "فيبر" وصفاً وبياناً كلاسيكياً عن الدراسات الصينية التي ألقت الضوء على وصف "بورديو" للمتخصص المحترف الذي يستثمر رأس المال الثقافي بقوة كأساس للمطالبة والادعاء بمكانة النُخْبة. والشئ المحوري لدى " فيبر" هو أن جماعات المكانة تستخدم كوسيلة للحفاظ على الحدود والفواصل القوية ضد الدخلاء، وذلك بهدف احتكار الموارد النادرة والفرص المتاحة بالسوق[٤٠].

ومن الفكر الدوركايمى اشتق " بورديو" فكرة أن الثقافة ذات المركز الاجتماعي والمكانة الرفيعة لها سمة القدسية، أي أنها تنأي بنفسها عن العالم الواقعي اليومي، كما أنها تُشكل مجموعة الرموز الثقافية التي تُمثل قوة الجماعة بأسلوب مادي وجذاب ومقنع.

وجوهر مفهوم رأس المال الثقافي لدى "بورديو"، من خلال استخداماته لهذا المفهوم في أعماله عن فرنسا المعاصرة، هو معرفة الفرد بالثقافة الجمالية المتميزة ذات المركز الاجتماعي الرفيع وإدراكه لعناصرها، مثال ذلك الفنون الرفيعة، والثقافة الأدبية، والقدرة اللُغوية، ويذهب "بورديو" إلى أن رأس المال الثقافي يتمثل في ثلاثة أشكال هي[٤١]:

الأول: الحالة المادية المتحدة أو المجسمة: وهي الحالة التي تتعلق بترتيب وتنظيم العقل والجسد، وهي تتطلب من الفرد بذل الوقت والجهد بهدف تكوين ومراكمة رأس المال الثقافي، ويبذل الفرد هنا الوقت والمجهود، وذلك من أجل الارتقاء الذهني والاستيعاب، ويبين هذا أن

عملية اكتساب رأس المال الثقافي تُعد عمل شخصي أو تنمية ذاتية، ومجهود يبذله الشخص أو تكاليف شخصية يدفعها الفرد بنفسه لنفسه، وهذا الشكل من رأس المال الثقافي يُمثل ثروة خارجية، تتحول مع الوقت والجهد إلى جزء يتحد في الفرد ويُكون هويته، ولا يُمكن نقل هذا الشكل سواءٌ بالمنح، أو الوراثة، أو الشراء، أوالمبادلة.

الثاني: وهو الحالة الموضوعية، مثال البضائع الثقافية (الصور، الكتب، والقواميس... الخ)، ويعني هذا أن رأس المال الثقافي يتمثل في الأشياء المادية، ولذلك فهو قابل للنقل من حيث ماديته، وهنا يُؤكد "بورديو" على وجود علاقة ما بين هذا الشكل من رأس المال الثقافي ورأس المال الاقتصادى، حيث أن ملكية الفرد لمثل هذه الأشياء المادية تتطلب منه أيضاً ملكية رصيد من رأس المال الاقتصادي، كما أن استخدام الفرد مثل هذه الأشياء المادية يتطلب منه إمتلاك رصيد من رأس المال الثقافي، أو بالأحرى رأس مال ثقافي في شكله الأول، وهي الحالة المادية المتجسدة.

الثالث : وهي الحالة التنظيمية، وهي حالة التكوين العضوي، والتي تُقدم خصائص وسمات رأس المال الثقافي، كما في المؤهلات العلمية، وهذه الأخيرة هي إحدى الطرق لإثبات حقيقة إمتلاك الفرد لرأس المال الثقافي.

وهذه الحالة هي التي تفرق بين رأس المال الخاص بالتعليم الذاتي، ورأس المال الثقافي الخاص بالجماعة الحاكمة، والذي قد يتحصل على فوائد قليلة في سوق التبادل الاجتماعي، ورأس المال الثقافي المقرر أكاديمياً من خلال المؤهلات العلمية المُعترف بها رسمياً، وهذه الأخيرة هي التي تمنح لحائزيها قيمة مضمونة وشرعية، ويُشكل هذا جوهر الاختلاف ما بين المنافسة المعروفة رسمياً وشرعياً، وبين رأس المال الثقافي البسيط والذي يحتاج إلى إثبات ذاته باستمرار.

وفي تقييم أولى لكلٌ من "لامونت" Lamont و "لارو" Lareau لرؤية "بورديو"، فقد أشارا إلى عدم وضوح عبارات "بورديو" ومفاهيمه عن رأس المال الثقافي، حيث أنها غالباً ما تكون غامضة، بل وفي بعض الأحيان متضاربة وتفسيراته لا ترتبط بإشارات خاصة أو مجردة، وهذا بدوره أدى إلى فشل الباحثين في إخضاع نظرية "بورديو" للاختبار الإمبيريقى[٤٢]. وانتهي كل من "لامونت" و "لارو" إلى أن رأس المال الثقافي فكرة مؤسساتية تعنى وجود قدرٌ مشترك من الإشارات والمفاهيم الثقافية بين الطبقات العليا (مثال: المواقف، الميول، المعرفة الرسمية، السلوك، الأهداف، الاعتمادات) المستخدمة في عملية الاستبعاد الثقافي والاجتماعي، وهذا

التعريف يؤكد على أن رأس المال الثقافي مورد له قيمة في السوق الذي ينشأ فيه الصراع من أجل التميز، كما أنه قابل للإدخار والإستثمار، ويمكن استخدامه للحصول على موارد أخرى[٤٣].

ويذهب "ريتزر" إلى أن رأس المال الثقافي يتمثل في قُدرة الفرد على معرفة الأشكال الثقافية المنظمة والمؤسسة، والتي تقع في قمة البناء الهيراركى للنظام الثقافي داخل المجتمع وكيفية استخدامها[٤٤].

وتُشير "إليزابيث سيلفا" Elizabth Silva إلى أن مفهوم رأس المال الثقافي يشير إلى الاستثمار في الثقافة بوصفها رأس المال، يُمكن أن تعود على الفرد بالربح والعوائد، كما يُمكن نقل هذا النوع من رأس المال عبر عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتم داخل الأسرة والنظام التعليمى[٤٥].

ولقد ظهر تأثير "بورديو" بشكلٍ واضح في العديد من المحاولات التي عالجت مفهوم رأس المال الثقافي، فهُناك أحد الباحثين يذهب إلى أن رأس المال الثقافي هو شكل من أشكال رأس المال، يوجد في العديد من الصور أهمها[٤٦]. الاعتياد على تصرفات وسلوكيات معينة، أو من خلال طريقة مميزة للسلوك، يتم اكتسابها من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

أ- تراكم القيم الثقافية الموضوعية.

ب- التعليم الرسمي والمؤهلات العلمية والتدريبية.

وهُناك من يذهب إلى أن رأس المال الثقافي يشير إلى التعليم، والميول والاستعدادات الدائمة لاستيعاب الثقافة والتثقيف، وهذا يحدث من خلال عملية يُبذل من أجلها الوقت، وهذا الأخير يدل على إستدماج الفرد لعناصر هذا الشكل من أشكال رأس المال، ويُمكن على نحو سهل تحويل رأس المال الثقافي إلى الأشكال الأخرى من رأس المال[٤٧].

وذهب كل من "موهر" Mohr و "دى ماجيو" Dimaggio إلى أن رأس المال الثقافي مفهوم يُشير إلى الأذواق الرفيعة، والأدوات والأساليب الثقافية رفيعة المستوى، والتي تعترف بصلاحيتها الهيئات والمؤسسات الثقافية. ولقد علقت "سوزان" Susan على هذا التعريف بأنه غامض بدرجة كافية، لأنه يسمح بعددٍ واسع من التفسيرات[٤٨].

أما "بورتس" Portes فيُعرف رأس المال الثقافي بأنه أوراق الاعتماد الرسمي للمؤهلات التعليمية التي يمتلكها الفرد، والتكوين المعقد وغير الملموس للقيم والمعرفة الخاصة بالأشكال الثقافية المرتبطة بالسلوك[٤٩].

ولقد أشارت "سوزان" إلى أن تعريفات مفهوم رأس المال الثقافي تسير في عدد من الاتجاهات المتباينة[٥٠]:

الاتجاه الأول: ويُركز على المتغيرات المرتبطة بمدى مشاركة الفرد في الأنشطة الثقافية، مثال: زيارة المتاحف، أو الذهاب لحفلات الموسيقى الكلاسيكية.

الاتجاه الثاني: يُركز على أن رأس المال الثقافي يظهر في شكل تحكُمى، بمعنى أن هناك جماعةٌ ما سعت إلى وجوده وذلك بهدف منع أو إقصاء جماعةٌ أخرى من الحصول على موارد القوة.

الاتجاه الثالث: ركز أصحابه على مقاييس رأس المال الثقافي، التي تعكس المكانة الاجتماعية والاقتصادية بشكلٍ واضح، مثال: عما إذا كان الآباء يوفرون لأبنائهم مكاناً خاصاً للاستذكار، وبعض السمات اللامعرفية مثال ذلك الأسلوب الذي يتبعه الفرد في التواصل والتعامل مع الآخرين.

ومن خلال الدراسات الميدانية يظهر مفهوم رأس المال الثقافي بوصفه الموارد الثقافية، أو البضائع الثقافية التي لها قيمة داخل السوق الاجتماعي، ومن خلالها يمكن للفرد أن يحقق التميز أو يشغل مكانة اجتماعية عالية. وتعد هذه المضامين متفق عليها، وفى المقابل تنبه الباحث من خلال عدد من الدراسات إلى الخلط ما بين رأس المال البشرى المتمثل في القدرات والمهارات الذاتية التي يكتسبها الفرد، ورأس المال الثقافي، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات لم تذكر شيئاً عن هذا الخلط أو حتى تبرره، إلا أن الباحث يعتقد أن مثل هذا الخلط مقبول، حيث أن المهارات والقدرات التي يحوزها الفرد ويمتلكها يُمكن اعتبارها رأس مال ثقافي، وذلك في حالة ما قام الفرد بتطوير هذه المهارات من خلال التدريب والتعليم، والاهتمام بالتزود بالمصادر الثقافية التي تجعل من هذه المهارات والقدرات رأس مال حقيقي، سواءٌ كانت هذه المصادر الثقافية جاءت بشكل رسمي ومؤسسي، أو جاءت بشكل غير رسمي[٥١].

ولعل هذه الفكرة التي يطرحها الباحث على عكس حرص "رتزر" Ritzer على التمييز بين رأس المال البشرى ورأس المال الثقافي، حيث أن رأس المال البشرى يتضمن المهارات والمعلومات التي تُسهم في الحراك الاجتماعي للفرد، وهو يعمل داخل الأسواق الخاصة به "سوق العمل"، أما رأس المال الثقافي يعمل عبر التفاعل الاجتماعي، ونادراً ما يكون مُنتج اقتصادي[٥٢]. ويعلق الباحث هنا على رؤية "رتزر" بأنها غير واضحة، فإذا كان رأس المال البشرى يتضمن المعلومات التي يمتلكها الفرد، فإن رأس المال البشرى بهذا لا يبتعد عن التفاعل الاجتماعي، لأن

الفرد قد يحصل على جزء من رصيد المعلومات لديه من خلال عمليات التفاعل الاجتماعي، إضافة إلى أن رأس المال الثقافي لا يبتعد عن سوق العمل، وهناك إمكانية لتحويل رأس المال الثقافي إلى رأس مال اقتصادي.

وقد لاحظ الباحث أن هناك اتفاقاً على مؤشرات قياس رأس المال الثقافي على مستوى الدراسات الإمبيريقية، ومن أهم المؤشرات التي تم الاعتماد عليها بشكلٍ متكرر؛ عدد الكتب في المنزل وما يرتبط بها من عادات القراءة، ونوع التعليم، وعدد سنوات الدراسة، والمؤهلات العلمية، وأسلوب الحياة، والقيم المرتبطة بالتفضيلات الثقافية الراقية، والأنشطة الثقافية المتنوعة. ويُشير الباحث هنا إلى أن الاتفاق الذي تجسد ما بين الدراسات السابقة حول قياس رأس المال الثقافي، جاء من خلال أن الفكر الذي طرحه "بورديو" حول هذا المفهوم جاء واضح ودقيق، ومارس تأثيراته على مختلف الباحثين الذين حاولوا الاستفادة من هذا المفهوم في فهم واقع مجتمعاتهم ودراسته. هذا بالإضافة إلى أن "بورديو" ناقش بشكل واضح مجموعة العناصر التي يمكن من خلالها قياس رأس المال الثقافي، وهي[٥٢]:

أ- مستوى التعليم والألقاب العلمية المعتمدة.

ب- عدد السنوات التي قضاها الشخص في الدراسة.

ت- تردد الشخص على الأنشطة الثقافية والمشاركة فيها.

وقد تنوعت الأدوات التي تم الاعتماد عليها في دراسة رأس المال الثقافي، وتُعد المقابلات من أهم هذه الأدوات، يأتي بعدها الاستبيان، ولعل المقابلة تُعد من أنسب الأدوات لدراسة رأس المال الثقافي وما يرتبط به من ممارسات، حيث أن مثل هذه الأداة توفر بيانات عميقة، وتُتيح للمبحوث الفرصة لكي يتحدث بحرية عن المتغيرات المرتبطة برأس المال الثقافي.

بناءً على ما سبق يتم تعريف رأس المال الثقافي إجرائياً بأنه "**مجموع الموارد الثقافية التي يمكن أن تُحقق للفرد المكانة الوظيفية والاجتماعية المتميزة، وتتضمن هذه الموارد :**

- **شغل المناصب العليا في المؤسسات الثقافية والتعليمية.**
- **سنوات الدراسة، والمؤهلات العلمية والتدريبية.**
- **بعض الرموز والممارسات الثقافية المكتسبة أو الموروثة من خلال أسرة النشأة.**

رابعاً : مفهوم رأس المال السياسي :

يذهب "بورديو" إلى أن المجال هو عبارة عن فضاء اجتماعي مُشيد، ومجال تفاعل للقوى – وداخل هذا المجال هناك المهيمنون والخاضعون للهيمنة، وهناك علاقات ثابتة ودائمة من

عدم المساواة تُمارس داخل هذا المجال – والمجال هو أيضاً ساحةً للصراع من أجل تغيير بنية المجال أو الاحتفاظ بالوضع القائم، فكل فرد داخل هذا العالم يُوظف القوة النسبية التي يمتلكها والتي تُحدد وضعه داخل المجال لتحقيق أهدافه الإستراتيجية في أثناء منافسته مع الآخرين[٥٤].

وداخل المجال تدور عمليات الكفاح والمناورة من أجل الوصول إلى الموارد الاجتماعية والسيطرة عليها وكذلك الرهانات التي يتضمنها المجال، والقدرة على استخدام هذه الموارد والوصول إلى تلك الرهانات، وهذه الرهانات لها صورٌ متعددة منها : السلع الثقافية، وأسلوب الحياة، والمسكن، والتمييز الثقافي والتعليمي، والوضع الاجتماعي، والقوة السياسية[٥٥].

وعلى هذا الأساس ناقش "بورديو" المجال السياسي في أحد مؤلفاته بوصفه جزء صغير من العالم الاجتماعي، وأن المجال السياسي كأي مجال اجتماعي فيه المسيطرون وفيه الأتباع، وله أغنيائه وفقرائه، ويمينه ويساره، وكما في المجالات الأخرى كلما ازدادت استقلالية وذاتية المجال، كلما ازداد انغلاقه عن العالم الخارجي، وداخل المجال السياسي المستقل نسبياً، يتم تحديد مركز الفرد ومكانته وفقاً لمواقفه السياسية، ويحاول الفاعلون داخل المجال السياسي احتكار الوسائل الشرعية، في أثناء تنافسهم مع الفاعلين في المجالات الأخرى (كالعلماء، ورجال الإعلام) من أجل احتكار العنف الرمزي[٥٦].

ويذهب "بورديو" إلى أن الموارد التي تبنى المجال السياسي، تتلخص في رأس المال السياسي Political Capital والذي يُعد مورداً خاصاً، يحاول الفاعلون دوماً مراكمته، إضافةً إلى رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الثقافي، ويُعد رأس المال السياسي شكلاً من أشكال رأس المال الرمزي، لأنه نقطة البداية لتأسيس الثقة والتقدير، وهو أيضاً يمنح الفاعلين القوة التي يحتاجونها داخل المجال السياسي. ويؤكد "بورديو" على أن الفاعلين الذين ينجحون في جمع ومراكمة أكبر قدر من رأس المال السياسي سوف يكون لهم السيادة، في حين أن الذين لديهم رأس مال سياسي أقل سوف يكونوا تابعين، ويؤكد "بورديو" أيضاً على أن المكانة العالية في المجال السياسي تُساعد على زيادة المنافع ومراكمة المكانة والقوى داخل بنية المجال. وهنا تكون منافع وعوائد المجال السياسي للفرد مفيدة للمصلحة العامة لأنها تُعزز من شرعية قيم المجال[٥٧].

وبناء على ما سبق فإن رأس المال السياسي هو القوة السياسية التي يحوزها الفرد من خلال تبوء المراكز والمناصب الرئيسة في المؤسسات المهمة داخل المجال السياسي (كالأحزاب،

والبرلمانات)[٥٨]. بمعنى أن القوة هنا متمثلة بشكلٍ واضح في المنصب السياسي، وهذا الأخير يُسهل على الأفراد حيازة ومراكمة رأس المال السياسي.

كما يمكن القول أن رأس المال السياسي يتجسد من خلال المكانة والمناصب العليا في الأحزاب السياسية، خاصة الحزب المُسيطر، ومن خلال الهيئات والمنظمات التي تعمل داخل المجال السياسي. والفاعلون السياسيون دائماً يتواجدون وبدرجاتٍ متفاوتة داخل لعبة مزدوجة ذات وجهين؛ الأول: داخل المجال السياسي ذاته، والثاني: داخل المجال العام، ففي المجال السياسي يسعى الفاعلون نحو نزع الإدراك والاعتراف من الأقران، بينما في المجال العام يسعون إلى تلقي الدعم من أتباعهم الناخبين، وقوة الفاعل في المجال السياسي تعتمد على مهاراته في التحدث باسم هؤلاء الذين يكونون خارج هذا المجال[٥٩].

وهناك من يُؤكد على أن الفرد الذي يمتلك رأس المال السياسي، ينبغي أن تكون لديه القدرة على الوصول إلى المعلومات السياسية، والقدرة على تحليلها بشكلٍ جيد، واتخاذ المواقف السياسية الملائمة لذلك، لأن هذا ما يُفيد في عملية استثمار الفرد لهذه المعلومات، حتى تعود عليه بالنفع[٦٠].

وأخيراً يُميز "بورديو" بين شكلين من أشكال رأس المال السياسي هما[٦١]:

الأول : رأس المال السياسي القائم على الكاريزما[*]: وهو رأس مال سياسي يكتسبه الفرد من خلال إمكانياته الذاتية، ويكون بطئ في تكوينه ومراكمته بمعنى أنه يحتاج للوقت والجهد، ويعتمد بشكلٍ أساسي على أفعال الفرد وقدراته ومواقفه الكاريزمية، خاصةً في تلك الأوقات التي يُعانى فيها النظام من أزمةٍ ما، وهذا الشكل من رأس المال السياسي يختفي باختفاء الفرد الذي يمتلك هذه القدرات فهي قاصرةٌ عليه، ولا يستطيع نقلها أو توريثها لأحدٍ غيره.

الثاني : رأس المال السياسي القائم على التفويض، وهو ذلك الشكل الذي يكتسبه الفرد من خلال التفويض الذي يناله من حزبٍ معين أو مؤسسة سياسيةٍ بعينها.

ويعكس التُراث البحثي السابق نُدرةً في الدراسات الإمبيريقية التي عالجت مفهوم رأس المال السياسي، وقد يرجع ذلك إلى أن هُناك العديد من المفاهيم التي يُمكن أن تحل محل المضامين التي يُعبر عنها مفهوم رأس المال السياسي، مثال مفاهيم القوة السياسية، والسلطة، والنفوذ السياسي.

ومن خلال دراسة هذه النماذج القليلة يُمكن التأكيد على أن الأفكار التي تُؤكدها هذه الدراسات تتمثل في الارتباط بين رأس المال السياسي والقوة والفاعلية داخل المجالين

السياسي والاجتماعي، وعلى الرغم من أهمية مفهوم رأس المال السياسي كأداة يُمكن من خلالها فهم النظم السياسية، والكشف عن علاقات القوة واتجاهاتها داخل المجال السياسي في أي مجتمع، إلا أن ما يمنع ذلك هو حاجة مثل هذا المفهوم للعديد من الاجتهادات النظرية حتى يُصبح من السهل اختباره في الواقع[٦٢].

وتعتمد الدراسة الراهنة على تعريف إجرائي مؤداه أن: **رأس المال السياسي هو عبارة عن القوة والموارد التي يحوزها الفرد من خلال شغل المراكز والمناصب الرئيسة في المؤسسات المهمة داخل المجال السياسي (مثال الأحزاب، والمجالس النيابية).**

خامساً : مفهوم رأس المال الديني :

إذا كان رأس المال في حد ذاته يعنى أن بنية تتشكل من القيم، وأن إعمال هذه القيم أو استثمارها قد يكسب أو يخسر قيماً، وأن هذه القيم تُشكل تراكماً، وزيادة معدلات التراكم يعنى زيادة معدلات القوة بالنسبة لرأس المال، وأن قيمة رأس المال ذات طبيعة تبادلية بالأساس، على هذا النحو فإن تأمُّل الدين في أي مجتمع من المجتمعات يُفضى إلى التأكيد على أن الدين يُشكل في حد ذاته رأسمال، يستند إلى موارد ومصادر طبيعة يُعاد إنتاجها، وتشبع حاجة كل من الفرد والمجتمع إلى الأمان، إضافةً إلى ذلك؛ فقد تُستثمر فاعلية الدين في الحفاظ على الوضع القائم، أو تُستثمر المعاني الدينية في تحقيق أهداف اجتماعية أو اقتصادية للمجتمع كما أنها تساعد على توليد قيم جديدة تضاف إلى قيم المجتمع[٦٣].

ويؤكد "جيفريس" Jeffries على أهمية القيم الجديدة التي يضيفها استثمار الدين كرأسمال وذلك في قوله : أن سبب وجود الدين داخل المجتمع البشرى يكمن في أنه يحقق وحدة المجتمع، وذلك من خلال تزويد الأفراد بمجموعة من القيم والغايات المشتركة بين البشر[٦٤]. وكما يُشير "على ليلة" إلى أنه يُمكن استكشاف البدايات الأولى للتعامل مع الدين كرأسمال في التنظير الذي قدمه "ماكس فيبر" (١٨٦٤-١٩٢٠) فيماً يتعلق بالدور الذي يلعبه الدين في نشأة النظام الرأسمالي[٦٥].

وإذا ما كان كلٌ من "ماكس فيبر" و"على ليلة" قد أكدا على أن الدين يُمثل رأس مال مهم على مستوى المجتمعات القومية، فإن الباحث في هذا السياق يُؤكد على أن الدين أيضاً له نفس الأهمية على مستوى الأفراد خاصة في سياقات المجتمعات النامية التي تقف على هامش الحداثة[*].

وهُنا يُمكن النظر إلى رأس المال الديني Religious Capital بوصفه درجة حيازة الفرد

وسيطرته على الثقافة الدينية، وهذا يُشير إلى درجة تعلم الفرد واكتسابه للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدين معين[٦٦].

ويُعرف "أناكون" Iannaccone رأس المال الديني بأنه المهارات والخبرات الخاصة بعقيدة الفرد، ويتضمن أيضاً المعرفة الدينية والإحساس بالألفة مع شعائر العقيدة[٦٧]. ويتم إنتاج ومراكمة رأس المال الديني داخل نظام التعليم الديني الرسمي أو غير الرسمي، وأن رأس المال الديني هُنا سلعة واسعة الانتشار يتم التحكُم فيها عن طريق نماذج معقدة للإنتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك، ليس هذا فحسب بل إن رأس المال الديني يُمثل نوعاً وشكلاً قيم فعال، لأنه باستثماره الجيد يُمكن أن يُحقق للفرد تقدماً اجتماعياً، واقتصادياً، ويمكن التأكيد على ذلك من خلال النظر إلى الكم الهائل من القادة الدينيين المنحدرين من طبقات عليا ودنيا[٦٨]. أو من خلال النظر إلى الدُعاة الجُدد الذين ينتشرون في المحطات الفضائية.

ورأس المال الديني مثله مثل الأشكال الأخرى من رأس المال قابلاً للتحول أو الخضوع للعملية التي أطلق عليها "بورديو" مصطلح تدوير رأس المال، فمثلاً يُمكن تحويل رأس المال الديني إلى رأس مال اقتصادي، أو إلى شكل آخر من أشكال رأس المال، كما أنه يُمكن توريث رأس المال الديني ونقله من جيل إلى آخر[٦٩].

وتعكس المناقشات النظرية حول مفهوم رأس المال الديني خلافاً حول ما إذا كانت عملية تكوين وتراكم رأس المال الديني لدى الأفراد تُعزى إلى مدى إقبال الأفراد على تعلم الثقافة الدينية والالتزام بأداء الفرائض والشعائر المرتبطة بالدين، أم أنها عملية ترتبط بالبنيات الاجتماعية ذاتها[٧٠].

وعلى غرار تصنيف "بورديو" لأشكال رأس المال الثقافي، هناك من ميز ما بين ثلاثة أشكال لرأس المال الديني وهي[٧١]:

١- رأس المال الديني المدمج، وهو يُمثل مقياساً لنزعة الفرد، والوقت والجهد اللذان يبذلهما في مجال الدين.

٢- رأس المال الديني الموضوعي، وفيه يتخذ رأس المال الديني شكل السلع المادية والرمزية، والنصوص الدينية، وزى رجال الدين ...إلخ.

٣- رأس المال الديني المؤسسي، ويتمثل في الشهادات التي تمنحها المؤسسات الدينية للأفراد، وعضوية المؤسسات الدينية، وكلها تعبر عن مأسسة رأس المال الديني.

وتعكس الدراسات السابقة اختلاف المستويات التي تم فيها تطبيق رأس المال الديني،

فدراسة "على ليلة" حاولت تطبيق مفهوم رأس المال الديني على مستوى المجتمع الكبير، فذهب وأكد على أن رأس المال الديني هو مجموعة المعاني والرموز الدينية والتي تُحقق تكامل المجتمع، وخلص "على ليلة" إلى أن كلٌ من المجتمع الإيراني والمجتمع الإسرائيلي قد نجحا في استدعاء الدين والاعتماد عليه كرأسمال يُمكن من خلاله تحقيق أهداف ليست بالضرورة دائماً دينية، لأن بعض هذه الأهداف ارتبطت بالعديد من القرارات السياسية[٧٢].

وخلاف ذلك هناك دراسات ركز أصحابها علي استخدام رأس المال الديني على مستوى الأفراد، بوصفه درجة حيازة وسيطرة الفرد على الثقافة الدينية، من خلال تعلم الفرد للمعرفة والمهارات والشعائر الخاصة بدينٍ معين سواء كان هذا التعليم بشكل رسمي أو غير رسمي. ليس هذا فحسب بل رصدت الدراسات حركة تدويرات رأس المال الديني إلى الأشكال الأخرى من رأس المال، تلك التدويرات التي تُعظم المنافع والفوائد المردودة من خلال رأس المال الديني[٧٣].

ويُؤكد الباحث هُنا على أن مفهوم رأس المال الديني – كما هو مفهوم رأس المال السياسي- في حاجة لمزيد من الدراسة والاختبار الإمبيريقى، حتى تتسع حدود المفهوم وتتضاعف مضامينه وتتعمق. ويقترح الباحث في هذه الدراسة رؤية إجرائية لمفهوم رأس المال الديني تذهب إلى **أنه درجة حيازة الفرد على الثقافة الدينية، والوصول إلى الموارد المرتبطة بهذه الثقافة، والتي تضمن له تحقيق مكانة اجتماعية متميزة داخل المجال الديني، ومن أهم المؤشرات التي سوف يتم بها قياس رأس المال الديني والاستدلال عليه، هي:**

أ- الشهادات والمؤهلات والتدريبات التي يحوزها الفرد من خلال المؤسسات التعليمية الدينية.

ب- المكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد في المؤسسات العاملة في المجال الديني.

ت- حيازة السلع المادية والرمزية المرتبطة بالدين، مثال الحرص على ارتداء الزى الديني.

التعقيـب :

عرض الباحث فيما سبق لمقولات رأس المال من الطرح الكلاسيكي لدى "كارل ماركس"، نهايةً بالطرح المعاصر الذي ظهر لدى العديد من العلماء، وتم التأكيد على أهمية مفهوم رأس المال ومحوريته داخل العلوم الاجتماعية، وعلى هذا الأساس سوف يقوم الباحث بعرض مجموعة من الملاحظات التي خلص إليها بعد هذه المناقشة، وذلك على النحو التالي :

أ- أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصل التطور الذي شهده مفهوم رأس المال، عن التطور الذي شهدته الرأسمالية، فكل تطور شهده مفهوم رأس المال، وكل شكل جديد ظهر من أشكاله ارتبط إلى حد ما بمرحلة معينة من مراحل تطور الرأسمالية، ويمكن إقامة الدلائل على ذلك من خلال تزامن التحولات الأخيرة التي شهدتها الرأسمالية ودخلت من خلالها إلى مجتمع المعلومات، مع ظهور أشكال جديدة من رأس المال، مثال: رأس المال الفكري، ورأس المال المعرفي، ورأس المال المعلوماتى[٩٠].

ب- أنه على الرغم من الزخم العلمي المرتبط بمفهوم رأس المال، وأهمية إسهام كل من "آدم سميث" و "كارل ماركس" وغيرهما، إلا أن أهم الإسهامات المعاصرة في هذا المجال تتمثل في طرح "بورديو" الذي نظر إلى رأس المال بوصفه كل طاقة اجتماعية تستخدم في التميز والمنافسة، وبهذا المفهوم الذي طرحه "بورديو" فإنه عزم على نقل نظرية رأس المال المرتبطة بالعمل في المجال الاقتصادي لوصف العالم الاجتماعي، ليس هذا فحسب بل أكد "بورديو" على أن توزيع الأفراد في الفضاء الاجتماعي يتم طبقاً للكم الإجمالي لرأس المال في المقام الأول، وطبقاً لبنية رأسمالهم، أي الوزن الارتباطي للأنواع المختلفة من رأس المال[٩١].

ت- وإذا كان "بورديو" قد تميز بهذا الطرح لمفهوم رأس المال، فإنه تميز أيضاً بطرحه لشكل رابع من أشكال رأس المال وهو رأس المال الرمزي Symbolic Capital حيث يعرفه بأنه الشكل الذي يتحول إليه أي شكل من أشكال رأس المال في حال ما تم الاعتراف به وإدراكه اجتماعياً، أو تم إضفاء الشرعية عليه، تلك الشرعية التي تنظمها قوانين المجال الاجتماعي[٩٢].

ث- لم يكن الانتقال من مستوى التحليل الكلى الذي تبناه "كارل ماركس" في نظريته عن رأس المال إلى مستوى التحليل الجزئي، هو التحول الوحيد في نظرية رأس المال، ولكن كان بالإضافة إلى ذلك تحولٌ آخر وهو اعتبار الفعل والاختيار من العناصر المهمة

والتي ينبغي التركيز عليها في إطار الرؤى المعاصرة لرأس المال، وهذا يُخالف الطرح الكلاسيكي لرأس المال، ذلك الطرح الذي نظر إلى أصحاب رأس المال على أنهم من لديهم القُدرة على الفعل والاختيار، والعُمال ما هم إلا عناصر يتم الاعتماد عليها في إطار عملية الإنتاج[٩٣].

ويُؤكد الباحثُ على أن أهم ما قدمته الرؤى المختلفة لمفهوم رأس المال بأشكاله المتعددة، هو التعامل مع مفاهيم رأس المال بوصفها مفاهيم منظمة لفهم الآليات التي تُؤثر على فُرص الحياة[*] Life Chances. لدى الأفراد، ليس هذا فحسب، بل أن توزيع الأفراد داخل البنية الطبقية في أي مجتمع يتحدد على ضوء المقدار الذي بحوزتهم من رءوس الأموال المختلفة.

هوامش الفصل الثانى

(1) Jff Couiter, Conceptual Transformations, Sociological Theory, Vol. 13, No.2, Jul 1995, P. 164.

(2) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory. Vol.1, Sage Publication, London. 2005, P.75.

(٣) انظر في ذلك :

- Alexander Lellatchitch. and Others, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective, P.5. http:// www. Wien. Ac- at/inst/ ivm/local.htm
- Helmut K. Anheir. and Others. Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, American Journal of Sociology, Vol. 100, No. 4, Jan 1995, P. 862.

(4) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory. Vol.1, Sage Publication, London, 2005, P.75.

(٥) إلياس فرح، تطور الفكر الماركسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧٤.

(6) Nan Lin. Social Capital: A Theory of Social Structure and Action. Cambridge University Press. Cambridge. 2001. P. 7.

(*) يُشير مفهوم الكابح الاجتماعي عند "جيدنز" إلى أن الجماعات والمجتمعات التي ننتمي إليها تمارس تأثيراً فاعلاً، يسهم في تشكيل سلوكنا. ولقد اعتبر "دور كايم" أن الكابح الاجتماعي يمثل أحد الخصائص المميزة للظواهر الاجتماعية، ولقد قسم "جيدنز" هذه الكوابح إلى ثلاثة أنماط هي؛ الكوابح المادية، والعقاب الشعبي، والكوابح البنائية. انظر في ذلك :

- أنتونى جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زايد وآخرون، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢.
- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع، نظرية تشكيل البنية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد رقم (٣٣)، العددان (١ ، ٢)، المركز القومي للبحوث

الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مايو١٩٩٦م، ص ص ٨٠-٨٢.

(7) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, In J.G Richardson (ed),Handbook of Theory and Research for The Sociology of Education, Greenwood press, New York, 1980, PP. 241- 242.

(8) Esther Ho Sui – Chu, Parental Involvement and Student Performance : The Contribution of Economic, Cultural. and Social Capital, National Library of Canada. Canada. 1998. PP. 56- 57.

(9) Nan Lin, Inequality In Social Capital, Contemporary Sociology, Vol. 29, No. 6, Nov. 2000. pp. 785 -786.

- عندما تناول "كارل ماركس" مفهوم رأس المال بهذا الطرح الكلاسيكي لم يكن أمامه إلا صورة واحدة وهي الهزيمة الحتمية للنظام الرأسمالي، ولكن وبعد أن استمرت الرأسمالية وفرضت سيطرتها، كان علم الاجتماع في حاجة لإعادة إنتاج مفهوم رأس المال، فلا سبيل لأحد الآن إلا أن يكون رأسمالياً. ولكن في أي شئ يستثمر وهو لا يملك شئ من أساليب الإنتاج ولا يضع في البنوك أرصدة من الأموال، وهنا جاء تدخل "بورديو" ليطرح أشكالاً أخرى من رأس المال يحوزها الجميع، هذه الأشكال الجديدة من رأس المال تجعل من كل فرد رجل استثمار.

(10) Emily Etcheverry, Social Capital : A Resource for the Human Capital Development of University Students, Faculty of Education. Canada. 1996. P. 23.

(١١) حامد الهادي، الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥٧.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٥٧.

(١٣) انظر في ذلك :

- James Colman, Foundations of Social Theory, Belknap Press, Cambridge,1990. P. 304.
- James P. Spillane and Others, Forms of Capital and The Construction of leadership: Instructional Leadership in Urban Elementary Schools,Sociology of Education, Vol. 76, No.1, Jan 2003, p. 3.

(14) Emily Etcheverry, Social Capital: A Resource For The Human Capital Development of University Students, Op. Cit., P. 24.

(15) Nan Lin, Social Capital: A Theory of Social Structure and Action, Op.Cit., P.14.

(16) Ibid. P. 10.

(*) لقد ازدهر مفهوم رأس المال الاجتماعي وانتشر في أواخر القرن العشرين، عندما كانت الرأسمالية في ذروتها، ويحمل هذا المفهوم مختلف المضامين والقيم والمعاني التي تفقدها المجتمعات الرأسمالية ذاتها. انظر في ذلك :

- Manohar Pawar, " Social " " Capital ", The Social Science Journal, Vol. 30, 2006, P. 5.

(17) Alejandro Portes, Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology, Annual Review of Sociology. Vol. 24, 1998, P. 2.

(18) Ibid. P. 2.

(19) Robert D. Putnam (ed), Democracies in Flux : The Evolution of Social Capital in Contemporary Society. Oxford University Press, Oxford. 2002. P. 4.

(20) Fukuyama, the End of Order, Center for Post – Collectivist Studies, London. 1997. P. 3.

(21) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, Op.Cit., P. 249.

(٢٢) انظر في ذلك :

- Qyvind Ihlan, The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu to the Study of Public Relation, Public Relations Review, Vol. 31, 2005, P. 494.

(23) Edgar F. Borgatta, Rhonda J.V. Montgomery, Encyclopedia of Sociology, Vol. 4, Macmillan Reference, New York, 2000. P. 2637.

(24) Helmut K.Anheier, Jurgen Gerhards. Frank P. Romo, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 862.

(25) Pamela Paxton, Social Capital and Democracy : An Interdependent Relationship, American Sociological Review, Vol. 67, No. 2, Apr. 2002, P. 256.

(26) Ricardo D. Stanton – Salazar, Sanford M. Dornbuch, Social Capital and The Reproduction of Inequality : Information Networks Among Mexican – Origin High School Students, Sociology of Education, Vol. 68. No.2, Apr. 1995, P.119.

(27) Nan Lin, Inequality in Social Capital, Op.Cit., P. 786.

(28) Alejandro Portes, Patricia Landolt, Social Capital : Promise and Pitfalls of Its Role in Development, Journal of Latin American Studies, Vol. 33, No. 2, May 2000, P. 532.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل حول رؤية " كولمان "، انظر :

- James Colman, Foundations of Social Theory, Op.Cit., p. 302.
- William A. Amaloney and Others, Social Capital and Associational Life, in Stephen Baron and Others (eds), Social Capital : Critical Perspectives, Oxford University Press, Oxford, 2000, P. 214.

(30) James Colman, Social Capital in the Creation of Human Capital, American Journal of Sociology, Vol. 94, 1984, PP. 102 -104.

(31) Alejandro Portes. Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology. Op.Cit., P. 5.

(32) Tom Schuller, and Others, Social Capital : A Review and Critique, in Social Capital : Critical Perspectives. Op.Cit., P. 8.

(33) Eric F. Piche. Religion and Social Capital in Canada, Queens University, Canada. 1999, P. 1.

(34) Alejandro Portes, The Two Meaning of Social Capital, Sociological Forum, Vol.15, No. 1, Mar. 2000. PP. 3- 4.

(٣٥) انظر في ذلك :

- Anirudh Krishna, Active Social Capital, Columbia University Press, New York, 2002, PP. 57 -62.
- Ted Mouw, Social Capital and Finding Job : Do Contacts Matter ?, American Sociological Review, Vol. 68, No. 6, Dec 2003, PP. 868 -870.
- Nan Lin, Social Networks and Status Attainment, Annual Review of Sociology, Vol. 25, 1999, PP. 467 -470.
- Robert D. Putman, Democracies in Flux : The Evaluation of Social Capital in Contemporary Society, Op. Cit, PP. 3- 8.

(٣٦) انظر في ذلك :

- Joel Sobal, Can We Trust Social Capital?, Journal of Economic Literature, Vol. 40, No.1, Mar 2002, P. 141.
- Qyvind Ihlan, The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu To The Study of Public Relations, Op. Cit, P. 494.

- أحمد زايد وآخرون، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ص ٩-١٠.

(٣٧) من الدراسات التي اهتمت برأس المال الاجتماعي على مستوى الجماعات والمجتمعات، انظر :

- Anil Rupasingha and Others, The Production of Social Capital In Us Counties, The Journal of Socio-Economic, Vol. 35, 2006, PP. 83 -101.
- Lorne E. Jaques, Social Capital and The Community : A Case Study of A Small Mexican Village, National Library of Canada, 2001, PP. 47 -58.

(٣٨) انظر في ذلك :

- Vivien Lowndes, Women and Social Capital, British Journal of Political Science, Vol. 30, No. 3, Jul 2000, PP. 533- 537.

(٣٩) انظر في ذلك :

- Nan Lin, Social Networks and Status Attainment, Op. Cit., PP. 46 7- 475.
- Pierre Bourdieu, Distinction : A Social Critique of The Judgment of Taste Translated By Richard Nice, Routledge, London, 1948.

(40) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op.Cit., P. 168.

ولمزيد من التفاصيل حول إشكالية الثقافة، وأبرز المقاربات الأنثروبولوجية والأيديولوجية والسوسيولوجية لمفهوم الثقافة، انظر :

- عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة .. المفاهيم والإشكاليات .. من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

(41) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, Op.Cit., PP. 244- 248.

(42) Paul W. Kingston, The Unfulfilled Promise of Cultural Capital Theory, Sociology of Education ,Vol. 74, 2001, P. 89.

ويعقب الباحث هنا على تقييم "لامونت" و "لارو" لرؤية "بورديو" لمفهوم رأس المال الثقافي، إلى عدم موضوعية هذا التقييم، لأن هناك العديد من الدراسات التي أخضعت نظرية "بورديو" للاختبار الإمبيريقى، ليس في العالم الغربي فحسب، بل وأيضاً في كثير من دول العالم الثالث، ومنها في مصر، انظر على سبيل المثال :

- خالد عبد الفتاح، المتعلمون القرويون خصائصهم الاجتماعية ورؤاهم للعالم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٩٩٩م.
- Ghada P. Barsoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Cairo Papers in Social Science, Vol. 25, No. 3, The American University, Cairo, 2002.

(٤٣) انظر في ذلك :

- Michele Lamont, Annette Lareou, Cultural Capital : Allusions, Gaps and Glissandos in Recent Theoretical Developments, Sociological Theory, Vol. 6, No.2, Auto. 1988, PP. 150156-.
- Paul W. Kingston, The Unfulfilled Promise of Cultural Capital Theory, Op. Cit., P. 89.

(44) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op. Cit., P. 167.

(45) Elizabeth B. Silva, Homologies of Social Space and Elective Affinities : Researching Cultural Capital, Sociology, Vol. 40, No. 6, 2006, P. 1173.

(46) Helmut K. Anheier, Jurgen Gerhards, Frank P. Romo, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bordeaux's Social Topography, Op.Cit., P. 862.

(47) Alexander Lellatchitch, and Others, The Filed of Career...Towards A New Theoretical Perspective , Op. Cit., P.5.

(48) Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habitus, Sociology of Education, Vol. 75, No. 1, Jan 2002, P. 48.

(49) Alejandro Portes, The Two Meanings of Social Capital, Op. Cit., P. 2.

(50) Susan A Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habitus, Op. Cit., PP. 48- 49.

(٥١) انظر في ذلك :

- Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success : The Role of Habits, Op Cit, PP. 48 -49.
- Jon Lauglo, Social Capital Trumping Class and Cultural Capital ? Engagement With School Among Immigrant Youth, In Stephen Baron (ed), Social Capital : Critical Perspectives, Oxford University Press, Oxford, 2000, P. 154.

(52) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op Cit, P. 168.

(٥٣) انظر في ذلك :

- Michele Lamont. Annette Lareau. Cultural Capital : Allusions. Gaps and Glissandos in Recent Theoretical Developments. Op Cit. P.155.
- Carlo Barons. Cultural Capital. Ambition and the Explanation of

Inequalities in Learning Outcomes. Sociology. Vol. 40. No.6. 2006. PP. 1040 -1042.

(٥٤) بورديو، التليفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة درويش الحلوجى، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٨٨.

(55) Richard Jenkins, Pierre Bourdieu, Rutledge, London, 1992, P. 84.

(56) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Working Paper, No. 104, Center of European Studies, 2002, P.10.

(57) Ibid, P. 9.

(58) Vincent Jeffries, H. Edward Ransford, Social Stratification, Allen and Bacon INC, Boston, 1980, P. 66.

(59) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Op. Cit, P. 11.

(60) Tim Blum, and others, The Political Capital of Foreign Subsidiaries, Business & Society, Vol. 18, No. 5, Sep. 2007, P. 3.

(61) Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and European Integration, Op. Cit., P. 12.

(*) يلاحظ الباحث هنا أن طرح بورديو عن رأس المال السياسي القائم على الكاريزما، مستمد أساساً من فكرة "ماكس فيبر" حول أشكال السلطة، حيث أشار "فيبر" إلى السلطة الكاريزمية، وهي أن شخص ما يمتلك بالنظر إلى قدراته السحرية أو الدينية أو العسكرية، خاصية تنبؤية سامية، يعتقد أن بقية البشر يفقدونها. انظر في ذلك :

– على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٢٥.

(٦٢) انظر في ذلك :

- Niilo Kanppi, Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and of European Integration, Op Cit, P.11.
- Tim Blum, and Others, The Political Capital of Foreign Subsidiaries, Op Cit, P. 3.

(٦٣) على ليلة، العلاقة بين الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٧.

(64) Vincent Jeffries, Social Stratification, Op. Cit., P. 101.

(٦٥) على ليلة، العلاقة بين الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، مرجع سابق، ص ٧.

(*) ولقد ذهب "بورديو" إلى التأكيد على هذه الفكرة من خلال إشارته إلى تمركز الكفاح نحو السيطرة على رأس المال الديني، بين فئات من الأفراد منهم رجال الدين، وجمهور المؤمنين، وكذلك الكفاح بين سلطات رجال الدين وأولئك الخارجين عن تعاليم الدين. انظر في ذلك :

- Craig Calboun, Critical Social Theory, Black Well, oxford, 1995, P. 157.

(66) Roger Finke, Kevin D. Dougherty, The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries, Journal of the Scientific Study of Religion, Vol. 41, No. 1, 2002, P. 106.

(67) Bradford Verter, Spiritual Capital : Theorizing Religion With Bourdieu Against Bourdieu, Sociological Theory, Vol. 21, No. 2, Jun. 2003, P. 158.

(68) Ibid, P. 168.

(٦٩) انظر في ذلك :

- على ليلة، رأس المال الديني، والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مجلة الديمقراطية العدد (٢٦)، مركز الدراسات والبحوث السياسية والإستراتيجية، القاهرة ٢٠٠٧م، ص ص ٤٢-٤٣.

- Bradford Verter, Spiritual Capital, Op. Cit., P. 167.

(70) William A. Mirola, Marian College, Review of "Religion as Social Capital : Producing the Common Good", Colwin Wsmidt (ed), Sociology of Religion, Vol.67, No. 3, 2006, P. 341.

(71) Bradford Venter, Spiritual Capital, Op.Cit., PP. 159 -160.

(٧٢) انظر في ذلك :

- Roger Fink, Kevin D. Dougherty, The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries, Op Cit, PP. 103 -120.

- على ليلة، رأس المال الديني والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٩.

- خالد كاظم أبو دوح، رأس المال الديني وتنمية المجتمعات العربية، مجلة التسامح، العدد (٢٣)، عمان، صيف ٢٠٠٨م، ص ص ٢٣٧-٢٤٣.

(٧٣) خالد كاظم أبو دوح، تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الديني في صعيد مصر، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي الحادي والعشرون للبحوث السياسية " تحولات المجال العام في مصر ... تنامي الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، ديسمبر ٢٠٠٧م، ص ص ٥-١٠.

(90) George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Op. Cit., P. 76.

(91) Pierre Bourdieu, Social Space and Symbolic Power, Sociological Theory, Vol.7, No.1, Spr.1989, P.17.

(٩٢) بورديو، العقلانية العملية، ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٣٨.

(93) Nan Lin, Social Capital: A Theory of Social Structure and Action , Op. Cit., P. 17.

(*) يُعد مفهوم فرص الحياة من المفاهيم التي استخدمها "ماكس فيبر" لأول مرة في إطار تحليلاته النظرية حول الطبقة، ويقصد به فرصة الأفراد في استغلال قدراتهم وإمكانياتهم في تحقيق أهدافهم، أو فشلهم في ذلك. انظر في ذلك :

- John A. Perry, Erma K. Perry, Contemporary Society, Harper & Row Publishers, New York, 1981, P. 158.

الفصل الثالث

أشكال رأس المال وتشكيل النُخْب الاجتماعية

- تمهيـد.
- أولاً : رأس المال وتشكيـل النُخْب الاجتمـاعيـة.
  - التفاوت فى حيازة الأفراد لرأس المال.
  - التفاوت بين أشكال رأس المـال.
- ثانياً : تبدلات رءوس الأموال وتكوين رأس المال الجمعي.
  - رأس المال الاجتماعي.
  - رأس المال الثقـــافى.
  - رأس المال السيـــاسي.
  - راس المال الـــــديني.
  - رأس المال الجمعي...محصلة تبدلات رأس المال.
- ثالثاً : استراتيجيات تدوير رءوس الأموال.
- التعقيب

تمهيـد :

يُحاول الباحث خلال هذا الفصل التنظير للكيفية التي تعمل بها الأشكال المختلفة لرأس المال في تشكيل النُخَب الاجتماعية وذلك من خلال عمليتين: الأولي هي التفاوت في حيازة الأفراد لرأس المال، والثانية هي التفاوتات القائمة ما بين الأشكال المختلفة من رأس المال، وذلك فيما يتصل بالفاعلية والسيولة.

ثم يُعالج الباحث بعد ذلك صور تبدلات أشكال رأس المال داخل المجالات المختلفة، وكيف أن هذه التبدلات التي تشهدها الأشكال المختلفة من رأس المال، يمكن أن تعمل علي تكوين رأس المال المحوري، وهذا الأخير– أي رأس المال المحوري- هو محصلة تبدلات رءوس الأموال.

ثم يعرض الباحث بعد ذلك أهم الاستراتيجيات التي يُمكن أن يعتمد عليها أفراد النُخَب الاجتماعية في عملية تدوير رءوس الأموال من شكلٍ إلي أخر، بما يعمل علي مراكمة المنافع والعوائد وكسب رهان المجال، أو الوصول إلي نُخْبة مجال السلطة العام.

وتهدف الدراسة الحالية من خلال الجهد التأملى الذي سوف يُبذل خلال هذا الفصل إلي بناء رؤية نظرية حول دور أشكال رأس المال في تشكيل النُخَب الاجتماعية، بالإضافة إلي اشتقاق عدد من التساؤلات التي سوف تهتم الدراسة بالإجابة عليها من خلال الدراسة الميدانية.

تتفق الدراسة الراهنة مع "بورديو" في نسفه مقولة "المجتمع" الفارغة ، والتي – أي مقولة المجتمع – استبدلها بمفهومي الفضاء الاجتماعي والمجال، وبالنسبة إلى "بورديو" ليس المجتمع المتمايز متجانساً كلياً، ينتج تكامله عن وظائف نسقية، وثقافة مشتركة، ونزاعات متشابكة، أو عن سلطة عليا، بل هو مجموعة من مجالات أو ميادين، "اللعب" المستقلة نسبياً، والتي لا يمكن ضمها تحت منطق مجتمعي كلي سواء أكان منطق الرأسمالية، أو الحداثة، أو ما بعد الحداثة.

والتفكير وفق مفهوم المجال يعني التفكير علائقياً، فما يُوجد في العالم الاجتماعي هو علاقات – ليست علاقات ما بين فاعلين لها طابع ذاتي – موضوعية موجودة بشكلٍ مستقل عن وعي الأفراد وإرادتهم، علي حد قول "ماركس"، والمجال كأي واقع يشمل مواقع محددة يحتلها الفاعلون (مؤسسات، فئات، أفراد) وتخضع البنية الهيراركية لكل مجال إلي كيفية توزيع رأس المال الذي يأخذ أشكالاً متنوعة (رأس مال اقتصادي، ورأس مال اجتماعي، ورأس مال ثقافي، ورأس مال سياسي، ورأس مال ديني، ورأس مال رمزي)، وأي رأس مال يُمثل قوة وسلطة، والعلاقات داخل الميدان لُعبة تنظمها قواعد وانتظامات وتجاذبات وعمليات (تعاون،

تنافس، كفاح، صراع ...) من أجل المحافظة علي وضع المجال أو وضع المكانة أو من أجل التغيير[1].

ويتوزع الأفراد علي المجالات المتعددة، ويحاول كل فرد حيازة أكبر مقدار من رأس المال النوعي (أي شكل رأس المال المرتبط بهذا المجال الذي يتواجد فيه) ومراكمة هذا المقدار وتعبئته نحو تحقيق الأهداف التي يصبو إليها، والوصول إلي المغانم والفوائد والموارد القيمة المرتبطة بهذا المجال، كل هذا يدعم اتجاه الفاعل نحو الوصول للمكانة الاجتماعية المرموقة – التي تتناسب دوماً مع المقدار الذي راكمه من رأس المال النوعي، وتتناسب مع الجهد والوقت الذي بذله في عملية تعبئة رأس المال نحو تحقيق المكانة – وتحقيق نُخْبويته داخل هذا المجال.

وعلي هذا الأساس تكون النُخْبوية هي قدرة الفرد علي حيازة ومراكمة مقادير عالية من رءوس الأموال، تُمكنه من السيطرة علي موارد القوة داخل مجال ما[*]. وكلما كانت هذه المقادير مرتفعة عما يحوزه الآخر كلما زادت نُخْبوية الفرد وقوته. وتعدد النُخْب من مجرد نُخْبة سياسية إلي نُخْب اجتماعية متعددة، يرتبط أولا بتعدد المجالات التي يتضمنها الفضاء الاجتماعي، وتعدد أشكال رأس المال، حيث أن لكل مجال رأس مال نوعي يرتبط به ومن هنا فإنه يصح القول بأن لكل مجال نُخْبة، وقد يكون لكل نُخْبة رأس مال أو أكثر خاص بها، أو ترتكز عليه في صناعة نُخْبويتها، والتساؤل الذي يطرح نفسه الآن هو **كيف تُشكل رؤوس الأموال نُخْب اجتماعية متعددة؟** وهذا التساؤل سوف نتوصل إلى الإجابة عنه من خلال مناقشة العناصر التالية:

أولاً : رأس المال وتشكيل النُخْب الاجتماعية ... من التفاوت الاجتماعي إلي التفاوت الرأسمالي :

يعكس مفهوم النُخْب الاجتماعية، تعدد المجالات داخل الفضاء الاجتماعي، كما أن تجسد النُخْبوية في أي تكوين اجتماعي ما هو إلا مؤشر علي تفاوت في حيازة الأفراد لرأس المال ومراكمته، وعلي تفاوت بين الأشكال المختلفة لرأس المال، سواءً من حيث الفاعلية، أو السيولة والقابلية للتحويل والتدوير، وهذا ما سوف يتم تناوله فيما يلي:

(١) التفاوت في حيازة الأفراد لرأس المال :

لا يُوجد مجتمع حتى الآن يتضمن نظاماً يمنع التفاوت في توزيع الأشياء النادرة والمرغوب فيها؛ مثال الأشكال المختلفة لرأس المال، فالتفاوت الاجتماعي قديم قدم العالم ذاته، وفي الماضي إرتضى معظم الأفراد هذا التفاوت بوصفه حقيقة حتمية من حقائق الحياة، وحديثاً

تساءل الأفراد عن هذا التفاوت واعتبروه موضوعاً ومشكلة ينبغي التفكير فيها والعمل علي علاجها، وتمخض عن هذا الاهتمام بموضوع التفاوت ظهور فكرة الشيوعية التي تهدف إلي إيجاد مجتمع لا طبقي، يتم خلاله توزيع ملكية الأشياء علي الجميع، وظهرت فكرة المجتمع الرأسمالي التي تبحث وتسعي لإعطاء كل فرد في المجتمع فُرصاً متكافئة للتنافس من أجل الموارد النادرة وكلا الهدفين لا يزالا ضربٌ من الخيال، ولذلك لا عجب من سماع أحد يقول: بأن بعض التفاوت الاجتماعي يكون حتمي ولابدَّ منه[٢].

ولهذا كانت دراسة التفاوت الاجتماعي من الموضوعات التي اهتم بها الفكر السوسيولوجي منذ البدايات الأولي لعلم الاجتماع، ولقد اختلف الرواد الأوائل في علم الاجتماع في توصيفهم لأشكال التفاوت الاجتماعي وعواقبه على المجتمع، فعلي سبيل المثال، أكد "ماركس" علي التفاوتات الاجتماعية، وما يتمخض عنها من تمايزات طبقية حادة بين الأفراد، خاصةً أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج، وأولئك الذين يبيعون قوة عملهم، ولقد اعتبر "ماكس فيبر" الطبقة محدد وعلامة أساسية للتفاوت الاجتماعي، ودعم "فيبر" أهمية المكانة والقوة كعوامل هيراركية حددت التفاوت الاجتماعي، كما حشد "دور كايم " آراء علماء الاجتماع المبكرة لفحص وفهم تداعيات التفاوت الاجتماعي علي العائدات البشرية، ولعل كل هذا مؤشرات تؤكد علي الاهتمام السوسيولوجي بفكرة التفاوت الاجتماعي[٣].

وتطرح الدراسة الراهنة فرضية أن التفاوت الاجتماعي ما بين الأفراد يرتبط بشكل عام بمسألة أن كل الأفراد أو الجماعات ليسوا متماثلين في اكتساب رأس المال وحيازته، كما أنهم ليسوا متماثلين فيما هو متوقع أن يعود عليهم من منافع وعوائد قيمة من خلال استثمارهم في رأس المال الذي يمتلكونه؛ وحيازة الفرد لمقدار كبير من رأس المال النوعي، المرتبط بمجال ما، لا يُعد شرطاً كافياً لتحقيق الفرد لنُخْبويته داخل هذا المجال، لأن الفرد يحتاج أيضا إلي إستراتيجية[*]. تُمكنه من تعبئه هذا الرصيد الذي يمتلكه من رأس المال نحو تحقيق المنافع والعوائد القيمة، ويتوقف نجاح الفرد في هذه العملية علي مقدار ما يبذله من وقت وجهد، وما يمتلكه في الأساس من رأس مال بشري يُمكنه من حيازة أعظم رهانات المجال، وهي القوة، وتلك الأخيرة قد تدفعه إلي خارج حدود هذا المجال- رأسياً – بمعني أن تمتد نُخْبويته إلي داخل مجال اجتماعي أخر، وهو مجال السلطة.

(*) وتطرح الدراسة الراهنة فيما يتصل بالإستراتيجية التي يحتاجها الفرد في تعبئة رصيده من رأس المال نحو تحقيق العوائد القيمة، تساؤل مهم مؤداه ما الإستراتيجية التي اعتمد عليها كل فرد من أفراد النُخَب الاجتماعية لتحقيق مكانته ؟ وهل تختلف هذه الإستراتيجية باختلاف كل من المجال وشكل رأس المال ؟

ويذهب "لين" إلي أن التفاوت في رأس المال ما بين الأفراد، ينتج من عمليتين: الأولي: هي النقص والعجز في رأس المال، والثانية النقص والعجز في العوائد والأرباح المتراكمة من خلال رأس المال[٤]. ووفق طرح "لين" فإن النقص في رأس المال يُشير إلي أن هناك استثمار متفاوت، أو أن هُناك تفاوت في الفرص المُتاحة للأفراد، ويترتب علي هذا أن تكون هُناك جماعات في المجتمع تعاني من عجز ونقص في نوع وكم رأس المال، وذلك مقارنةً بالآخرين، علي سبيل المثال: تستثمر الأسرة في رأس المال البشري والاجتماعي لأبنائها الذكور، أكثر من أبنائها الإناث، وهذا يؤكد علي رؤية "بورديو" التي يوضح فيها أن الاختلاف والتباين في حيازة رأس المال يرتبط في بعض جوانبهِ بشكل البناء الاجتماعي وسماته في المجالات المختلفة[٥].

وإذا كان " لين " قد حدد ووضح اختلاف الجماعات فيما بينها في الاستثمار في رأس المال، فإن الدراسة الراهنة تُوضح هذا الاختلاف علي مستوي الأفراد، من خلال التأكيد علي أن أي شكل من أشكال رأس المال التي يُمكن أن يحوزها الفرد ويراكمها، يتضمن رصيد ثابت، وآخر رصيد متحرك أو دائر، ونجاح الفرد في الاستثمار في الرصيد الدائر من رأس المال الذي يحوزه، وتحويل هذا الرصيد أو جزء منه إلي شكلٍ آخر من أشكال رأس المال يدعم الشكل الأول الذي يحوزه، ويدفع نحو كسب المزيد من الفوائد ورهانات المجال.

ومن خلال هذا التأمل النظري السابق، يمكن تطوير واشتقاق الفرض الذي مؤداه: أن تحقيق الفرد لنُخْبويته في مجال ما، يرتبط بقُدرة الفرد علي حيازة ومراكمة أكبر مقدار من رأس المال النوعي، ويرتبط أيضاً بقُدرة الفرد علي الاستثمار في الرصيد المُتحرك من رأسماله، وتدويره لشكل آخر من أشكال رأس المال.

(٢) التفاوت بين أشكال رأس المال :

لا تتوقف عملية تشكيل النُخَب الاجتماعية في أي سياق اجتماعي علي العجز أو النقص في رأس المال، والفرص المتفاوتة في الاستثمار، وبالتالي التفاوت في العوائد والمغانم بل أن شكل رأس المال الذي يحوزه الفرد يلعب دورٌ حاسمٌ أيضاً في تشكيل النُخَب الاجتماعية.

خاصة وأن أشكال رأس المال تختلف عن بعضها البعض من خلال درجة السيولة والقدرة والفاعليةً، وكذلك درجة الاستمرارية، فرأس المال الاقتصادي هو الأكثر سيوله وفاعلية في إحداث التحول الإيجابي من رأس المال الثقافي والاجتماعي، فمن خلال المقارنة نجد أن قدرة رأس المال الاجتماعي مكلفة ومعقدة الشروط عند مقارنته برأس المال الاقتصادي، فرأس المال

الاجتماعي قليل السيولة – سلعة غير رائجة وحركتها بطيئة – ومعرض للتآكل، وبينما يكون من الصعب تحويل رأس المال الاجتماعي إلى رأس مال ثقافي، فإن عملية تحويل رأس المال الثقافي إلي رأس مال اجتماعي عملية يسيره وسهلة، وهذا الاختلاف القائم ما بين الأشكال المختلفة لرأس المال في درجات السيولة والقدرة والاستمرارية، يخلق مخططات وسيناريوهات مُتباينة للفاعلين في المجالات الاجتماعية المختلفة وتوزيعهم علي الأوضاع الهيراركية داخل المجال(٦).

ويُشير " بورديو" أيضا إلي إمكانية استنباط الأشكال المختلفة من رأس المال من رأس المال الاقتصادي ، ولكن يبقى ذلك مرهون بقدر الجهد المبذول في إطار عملية التدوير والتحويل، ليس هذا فحسب بل أن هُناك العديد من أشكال رأس المال المُتحولة تخفي عن مُلاكها أن رأس المال الاقتصادي هو أساسها.

ويُؤكد " بورديو" أيضا علي أن عملية تحويل رأس المال الاقتصادي إلي رأس مال اجتماعي عملية تقتضى عملٌ خاص ، وبذل مضاعف من الوقت والجهد والاهتمام والتركيز، وكل هذا يعود بالمنافع علي الفرد ، من خلال عمليات التبادل، ويبدو هذا العمل والجهد والوقت – من وجهة النظر الاقتصادية – كما لو كان خسارة كاملة، ولكن بمقتضى منطق التبادلات الاجتماعية فهو يبدو كاستثمار جيد وعوائده ومنافعه سوف تتجسد علي المدى البعيد في صورةٍ مادية أو في أي صورةٍ أخري(٧).

وعلي خلاف هذه الرؤية التي يطرحها " بورديو" هناك من يُؤكد علي أن أشكال رأس المال مترابطة فيما بينها علي نحوٍ وثيق ومتشابك ولا يمكن أن نراها تعمل وتؤدي وظائفها بشكلٍ مُنفصل ومستقل عن بعضها البعض، كما أنها لا تتحدد بواسطة شكل واحد مثل رأس المال الاقتصادي(٨).

ويُعلق الباحث علي هذه الرؤية السابقة من خلال التأكيد علي أن "بورديو" لا يُؤكد علي الأهمية المطلقة لرأس المال الاقتصادي، رغم أن هناك مجموعة من الباحثين يرون أن "بورديو" قد أكد على فكرة الأهمية المطلقة لرأس المال الاقتصادي، من حيث الفاعلية والسيولة والقابلية للتدوير والاستمرارية، وهذه فكرة غير صحيحة لأن القراءة المتأنية لطرح "بورديو" تُؤكد علي ما هو خلاف لهذه الرؤية، وتُؤكد الدراسة الراهنة علي أن " بورديو " قد أعطي أهمية إلى رأس المال الثقافي، لا تقل بأي حالٍ من الأحوال عن الأهمية التي أعطاها إلى رأس المال الاقتصادي، إضافة إلى أن "بورديو" لا يعتبر رأس المال الاقتصادي هو الثروة

فقط، ولكن يضم أيضاً مجال العلاقات الاقتصادية ، تلك الآلية التي تكون مرتبطة بتنمية العوامل الخاصة بالمصالح والمنافع الذاتية، ومع مثل هذه العلاقات يُمكن للثروة –علي حد قول "بورديو"– أن تُصبح شكلٍ من أشكال رأس المال[٩].

وهُناك عاملٌ آخر علي درجة من الأهمية، في تدعيم التفاوتات ما بين أشكال رأس المال، يتمثل في التكوينات الاجتماعية وهذه الأخيرة – بناء علي طرح "بورديو"– مسئولة عن منح السيطرة شكلها الموضوعي والمؤسسي، ويضرب مثال علي ذلك بهؤلاء الذين ينتجون ويضمنون توزيع الألقاب علي النبلاء وتوزيع الممتلكات، وتوزيع المراتب والدرجات العلمية، وهذه التكوينات الاجتماعية عند المحافظة عليها بشكل معين تعمل من أجل دوام المكتسبات المادية والرمزية وتراكمها، وذلك دون أن يقوم الأفراد بإعادة إنتاجها بشكلٍ مستمر من خلال فعل مباشر أو مقصود، فتلك المؤسسات المسئولة عن الحفاظ علي أشكال السيطرة، تمنح الموضوعية والقبول الاجتماعي لهذه السيطرة، التي تمتد فعاليتها لتخلق مجالات خاصة بها ومستقلة تعمل وفقاً لميكانزمات دقيقة وصارمة وقادرة علي أن تفرض أهميتها وضرورتها علي الأفراد[١٠].

وهُناك باحثٌ آخر يؤكد علي هذه الفكرة السابقة، من خلال إشارته إلي أن هُناك العديد من الميكانزمات البنائية التي تُرسخ التفاوت الاجتماعي ما بين أشكال رأس المال، فعل سبيل المثال عندما نجد تكوين اجتماعي ما يعترف بقيمة مهن أو أفراد بعينهم داخل المجتمع فإن هذا الاعتراف يجعل تمييز ونُخْبوية أصحاب هذه المهن أو هؤلاء الأفراد نافذ ومقبول داخل الحياة الاجتماعية، كذلك فإن خبرة أفراد بعينهم داخل سياق اجتماعي معين، تجعلهم يتوقعون نفس هذه الخبرة في سياقات اجتماعية أخري مختلفة[١١].

ليس هذا فحسب بل أن الاعتراف بمهن أو أفراد بعينهم من قبل المجتمع، قد يختلف من مرحلة إلى آخرى، وذلك علي ضوء توجُهات وتوجيهات مجال السلطة العام، وأفراد النُخْبة التي تسيطر عليه[*].

وبناءً علي الطرح السابق، يمكن الإشارة إلي أنه في كل تكوين اجتماعي محدد، شكل أو أكثر من رأس المال، يكون أكثر التصاقاً مع بنية هذا التكوين، ومن ثم فإن قابلية هذا الشكل للتحول أكبر، وهذا بدوره يخلق تباينات ما بين الأشكال المختلفة لرأس المال من حيث القوة والفاعلية والاستمرارية ولعل الكشف عن رؤوس الأموال الأكثر قوة وفاعلية فى أي تكوين اجتماعي يُمكن

(*) ويمكن هنا التدليل على هذه الفكرة من خلال التكوين الاجتماعي المصري والتحولات التي مر بها أعضاء كل من الهيئة القضائية، وهيئة التدريس بالجامعات، فيما يتصل بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية.

أن يكون من خلال دراسة جماعات النُخْبة حيث أنه من المفترض أن أفراد هذه الجماعات هم الذين بحوزتهم الرصيد الأكبر من رؤوس الأموال الفاعلة ويكون التساؤل المطروح بناء على هذا الطرح مؤداه: أي أشكال رأس المال تمثل الأشكال الأكثر فاعلية واستمرارية وقوة فى التكوين الاجتماعي في المجتمع المصري؟

ويمكن الإشارة هنا إلى أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التى يمر بها المجتمع وموقعه – أي المجتمع – من عملية الحداثة، تلعب دور مهماً في تحديد رأس المال الفاعل داخله. ويُمكن التدليل علي هذه الفكرة من خلال الطرح التالي:

يعمل كل نمط إنتاج محدد علي خلق نُخْبته المتوائمة معه، والمحققة لأهدافه ومصالحة في الوجود والاستمرارية والفاعلية، وهذه العملية تحدث بوتائر متفاوتة في سرعتها، ومتباينة في مدي عمقها، كماً، وكيفاً، وفي هذا الصدد، يمكن القول أن العولمة قد عمدت – من منطق الأيديولوجية الليبرالية الجديدة – إلي خلق نُخْب جديدة في تكوينها وبنيتها، ففي هذه الحقبة العولمية هناك إمكانية لتزايد أهمية رأس المال المعرفي، أو رأس المال المعلوماتى، وسوف يلعب هذه الشكل الدور الحاسم في تشكيل نُخْب اجتماعية جديدة في تكوينها وتطورها، خاصة وأن هذه الأشكال بطريقة أو بأخرى سوف تلعب دور مهم في تكوين رأس المال الاقتصادي ومراكمته، ذلك الشكل الذي لا يفقد قوته أبداً مهما اختلفت سمات العصر وخصائصه[١٢].

ولا تؤسس نُخْبة العولمة تميزها بشكل أساسي في دولة واحدة، ولكن بدلا من ذلك تُخزن وتُعبئ الموارد القيمة من خلال أكثر من دولة، وتدخل في علاقات عالمية واسعة ومختلفة عن علاقات النُخْب الاجتماعية الأخرى.

ومثال هذه الفكرة تلفت النظر إلي التساؤل عن مثل هذه النُخْب في المجتمعات التي تقف علي هامش العولمة والحداثة من حيث التكوين والتطور وأهم السمات والخصائص المرتبطة بها، ولعل المجتمع المصري من ضمن هذه المجتمعات، ومثل هذه الفكرة تعود بالطرح النظري الراهن للحديث عن أن موقع المجتمع من العولمة والحداثة يُحدد لحدٍ كبير أشكال رأس المال الأكثر فاعلية وقوة.

ثانيا : تبدلات رءوس الأموال وتكوين رأس المال الجمعي :

تُعد قابلية أشكال رأس المال إلي التحويل أو التدوير والتبادل هي أساس الاستراتيجية التي تهدف إلي التأكيد علي إعادة إنتاج رأس المال، أو المكانة التي يشغلها الفرد في المجال الذي نحن بصدده[١٣]. ولقد أولي العديد من العلماء هذه العملية كثير من الاهتمام، فمن خلال رأس

المال الاجتماعي يستطيع الفاعلون أن يحوزوا الموارد الاقتصادية (مثال القروض والإعانات) ويستطيعوا تنمية رأس مالهم الثقافي عبر صلاتهم وعلاقاتهم مع الخبراء والأفراد ذوي الثقافة أو أصحاب الأرصدة العالية من رأس المال الثقافي. ومن ناحية ثانية يتطلب تراكم رأس المال الاجتماعي لدي الأفراد استثمار لكل من الموارد الاقتصادية والثقافية[١٤].

وهُناك من يُشير إلي أن الفاعلون في أي مجال يسعون وراء مصالحهم ومنافعهم، سواء أكان ذلك بوعي منهم أو دون وعي، ودائما يوجد صراع من أجل الحفاظ علي هذا التوزيع المتفاوت واستمراريته، أو إعادة إنتاجه بشكلٍ آخر، ويتضمن هذا الصراع محاولات مستمرة تهدف إلي تحويل رءوس الأموال من شكل إلي أخر[١٥].

ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة لمثل هذه العملية في تكوين وتشكيل النُخَب الاجتماعية، يحاول الباحث بذل المزيد من الجهد في مناقشته النظرية لهذه العملية، وذلك من خلال رصد أشكال التحول والتبدل الممكنة لكل شكل من أشكال رأس المال.

(١) رأس المال الاجتماعي(*):

الأقوياء ظلوا أقوياء بواسطة صلاتهم واتصالاتهم بالأفراد الأقوياء الآخرين[١٦]. أي أن رأس المال الاجتماعي يُمثل دافعاً قوياً لوصول الأفراد إلي الموارد، أو بمعني آخر، إن العلاقات الاجتماعية تشكل موارد مفيدة لرأس المال لدي الأفراد.

وعلي هذا فإن رأس المال الاجتماعي بشكلٍ بسيط ومباشر يُمثل استثماراً في العلاقات الاجتماعية، بهدف تحقيق المنافع والعوائد المختلفة في إطار الفضاء الاجتماعي. وبناء علي هذا فإن رأس المال الاجتماعي يمتلك تقاطعات مع مختلف الأشكال الأخرى لرأس المال، إضافة إلي وجوده داخل المجالات المختلفة التي تتوزع داخل الفضاء مقارنةً بالأشكال الأخرى من رأس المال.

وإذا ما كان التُراث النظري يربط ما بين رأس المال الاجتماعي وشبكات العلاقات الاجتماعية، فان وجود شبكة العلاقات الاجتماعية لا يعتبر هبة طبيعية أو حتى هبة اجتماعية، فشبكة العلاقات الاجتماعية هي نتاج خطط الاستثمار – الفردي أو الجماعي– التي تهدف إلي إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية التي يُمكن استخدامها مباشرةً علي المدى القصير أو الطويل في تحويل العلاقات العارضة غير المباشرة (مثال علاقات الجيرة وزمالة العمل أو

(*) أغفل الباحث الحديث عن رأس المال الاقتصادي ، لاعتقاده بأنه لا خلاف علي أهمية رأس المال الاقتصادي وفاعليته داخل الفضاء الاجتماعي بالإضافة إلى أهميته فى عملية تكوين وتدوير الأشكال الأخرى من رأس المال.

أي علاقة نسب) إلي علاقات تبدو مهمة ومباشرة وقوية، تضمن دوامها واستمراريتها وتنمية المشاعر الداخلية فيها المرتبطة بالامتنان والاحترام، والصداقة. ويتم إنتاج هذه العلاقات باستمرار من خلال التبادل (للهدايا والكلمات...الخ) الذي يشجع التعارف والإدراك المتبادل، والتبادل هنا يقوم بتحويل الأشياء المتبادلة وتجذير وتعميق هذا التعارف والإدراك[١٧].

وبالاعتماد علي محك المستوي الذي تعود عليه المنافع والعوائد ميز " نان لين " بين اتجاهين مختلفين نسبياً في رؤيتهما لرأس المال الاجتماعي، ويركز **الاتجاه الأول** علي استخدام رأس المال الاجتماعي من خلال الأفراد، ويطرح تساؤل مهم مؤداه: كيف يقوم الأفراد بالوصول إلي الموارد الكامنة في العلاقات الاجتماعية، واستغلالها بهدف تحقيق مكاسب ومنافع لهم؟ وذلك من خلال الأفعال النفعية Instrumental Actions (علي سبيل المثال الحصول علي وظيفة مرموقة) أو الاحتفاظ شخصياً بالمكاسب التي تم تحقيقها من خلال الأفعال التعبيرية Expressive Actions ، وعلي هذا فإن تحليل أصحاب هذا الاتجاه يتمحور حول:

(أ) كيف يقوم الأفراد بالاستثمار من خلال العلاقات الاجتماعية ؟

(ب) كيف يستغل الأفراد الموارد الكامنة في العلاقات الاجتماعية في تحقيق فوائد وعوائد (اقتصادية، اجتماعية، سياسية، وثقافية) في المستقبل ؟

وفي إطار هذا الطرح يفترض " لين " أن هناك نمطين من الموارد يمكن للأفراد الاعتماد عليهما من أجل تحقيق المكاسب؛ الموارد الشخصية أو الذاتية Personal Resources، وهي تلك الموارد التي يحوزها الفرد، ومنها علي سبيل المثال؛المتلكات المادية، والممتلكات الرمزية؛ مثال الشهادات العلمية، والمكانات الاجتماعية، وتُشير الموارد الاجتماعية Social Resources إلى الموارد التي تَحْصلَ عليها الفرد من خلال ارتباطاته وعلاقاته الاجتماعية، التي كونها في المجتمع، وتعتمد في فاعليتها علي الامتداد الرأسي والأفقي والتنوع[١٨].

أما الاتجاه الثاني، يُركز أصحابه علي تكوين ومراكمة رأس المال الاجتماعي علي مستوي الجماعة، وتكمن مناقشات هذا الاتجاه في:

١- كيف تقوم الجماعات بتكوين رأس المال الاجتماعي وتنميته، أو تفقده بوصفه قيمة جماعية؟

٢- ما مدى مساهمة رأس المال الاجتماعي، وما يوفره من فوائد ومنافع في تحسين ظروف وفرص الحياة لأعضاء الجماعة؟

ويلاحظ الباحث هنا أنه علي الرغم من اختلاف مستوي التحليل لدي أصحاب كل اتجاه،

إلا أنهم يتفقون علي أن تفاعل أعضاء الجماعة يُساهم في إعادة إنتاج رأس المال الاجتماعي، والتأكيد علي أن رأس المال الاجتماعي يتضمن الموارد الكامنة في كل من العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي، تلك الموارد التي عندما يقوم الفرد باستغلالها وتعبئتها، تُزيد من فرص وإمكانيات تحقيقه للنجاح في إطار المجتمع.

ولقد عالج " بورتس " موضوع موارد رأس المال الاجتماعي، وذهب إلى أن موارد رأس المال الاجتماعي تكمن في مصدرين[١٩]:

الأول : يكمن في أن العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد مع الآخرين، تستوجب توافر إستدماج الأفراد لقيم ومعايير المبادلة والالتزام والثقة، من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية التي يُعايشها الأفراد، فالأفراد هنا يلتزمون بالعطاء والائتمان داخل المجتمع دون خوف من عدم التسديد، أو دون خوف من أن يمتنع الآخرون عن رد هذه العطاءات، ويؤكد " بورتس " علي أن " كولمان " قد أشار إلى هذا المصدر في سياق حديثه عن المعايير الفعالة، ويؤكد "بورتس" علي طرحة هذا بالاعتماد علي بعض آراء علم الاقتصاد الحديث، حيث تتضمن الإشارة إلي أن رأس المال الاجتماعي هو تراكم الالتزامات من قِبل الآخرين طبقاً لمعيار المبادلة، حيث يوفر الأفراد وصول متميز للآخرين للموارد، مع توقع أنها سوف تُرد إليهم في المستقل، وهذه العملية تختلف عن التبادل الاقتصادي البحت من ناحيتين؛ الأولي: عُملة المبادلة: حيث أن العُملة التي يتم بها تسديد الالتزامات وردها تختلف عن تلك الموارد التي تم من خلالها استقبال هذه الالتزامات، فقد تكون غير محسوسة، مثال: القبول والولاء والإخلاص، والثقة. أما الثانية: توقيت السداد غير محدد.

أما المصدر الثاني : يُمكن تلمس جذوره في أسس تحليل " ماركس " للوعي والشعور الطبقي الظاهر لدي البروليتاريا، عندما يُصبح العمال في وضع مشترك فأنهم يتعلمون التَّوحد مع بعضهم البعض، ودعم مبادرات وتوجهات بعضهم البعض، وهذا التضامن والتماسك ليس نتاج استدماج المعايير خلال مرحلة الطفولة، ولكن هو يُعزى إلى وحدة المصير، أو المستقبل المشترك، وهذا التضامن هو مفهوم يستخدم في أدب البحث والدراسات الحديثة للإشارة إلي هذه الآلية التي تعتبر مصدر لرأس المال الاجتماعي الذي يدفع بأعضاء النُخَب إلى أن يمنحوا الهبات والعطايا للمدارس والمستشفيات ومختلف أعمال الخير، ويجعل العمال الصناعيون يشاركون في مسيرات الاحتجاج واضرابات التعاطف، والمشاركة من أجل زملائهم والتوحد مع الجماعة التي ينتمون إليها[**].

من خلال هذا الطرح السابق، يُمكن التأكيد علي أن موارد رأس المال الاجتماعي تكمن في جزءٍ كبيرٍ منها في العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفاعل الاجتماعي، والاستثمار في هذه العلاقات وما تضمنه من موارد تعمل علي تدعيم مكانة الفرد، فكلما زادت عوائد هذا الاستثمار كلما ارتفعت وضعية الفرد في المجتمع، وجزءٌ كبير من هذا الاستثمار، هو عبارة عن تحويلات لمثل هذه العلاقات إلي مكاسب اقتصادية أو اجتماعية ... إلخ، وهذا يدفع الباحث إلي افتراض أن رأس المال الاجتماعي يتقاطع مع مختلف الأشكال الأخرى من رأس المال، بالإضافة إلي تواجده في مختلف المجالات، فعلي سبيل المثال الفاعل الاجتماعي الذي يحوز رصيدٌ كبير من رأس المال الثقافي، قد يحتاج دوماً إلى رأس المال الاجتماعي، قدر احتياجه لرأس المال الاقتصادي، بهدف تحقيق مكانة عالية ومرموقة داخل المجال الثقافي، أو لاكتساب مكانة اجتماعية مرموقة في مجال السلطة العام.

وعلي هذا فان تكوين ومراكمة رأس المال الاجتماعي، وفاعليته في تحقيق نُخْبوية الفاعل، ترتبط بعدة عوامل منها:

(أ) عدد الأفراد الذين يُكونون شبكة العلاقات الاجتماعية، والتي من خلالها يكون كل فرد علي استعداد لتقديم المساعدة للآخرين عند الحاجة إليها.

(ب) قوة العلاقات الاجتماعية ما بين أفراد الشبكة الواحدة، تعد محدد لمدي الاستعداد لتقديم المساعدة للآخرين(*).

(ج) نوعية الموارد التي يحوزها كل فرد داخل الشبكة، تلعب دوراً مهماً في تحديد الرصيد الذي يُمكن مراكمته من رأس المال الاجتماعي.

(د) المكانة الاجتماعية التي يشغلها أفراد الشبكة، فكلما ارتفعت المكانة الاجتماعية لأفراد الشبكة أو لبعضهم، كلما كانت هناك إمكانية لوصول الفرد لموارد مهمة تكمن في هذه المكانة الاجتماعية العالية(٢٠).

(٢) رأس المال الثقافي :

يُدعم التُراث النظري المرتبط برأس المال الثقافي فكرة أن رأس المال الثقافي واحد من أشكال رأس المال، وعبر رأس المال الاقتصادي والاجتماعي ومعهما يعمل رأس المال الثقافي كمورد للقوة وأسلوب لاستمرارية سيطرة جماعة، أو وصولها إلى مكانة متميزة.

(*) يُمكن قياس قوة العلاقة من خلال حميمية العلاقة ، أو تصنيفها إلي فئات مثال (العشيرة – الأسرة – الأصدقاء – زملاء العمل – المعارف ... الخ).

ولقد اعتقد "بورديو" أن رأس المال الثقافي، أداة مرنة وقوية لفهم العلاقة ما بين الثقافة والقوة والتفاوت وانعدام التكافؤ في المجتمعات المعاصرة[٢١]. وتبدأ عملية تحقيق الفرد لتراكم عالي من رأس المال الثقافي منذ الولادة، وتمتد فترة تراكم رأس المال الثقافي بامتداد عملية التنشئة الاجتماعية[٢٢].

وطبقاً " لبورديو" فإن مقدار رأس المال الثقافي الذي يُمكن أن يكتسبه الفرد ويراكمه، يعتمد علي عدد من العوامل؛ منها الفترة الزمنية، والبناء الاجتماعي، والطبقة الاجتماعية، وقدرات الفاعلين الأفراد، وهذا يعني أن هناك تباين ما بين الأفراد فيما يكونوه من أرصدة رأس المال طالما أن هناك اختلاف في هذه العوامل. وعلي عكس رأس المال الاقتصادي الذي يمكن نقله وتحويله مباشرة إلي الأجيال المتعاقبة فإن نقل رأس المال الثقافي وتحويله يتحدد جزئياً من خلال القدرات المناسبة التي يمتلكها الفرد والمخصصة لذلك[٢٣]. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال عدم إمكانية نقل وتحويل رأس المال الثقافي، لأن مفهوم رأس المال الثقافي منذ أن صاغه "بورديو" ومن ثم استخدام هذا المفهوم من قبل العديد من العلماء، كان بهدف شرح وتفسير قدرة بعض أعضاء النُخْبة علي نقل مكاناتهم المتميزة إلي أطفالهم، وهذه العملية أطلق عليها " إعادة الإنتاج الاجتماعي والثقافي "، وهذه العملية لا يتم بمقتضاها نقل المكانات الاجتماعية فحسب، بل أنها تعمل علي إنتاج صور جديدة من أشكال التفاوت الاجتماعي، والتمايز الثقافي فيما يرتبط بالأذواق واستهلاك السلع الثقافية[٢٤].

ويُمكن التدليل علي ذلك بنتائج إحدى الدراسات التي اهتمت برصد العلاقة ما بين رأس المال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والقدرة التحصيلية للأبناء في مدارسهم، حيث أكدت هذه الدراسة علي أن الواقع أكد إمكانية تحويل رأس المال الثقافي الذي يحوزه الوالدين إلي إثراء تقدير الذات والتحصيل الدراسي لدي الأبناء[٢٥].

ويُمكن أيضاً تحويل رأس المال الثقافي إلي رأس المال الاجتماعي أو رأس المال الاقتصادي، فالطبيب النفسي الذي يحصل علي مؤهلات علمية عالية في تخصصه، ويمتلك مهارات مهنية عالية، يمكن له أن يحقق ذيوع وانتشار في مهنته أكثر من أي طبيب أخر، وهذا يمكنه من حيازة رصيد كبير من رأس المال الرمزي ورأس المال الاقتصادي[٢٦].

وفي دراسة ثالثة، أشارت النتائج الإمبيريقية إلي أن تدوير رأس المال الثقافي إلي رأس مال رمزي يكون بدرجات متفاوتة بين الفاعلين، وهذا التفاوت يرتبط في أساسه بتقسيم العمل داخل المجال الثقافي إلي النقد والإنتاج الأدبي، وهنا يتم التمييز بين نُخْبة الكُتاب والجماعات

المحيطة من الكُتاب، حيث أن نُخْبة الكُتاب لا تكتفي بالإنتاج الفكري فحسب بل يمتد إسهامهم نحو نقد التراث المنتج " المنتج الفكري" حيث أن أفراد هذه النُخْبة لا يمتلكون القدرة علي تقييم فكرهم فحسب بل أيضا تقيم الفكر المُنتج من حولهم، وهذه الأعمال هي التي من الممكن أن تمنح مثل هؤلاء الأفراد سلطة وشرعية ثقافية علي من يُحيط بهم من كُتاب، أي يتراكم لديهم رصيد كبير من رأس المال الرمزي، وقد يمتد ذلك أيضاً إلي مراكمة رصيد من رأس المال الاقتصادي[٢٧].

ليس هذا فحسب بل من الممكن لمن يحوز رصيد مناسب من رأس المال الثقافي، أن يصبح من نُخْبة مجال السلطة العام، ففي "بولندا" كشفت إحدى الدراسات عن أن جماعات النُخْبة التي ترتكز علي رأس المال الثقافي، استطاعت أن تحقق نجاحات واسعة في المسرح السياسي البولندي، ودعمها في ذلك تلك التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدها المجتمع البولندي في الآونة الأخيرة، ومجمل هذه التحولات دعمت من المكانة الاجتماعية للأفراد الذين يمتلكون رصيد كبير من رأس المال الثقافي، هذا الرصيد هو الذي سمح لهم بإحكام سيطرتهم علي الحياة السياسية[٢٨].

(٣) رأس المال السياسي :

أشار الباحث في الفصل الأول من الدراسة الراهنة إلي أن رأس المال السياسي هو القوة التي يُحوزها الفرد من خلال شغل المراكز والمناصب العليا في المؤسسات الرئيسة داخل المجال السياسي (الأحزاب البرلمانات).

ووفق هذا المعني فإن رأس المال السياسي يرتبط بالمجال السياسي، ذلك المجال الذي يختلف عن مجال السلطة العام، فهذا الأخير ليس مجالاً كسائر المجالات الأخرى، أنه مكان علاقات القوة بين مختلف أشكال رأس المال، أو بمعني أدق، بين الفاعلين المزودين كفاية بأحد أشكال رأس المال المختلفة بما يجعل منهم نُخْبة المجال المعني[٢٩].

ووضع المجال السياسي في الفضاء الاجتماعي لا يختلف عن المجالات الأخرى، ولكن قد تزداد أهمية هذا المجال عن المجالات الأخرى، خاصة في تلك المجتمعات التي يزداد فيها حرمان الأفراد ثقافياً علي وجه الخصوص لأنه كلما زاد حرمان الأفراد ثقافياً، كلما كانوا مجبرين إلي إحلال وكلاء محلهم لتكون لهم كلمة سياسية[٣٠]. وبهذا يكون المجال السياسي مُغلق علي مجموعة من الأفراد بعينهم، وكلما قل عدد الأفراد داخل المجال كلما زادت أرصدتهم من رأس المال لنوعي، وهذا بدوره يعمل علي تراكم المنافع والعوائد لديهم وهو الأمر

الذي يجعل من المجال السياسي مجالاً متميزاً عن غيره من المجالات الآخرى.

وهذه الأهمية المتزايدة للمجال السياسي، تخلع علي رأس المال السياسي عدد من المميزات منها القدرة والقابلية علي التبديل والفاعلية والسيولة، ومُجملها مميزات تيسر علي الفاعل الاجتماعي عملية التبديل بأقل جُهد وأقصر وقت وبأبسط استراتيجية.

ومن أمثلة تدوير رأس المال السياسي، ما أشارت إليه إحدى الدراسات، ومؤداه أن الفاعل الاجتماعي الذي يحوز رصيد كبير من رأس المال السياسي، يُتاح له الوصول إلي قنوات المعلومات والاتصال المهمة، وهذا يمكنه من جمع قدر من المعلومات والبيانات المهمة، التي من الممكن مبادلتها مع آخرين مقابل أرصدة من رأس المال الاقتصادي أو رأس المال الاجتماعي أو كليهما معاً[٣١].

(٤) رأس المال الدينـي :

انتهت الدراسة الحالية في فصلها الأول إلي أن الدين يُمثل رأس مال لا يختلف عن أي شكل من أشكال رأس المال الأخرى من حيث القوة والفاعلية، ويعمل رأس المال الديني علي تشكيل المجال الخاص به داخل الاجتماع المدني، والذي ليس بالضرورة أن يكون دينياً خالصاً، بل هو في الواقع الموضوعي يتكون بالتفاعل والتداخل مع الحقل الاجتماعي، بل أنه قد يعبئ المجال الاجتماعي برموز وقيم وعادات وتقاليد من شأن استثمارها أن يعيد التوازن إلي الذات ويشحنها بالتالي علي الأداء الأفضل والأمثل، ويمكن الاستدلال علي ذلك من خلال الدور المحوري الذي يلعبه رأس المال الديني في الأزمات الكبرى، أو من خلال كيف يتم استدعاؤه والاحتماء بنماذجه في التحديات التي تُهدد التوازن الشخصي، أو الاجتماعي وعلي هذا فإن رأس المال الديني طاقة اجتماعية هائلة، يمكن من خلال استثماره تحقيق المنافع والعوائد سواء كان ذلك علي مستوي الفرد أم علي مستوي الجماعة والمجتمع.

فعلي مستوي المجتمع حاول " علي ليلة " أن يُدلل علي أن رأس المال الديني يعد آلية من آليات التفاوت الاجتماعي، لأنه قد يلعب دوراً فاعلاً في تقسيم العمل الاجتماعي أو المهني، فمستوي الإيمان العميق ببعض القيم البروتستانتية – علي نحو ما ذهب إليه ماكس فيبر – هو الذي يلعب دوراً محورياً في تقسيم المجتمع إلى رأسماليون يمتلكون رأس المال ويقومون بتوظيفه في إعمار المجتمع، ونشر روح الإيثار في إطاره، وطبقة عاملة شغلت مكانتها كانعكاس لسطحية أو عدم إيمانها بالقيم البروتستانتية[٣٢].

وأكد " علي ليلة " علي فكرة أنه من الممكن أن تُشكل المعتقدات الدينية قيماً مُضافة إلي

الواقع الاجتماعي فتغيره. علي سبيل المثال نجد أن فكرة الاستشهاد، وهي فكرة محورية في الفكر الشيعي، لعبت دوراً حاسماً في الحرب الإيرانية – العراقية لصالح إيران، حيث كانت هذه القيمة تقود جموع البشر من كل الأعمار يلبسون " أكفانهم" البيضاء يبحثون عن الجنة من خلال الاستشهاد[٣٣].

أما علي المستوي الفردي فإنه من الممكن التدليل علي تكوين وتبدل رأس المال الديني داخل الواقع الاجتماعي من خلال ما أطلق عليه " وائل لطفي " ظاهر الدعاة الجُدد[٣٤]. وهم خير مثال على تحويل رأس المال الديني إلي منافع وفوائد تتنقل ما بين الدعوة والثروة والشهرة، أو بمعني آخر أن الأفراد الذين يشكلون ظاهرة الدعاة الجُدد يقومون بشكل واضح وصريح بعملية تدوير لرأس المال الديني إلي أشكال أخرى من رأس المال كرأس المال الاقتصادي، ورأس المال الرمزي، ليس هذا فحسب بل أكدت "أسماء فريد" من خلال أطروحتها حول " الخطاب الديني للدعاة الجدد " علي قوة حضور الاقتصاد لدي هؤلاء الدعاة، فأشارت إلي أن الموقع الإلكتروني للداعية "عمرو خالد " ينشر إعلانات عن شرائط كاسيت للمطرب الإسلامي – إن جاز هذا التعبير " سامي يوسف "، ولعل هذا يؤشر علي شيئين؛ الأول هو نزوع الدعاة الجُدد إلي رأس المال الاقتصادي، بل والأكثر من ذلك أشارت إليه هذه الأطروحة وهو أن الخطاب الديني لهؤلاء الدعاة يبارك الثروة ويجعلها دليلاً علي رضا الله، وأن تنميتها هي فعل من أفعال التقرب إلي الله، والثاني هو اندماج الدعاة الجُدد داخل منظومة الاستهلاك[٣٥].

وفي دراسة أعدها الباحث حول تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الديني في صعيد مصر، كشفت الشواهد الميدانية عن أن الدين لصيق وحاضر كموضوع في حياة الأفراد في صعيد مصر، كما أنه ظل حاضراً في المجال العام لا يغادره، بل يحاول أن يسيطر عليه وأن يسيره، ليس هذا فحسب بل تم إعادة إنتاج الدين بأشكال مختلفة في حياة الأفراد، من هذه الأشكال إدراك الأفراد للدين كرأس مال، ومحاولة الاستثمار فيه وتحقيق العوائد المختلفة، ومن هذه الاستثمارات ظاهرة قيام بعض المرشحين لانتخابات المجالس النيابية بارتداء الزى الإسلامي، وعقد المؤتمرات الشعبية الخاصة بحملاتهم الانتخابية داخل المساجد، وفي مثل هذه الوقائع استثمار واستدعاء للدين لتحقيق المصالح الخاصة، خاصة وأن المردود المتوقع من مثل هذه الأفعال هو مردود إيجابي[٣٦].

وتحويل رأس المال الديني إلي رأس مال سياسي أو رأس مال اقتصادي أو رأس مال رمزي، ليست هي الأشكال الوحيدة لعملية تبدلات رأس المال الديني، لأن هناك شكلٌ آخر للتبديل وهو

لا يقل شيوعاً عن التبدلات السابقة، وهو تحويل رأس المال الديني إلي رأس المال الاجتماعي، حيث هرول العديد من الأفراد نحو التدين الشكلي حتى يحظوا برصيد من الثقة الاجتماعية وشبكات العلاقات، التي يحظى بها رجل الدين داخل الفضاء الاجتماعي، واستطاعوا من خلال ذلك تحقيق منافع لهم، وهذه الحقيقة تتأكد في المجتمعات العربية والمجتمعات الغربية علي حد سواء، وفي هذا أشارت "أميرمان Ammerman إلي أن رأس المال الاجتماعي المنتج من خلال رأس المال الديني يكون له العديد من المميزات عن الأشكال الأخرى، حيث يلقى قبول العديد من الأفراد والجماعات داخل المجتمع، حيث أنه يتوافق مع الإطار المرجعي لجماعات كثيرة[٢٧].

من خلال هذا الطرح لمختلف أشكال تبدلات رأس المال الديني، يمكن التأكيد علي أن رأس المال الديني له قابلية للتحول والتبدل إلي أي شكل من أشكال رأس المال، وهذا يُعظم من الفوائد والمغانم التي من الممكن أن تعود علي الفرد من جراء حيازته، مما يؤشر علي إمكانية تشكيل نُخْبة داخل المجال الديني لا تقل أهمية عن النُخْب في المجالات الأخرى.

(٥) رأس المال الجمعي[*]... محصلة تبدلات رأس المال :

حاولت الدراسة في أكثر من موضع التأكيد علي فكرة الفضاء الاجتماعي كمفهوم بديل لمفهوم المجتمع، وأن هذا الفضاء يتضمن عوالم اجتماعية أو مجالات متعددة، يتمتع كل منها باستقلالية نسبية، وبنظام معين من القواعد والتنظيمات، وبمنطق معين من العلاقات، فهناك علي سبيل المثال المجال الاقتصادي؛ الذي يشمل العلاقات، والظواهر، والممارسات الاقتصادية؛ مثال الإنتاج، والتسويق، والاستهلاك، والحاجات والثروات، والسكان، والعمل، ورأس المال والربح، والأسعار، والقروض، والنقد، ودور الدولة في الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، ومستوي الحياة، وشروط العمل، والادخار، والسلع، والأجر، والتراكم، والتبادل.

وعلي الرغم من الاستقلالية النسبية التي يتمتع بها كل مجال إلا أن هذا لا يعني غياب التقاطعات التي تتضمن تأثيرات وتفاعلات متبادلة بين المجالات[***]. وداخل كل مجال يتوزع الأفراد علي الأوضاع الهيراركية بناءً علي رصيد رأس المال النوعي الذي يحوزه الفرد، وهذا التوزيع لا يتأتي بشكل طبيعي، ولكنه نتاج عمليات الصراع والتنافس والرهانات التي يدخل فيها الأفراد، ويبذلوا لها الوقت والجهد بناءً علي استراتيجية معينة تضع في اعتباراتها قوانين المجال وقواعده.

(*) مفهوم رأس المال الجمعي والفكرة التي يحاول معالجتها هو محصلة نقاش الباحث مع أ.د علي ليله.

والتفاوت القائم ما بين الأفراد في حيازة ومراكمة رأس المال النوعي داخل مجال ما، هو المسئول عن تقسيم الأفراد إلي جماعة مُسيطرة هي نُخْبة هذا المجال، وجماعة خاضعة، وأهم سمات جماعة النُخْبة في مجال ما هو قدرتها علي تكوين ومراكمة رأس المال، بل وتدويره وتحويله لأشكال أخري، مما يُعظم منافعها وعوائدها، ويمنحها مزيداً من القوة والسلطة، وهذه العملية هي ما يمكن تسميتها بعملية تبدلات رأس المال.

وعملية تبدلات رأس المال لا تُعظم منافع الفرد داخل المجال الذي هو فيه فحسب، بل قد تدعم منافعه في مجالات أخري، من خلال التقاطعات التي بين المجالات، وبمعني آخر إن قيام الفاعل الاجتماعي بعملية تبديل رأس المال الذي يحوزه إلي أشكال أخرى من رأس المال، يراكم لدي الفرد أرصدة ضخمة ومتعددة من رءوس الأموال يمكن أن نطلق عليها " رأس المال الجمعي " وهذا الأخير يُعد مُحصلة تبدلات رءوس الأموال لدي الفرد، ورأس المال الجمعي قد يدفع الفرد إلي أوضاع طبقية عُليا داخل المجال الذي هو فيه، وتلك الأوضاع الهيراركية في حد ذاتها تختزن موارد خاصة بها ومرتبطة برأس المال النوعي.

فالوضع الهيراركى الذي يشغله الفرد يُحدد شكل وقوة الموارد التي يصل إليها، فكلما ارتفع وضع الفرد رأسياً كلما استطاع حيازة الموارد المرتبطة برأس المال النوعي، تلك الموارد التي تُضاعف حجم عوائده ومنافعه، وكل وضع هيراركي جديد يشغله الفرد يُضيف إلي حجم رأس ماله الجمعي، وهذا بدوره يدفعه رأسياً أكثر وأكثر[٣٨].

وعلي هذا فإن رأس المال الجمعي لا يقتصر علي مجال السلطة العام، فعلي الرغم من أن أعظم رهانات رأس المال الجمعي هو مجال السلطة العام، إلا أنه يتجلى في المجالات الأخرى والتي توجد في سياقات أدني من مجال السلطة العام، وهذه الفكرة أكدها " بورديو" بقوله: أن مجال السلطة هو أكثر المجالات تخفياً لكونه مبثوثاً في كافة المجالات، وله القدرة علي اختراقها في نفس الوقت الذي يجمعها.

وعلي هذا الأساس يُمكن الإشارة إلي أن هناك رأس مال جمعي يتراكم لدي جماعات من الأفراد، ويخلق منهم نُخَب محلية قد لا تصل إلي مجال السلطة العام، ولكنها تصل إلي تقاطعات مجال السلطة العام مع المجال الذي هم فيه داخل السياق المحلي، وهذه الفكرة تُسلمنا إلي فكرة تقاطعات المجالات والتي مؤداها أن المجالات في سياق الفضاء الاجتماعي تتقاطع مع بعضها البعض سواء كان هذا التقاطع أفقي أو رأسي فمن خلال تأمل وضع المجالات في الفضاء الاجتماعي، يمكن الإشارة إلي أن المجالات تمتد وتتوزع أفقياً ولها تقاطعات وامتدادات

رأسية أيضا، ومن خلال هذا الامتداد تتشكل البنية الهيراركية داخل الفضاء الاجتماعي.

والنُخْبوية داخل مجال السلطة العام لا ترتكز علي شكل واحد من أشكال رأس المال، ولكنها تحتاج إلي تكوين ومراكمة أرصدة ضخمة من الأشكال المختلفة لرأس المال، فعلي سبيل المثال: الأستاذ الجامعي الذي يحاول أن يصل لمنصب رئيس الجامعة، لا يحتاج إلي رأس المال الثقافي فحسب، بل يحتاج أيضاً إلي شبكة علاقات اجتماعية قوية " أي رأس مال اجتماعي"، تدعمه وتزكيه لدي أصحاب القرار، والذين هم في الأصل نُخْبة مجال السلطة العام، وقد يحتاج أيضاً إلى رأس المال الاقتصادي، حتى ينفق علي الاستراتيجية التي سوف يحقق بها ما يطمح إليه.

ثالثا : استراتيجيات تدوير رءوس الأموال :

النُخْبوية لا تأتي بالمصادفة ولكن يحتاج الفاعل الاجتماعي إلي استراتيجية ما، يصل من خلالها إلي الرصيد اللازم من رءوس الأموال، التي تضمن له وضع هيراركي متميز عن الآخرين، من خلال عوائد القوة والسلطة التي تتحقق له داخل المجال[٣٩].

وعلي الرغم من أهمية مفهوم الاستراتيجية Strategy في تحقيق التميز داخل أي مجال، بالإضافة إلي أهمية المفهوم ذاته في فكر " بورديو" إلا أن " بورديو" لم يُقدم تعريفاً واضحاً لهذا المصطلح إلا انه اكتفي بتعريفه بالمصطلح المقابل له في النظرية البنيوية وهو مصطلح القواعد Rules فيعتقد " بورديو" أن ممارسات الفاعلين لا يوجهها قواعد محددة ومفروضة عليهم، ولكن توجهها استراتيجيات وخطط[٤٠].

ولا تعتمد الإستراتيجية عند "بورديو" علي نزعة غائية قصدية ولا قواعد ومعايير جاهزة ومفروضة، بل هي توجيه غير قصدي وغير غائي، تمر عبر الهابتوس الذي هو نسق من الميول والتصورات والإدراكات ورؤى العالم أو مبادئ التصنيف[٤١].

ولقد ميز " بورديو" بين نمطين من الاستراتيجية؛ النمط الأول: استراتيجيات إعادة الإنتاج وهي التي يلجأ لها أولئك الذين يحتكرون إلي حد ما رأس مال المجال، وذلك بهدف الحفاظ علي الوضع الاجتماعي أو تحسينه. أما النمط الثاني: فهو استراتيجيات إعادة التحويل، وهي التي يلجأ لها الأفراد الأقل تزوداً برأس المال النوعي الخاص بالمجال[٤٢].

ويُشير الباحث هنا إلى أن مفهوم الاستراتيجية قد يُعبر – في بعض الأحيان – عن نزعة غائية أو قصدية، خاصة إذا كان الحديث مرتبط بالاستراتيجيات التي يعتمد عليها الفرد بهدف تحقيق التميز داخل المجال الذي يتحرك داخله أو خارج حدوده، ويُمكن التدليل على

هذه الفكرة التي يطرحها الباحث من خلال رؤية " فوكو"، الذي يحدد مفهوم الاستراتيجية من خلال ثلاثة معان؛ **المعنى الأول:** يخص الوسائل المستخدمة لبلوغ غاية معينة، **والمعنى الثاني:** يتعلق بالطريقة التي يتصرف بها أحد أطراف العلاقة، والتي يحاول من خلالها التأثير على الآخرين، **والمعنى الثالث:** وهو الأساليب المستخدمة في مُجابهةٍ ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام، والمقصود حينئذ هو الوسائل المُعدة لإحراز النصر(٤٣).

وفي سياق هذه الدراسة يُحاول الباحث الاستفادة من هذا المفهوم من خلال افتراض أن أي فرد من جماعات النُخْبة في أي مجال يحتاج لاستراتيجيات عديدة يعتمد عليها في مراكمة رصيد كبير من رأس المال، وتدوير هذا الرصيد بما يحقق له التميز، ويقر نُخْبويته في هذا المجال. ويمكن هنا أن تطرح الدراسة مجموعة من الأمثلة التي توضح بشكلٍ أكبر مفهوم الاستراتيجية، وذلك علي النحو التالي:

من الاستراتيجيات التي يلجأ لها الوالدين لتكوين ومراكمة رصيد ضخم من رأس المال الثقافي لدي أبنائهم، إلحاق أبنائهم بالمدارس والجامعات الأجنبية، وذلك من منطلق أن التعليم في مثل هذه المؤسسات يُعد رأس مال ثقافي، وهذا بدوره يُساهم في إعادة إنتاج الأوضاع الطبقية(٤٤).

وذكر "بورديو" في إحدى دراساته أن العائلة التي تحوز رصيد من رأسمال الشرف والفخر، وتحقق لذاتها وضع اجتماعي لائق، تستطيع أن تجد لها أتباع، تعتمد عليهم كآليات لمواجهة المشكلات التي يمكن أن تقف أمامها في المستقبل، فعلي سبيل المثال تعتمد العائلات الكبيرة علي أتباعها خلال فترات العمل من خلال استغلال قوة عملهم لصالحها مقابل أقل أجر ممكن، وفي هذا الفعل تدوير لرأس المال الرمزي المتمثل في وضع العائلة واعتراف الأتباع لها بهذه المكانة إلي رأس مال اقتصادي.

أما تكوين رأس المال الاقتصادي وتراكمه عند مجموعة من الأفراد، فيدفعهم نحو السعي الدائم لتكوين رأس المال الرمزي ومراكمته، ولذلك تجدهم من تلقاء أنفسهم من ناحية، ومن خلال ضغط المجتمع عليها كأغنياء من ناحية أخري، يسعون إلي هذا الشكل من رأس المال لتدعيم نفوذهم أو قوتهم السياسية داخل المجال الاجتماعي العام، ويتجلى ذلك علي سبيل المثال في إقامة الحفلات، والإنفاق علي الفقراء، واستضافة الغرباء والتكفل بما يحتاجونه، وهذا ما يسمي في بعض المجتمعات بـ "واجبات الثروة"، وفي بعض المجتمعات الدينية يشار

لذلك بأن " الرجل الكريم هو حبيب الله"، ولكن مما لا شك فيه أن ما يدفع الرجل الثري إلي هذه التضحية هو حرصه علي الفوز برأس المال الرمزي الذي يرتبط بالوضع الاجتماعي اللائق، والفوز بحماية السلطة ولنفوذه[٤٥].

ومُجمل ما سبق من أمثلة ونماذج للاستراتيجيات التي من الممكن أن يلجأ لها الفرد أو الجماعة، بهدف تدوير رأس المال، بما يحقق له التمييز داخل المجال، هي استراتيجيات مشروعة ومقبولة اجتماعياً، وهذا لا يمنع أن تكون هناك استراتيجيات غير مشروعة أو غير مقبولة اجتماعياً، علي أساس أن كل مجال يتضمن آليات للهدر والاحتيال والتحايل والاستغلال لكل رءوس الأموال، بمعني أن هناك من الأفراد من لا يملك الرصيد الذي يبتغيه من رأس المال، مما يدفعه للقيام باستراتيجيات تعتمد علي الاحتيال، أو الاستغلال، أو النفاق الاجتماعي ... إلخ. بالشكل الذي يُمكنه من استغلال رءوس الأموال، بهدف مراكمة المنافع.

وبالاستناد علي ما سبق، تطرح الدراسة فيما يتصل بالاستراتيجية التي يحتاجها الفاعل الاجتماعي لتعبئة أرصدته من رأس المال نحو تحقيق نُخْبويته تساؤل مؤداه: ما الاستراتيجية التي اعتمد عليها كل فرد من أفراد النُخَب الاجتماعية لتحقيق مكانته ؟ وهل تختلف هذه الاستراتيجية باختلاف كل من المجال وشكل رأس المال ؟.

التعقيب :

يهدف الباحث من خلال هذا التعقيب التأكيد علي عدد من الاستخلاصات المهمة، التي أفاض بها الطرح والتحليل النظري خلال هذا الفصل، ومن هذه الاستخلاصات ما يلي:

أولاً : أن النُخْبوية عبارة عن مجموعة من العمليات التي يقوم بها الفرد بهدف حيازة مقادير عالية من رأس المال النوعي، و مراكمة وتعبئه هذه المقادير نحو تحقيق مكانة اجتماعية عالية تُتيح له الوصول إلي الموارد القيمة داخل المجال.

ثانياً : تؤشر النُخْبوية في أي مجتمع من المجتمعات علي أن هناك تفاوت اجتماعي بين الأفراد داخل المجتمع، وهذا التفاوت يرجع إلي:

١- تفاوت بين الأفراد في حيازة الأشكال المختلفة من رأس المال، حيث أن الأفراد ليسوا متماثلين في الوصول إلي رأس المال وحيازته ومراكمته.

٢- تفاوت بين الأشكال المختلفة من رأس المال، من حيث درجة السيولة، والقدرة، والفاعلية، وكذلك درجة الاستمرارية وما ينتج عن ذلك من تفاوت في العوائد والمنافع التي تنتج عن كل شكل من هذه الأشكال.

ثالثاً : أن قابلية الأشكال المختلفة لرأس المال إلي التحويل والتدوير والتبادل هي أساس الاستراتيجية التي تهدف إلي إعادة إنتاج رأس المال بأشكالٍ أخري جديدة، وبالتالي إعادة إنتاج المكانة التي يشغلها الفرد.

رابعاً : يشير رأس المال الجمعي إلي محصله تبدلات رءوس الأموال لدي الفرد، ورأس المال الجمعي هو الذي يدفع الفرد إلي أوضاع هيراركية عُليا داخل المجال.

خامساً : لا تأتي النُخْبوية بالمصادفة ، ولكنها تحتاج إلى العديد من الاستراتيجيات التي يستطيع الفرد من خلالها الوصول إلي الرصيد الملائم من رأس المال النوعي والنجاح في تعبئه وتدوير هذا الرصيد، بما يحقق له وضع هيراركي متميز من خلال عوائد القوة والسلطة.

هوامش الفصل الثالث

(١) عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة : المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلي العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ١٠٠.

(*) يركز بورديو علي علاقات القوة التي تشكل المجالات الاجتماعية فالقوة بالنسبة له شيء أساسي يشير إلي السيطرة والتباين في حيازة رأس المال بمختلف أشكاله ، وأحيانا تستخدم القوة من قبل الفاعلين بشكل خفي لا شعوري. انظر في ذلك :

- Craig Calboun , Critical Social Theory , Black Well, oxford, 1995, P . 135

(2) John A. Perry, Erna K.Perry, Contemporary Society, Harper & Row Publishers, new York, 1981, P.153.

(3) Walter R. Allen, Angie Y. Chung, "Your Blues Ain't Like My Blues: Race, Ethnicity and Social Inequality in America, Contemporary Sociology, Vol. 29, No 6, Nov. 2000, P. 696.

(4) Nan Lin , Social Capital : A Theory of Social Structure and Action, Cambridge University Press, Cambridge, 2001, P 100.

(5) Helmut k. Anheier , Jurgen Gerhards , and Others , Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., PP. 860 – 861.

(6) Ibid , PP. 862 – 863.

(7) Pierre Bourdieu , The Forms of Capital In J.G Richardson (ed), Handbook of Theory and Research for The Sociology of Education, Greenwood press, New York, 1980, P . 253.

(8) Christian Fuchs , Some Implications of Pierre Bourdieu Works for a Theory of Social Self –Organization , European Journal of Social Theory , Vol , 6, No 4, 2003, P. 392.

(9) Pierre Bourdieu , Structure , Habitus , Power : Basis for Theory of Symbolic Power, in» Culture , Power , history ... A Reader in

Contemporary Social Theory , Nicholas, B. Dirks and Others, (Edits), Princeton University Press , Princeton, 1994, P. 179.

(10) Ibid , P.178.

(11) Charles Tilly , Relational Studies of Inequality , Contemporary Sociology, Vol . 29 No , 6 . Nov, 2000, P. 783.

(12) Sylvia Walby , Analyzing Social Inequality in the Twenty – First Century: Globalization and Modernity Restructure Inequality, Contemporary Sociology , Vol. 29 , No 6 , Nov. 2000 , P. 814

وفي هذا السياق ظهرت العديد من الدراسات التي حاولت الكشف عن أهم التحولات التي حدثت في البنية الطبقية خلال عصر العولمة ، انظر:– محمد عبد المنعم شلبي ، العولمة والبني الطبقية متعدية الجنسية ، عالم الفكر ، المجلد ٣٦ المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت ، يونيو ٢٠٠٨م ، ص ص ١٠٩–١٢٦.

(13) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital , Op. Cit., P.252.

(14) Alejandro Portes , Social Capital : Its Origins and Application in Modern Sociology, Op . Cit, P.4.

(15) Qyvind Ihlan , The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu to the Study of Public Relations , Op. Cit., P.493.

(16) Tom Schuller, and Others, Social Capital : A Review and Critique, Op. Cit., P.6.

(17) Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, Op. Cit, PP.249 – 250.

(18) Nan lin, Social Capital : A Theory of Social Structure and Action, Op . Cit, PP. 19- 22.

(19) Alejandro Portes , Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology , Op. Cit., PP. 7- 9.

(**) يمكن تلمس جذور هذه الفكرة لدي دور كايم وأفكاره حول التضامن والتكامل الاجتماعي، والقدرة العقابية للطقوس الجماعية ، انظر :

– أحمد زايد ، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ص٨٧ – ٨٩.

(20) Nan Lin, Social Networks and Status Attainment , Op. Cit., P. 472.
(21) George Ritzer , Encyclopedia of Social Theory , Op. Cit., P.170.
(22) Esther He Sui – Chu , Parental Involvement and Student Performance, Op. Cit., P. 63.
(23) Ibid , P. 63.
(24) George Ritzer , Encyclopedia of Social Theory , Op. Cit., P.167.
(25) Ether Ho Sui – Chu , Parental Involvement and Student Performance, Op. Cit , PP. 146 – 147.
(26) Natalia Dinello , Forms of Capital : The Case of Russian Bankers , International Sociology , Vol . 13, No . 3 , Sep . 1998 , PP. 292 – 294.
(27) Helmut k Anheier , and Others , Forms of Capital and Social Structure in Cultural Fields : Examining Bourdieu's Social Topography , Op. Cit., P. 890.
(28) Tomasz Zarycki , Cultural Capital and The Political Role of the Intelligentsia in Polanda , Journal of Communist Studies and Transition Politics , Vol. 19, No. 4, Dec2003, PP.97- 105.
(٢٩) بيير بورديو، العقلانية العملية ، ترجمة عادل العوا، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠م ، ص ٦٣.
(٣٠) بيير بورديو ، بعبارة آخرى. . محاولات باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية ترجمة أحمد حسان ، دار ميريت ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ص ٢٦٧ – ٢٦٨.
(31) David H. FloRio . Education's New Political Capital . Educational Researcher . Vol. 11. Dec 1982 . PP. 19 – 20.
(٣٢) علي ليلة ، الفئات الاجتماعية علي خريطة التنظير السوسيولوجي ، كتاب دراسات في علم الاجتماع ، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص ٥٠٥.
(٣٣) علي ليلة ، النظام العربي المعاصر، دار الوافي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ٤٣.
(٣٤) انظر في ذلك وائل لطفي ، ظاهرة الدعاة الجدد ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٥م.
(٣٥) أسماء فريد ، الخطاب الديني للدعاة الجدد ، رسالة ماجستير ، غير منشورة قسم علم الاجتماع ، جامعة القاهرة ٢٠٠٨م ، ص ٢٥٥.

(٣٦) خالد كاظم أبو دوح، تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الديني في صعيد مصر، مرجع سابق، ص ص ١٧ – ١٨.

(37) Eric F. Piche , Religion and Social Capital in Canada, Op. Cit., P. 60.

(***) تلتقي هذه الفكرة مع ما طرحة « بارسونز» حول العلاقات الداخلية بين الأنساق ، حيث أشار إلي أنه من الممكن اعتبار كل نسق من الأنساق الفرعية مستقلاً بذاته متميزاً عن غيره ، إلا أن هذه الأنساق تعتمد علي بعضها البعض اعتماداً متبادلاً ، فكل نسق يعتمد علي الآخر ويدعمه ويكمله، وهذا هو أيضا حال المجالات التي تتوزع في الفضاء الاجتماعي. انظر في ذلك :

- جي روشيه ، علم الاجتماع الأمريكي، مرجع سابق ، ص ٨٨.

(٣٨) استمد الباحث هذه الفكرة من « نان لين « الذي افترض في نظريته حول رأس المال الاجتماعي ، أن الوضع الاجتماعي الذي يشغله الفرد في البنية الهيراركية يحدد جزئيا مدي نجاح الفرد في الوصول إلي الموارد الكامنة في رأس المال الاجتماعي. انظر:

- Nan lin , Social Capital : A Theory of Structure and Action , Op. Cit., P.165.

(39) Christian Fuchs , Some Implications of Pierre Bourdieu's Works for a Theory of Social Self – Organization , Op. Cit., P.400.

(٤٠) خالد عبد الفتاح ، المتعلمون القرويون خصائصهم الاجتماعية ورؤاهم للعالم، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٤١) بورديو، أسئلة علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ص ١٠ – ١١.

(٤٢) المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٤٣) الزواوى بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٣٤.

(44) Ghada F. Barsoum , The Employment Crisis of Female Graduates In Egypt , Op. Cit., P. 21.

(45) Pierre Bourdieu , Structure , Habitus , Power : Basis for Theory of Symbolic Power , Op. Cit , P. 175.

الفصل الرابع

رأس المال الاقتصادي وتشكيل النُخْبة الاقتصادية

- تمهيـد.
- أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية.
  - ١ - أسرة النشأة ... الأصول والخصائص.
  - ٢ - الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الاقتصادية.
  - ٣ - ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية .. تفسيرات وتأويلات.
- ثانياً : تشكيل النُخْبة الاقتصادية.
  - ١ - فاعلية رأس المال الاقتصادي.
  - ٢ - تبدلات رأس المال الاقتصادي ومردوداتها.
    - أ - رأس المال الثقافى.
    - ب- رأس المال الإجتماعى.
- ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الاقتصادي.
  - ١ - الوراثـــة.
  - ٢ - رأس المال الجمعي .. محصلة تبدلات رأس المال الاقتصادي.
  - ٣ - عائلية الاستثمار.
  - ٤ - استراتيجيات الممارسة فى المجال الاقتصادي.
- التعقيب

تمهيـد :

يقوم الباحث بداية من هذا الفصل بعرض نتائج الدراسة الميدانية، وسوف يفرد الباحث فصلاً مستقلاً لحالات النُخْبة في كل مجال من المجالات الاجتماعية، وسوف تكون البداية مع حالات النُخْبة الاقتصادية.

ويتضمن هذا الفصل في البداية عرضاً لظروف نشأة حالات الدراسة، والطبقات التي توافدت منها أسر هذه الحالات، وأهم السمات الاجتماعية لهذه الأسر، ثم تعرض الدراسة لأهم الخصائص الاجتماعية لهذه الحالات؛ الحالة العمرية، والحالة التعليمية، والحالة الاجتماعية، ويُختتم هذا الجزء بعرض أهم الأنشطة والاستثمارات التي تزاولها حالات الدراسة في المجال الاقتصادي بمدينة سوهاج وخارجها.

ثم يتعرض هذا الفصل لعناصر تشكيل النُخْبة داخل المجال الاقتصادي، بالاعتماد على البيانات الإمبيريقية التي تم جمعها من خلال المقابلات التي أجراها الباحث مع حالات الدراسة، ويشتمل هذا العنصر على أولاً: فاعلية رأس المال الاقتصادي، ثانياً: أهم تبدلات رأس المال الاقتصادي لدى حالات الدراسة، ومردود هذه التبدلات.

وبالنسبة لاستراتيجيات تحقيق النُخْبوية في المجال الاقتصادي كما وردت لدى حالات الدراسة سوف يتم التعرض لعدد من الاستراتيجيات منها؛ الوراثة، ورأس المال الجمعي كمحصلة لتبدلات رأس المال الاقتصادي، وأخيراً استراتيجيات الممارسة داخل المجال الاقتصادي، ويختتم الباحث هذا الفصل بمحاولة التعقيب على ما تم التعرض إليه خلال هذا الفصل على ضوء الإطار النظري الذي صاغه الباحث خلال الفصول الثلاثة الأولى.

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية :

تُقدم الدراسة الراهنة هنا وصفاً للأصول الاجتماعية والطبقية التي توافدت منها حالات النُخْبة الاقتصادية في مدينة سوهاج وخصائصها الاجتماعية، وذلك بالاستناد على البيانات والمعطيات الإمبيريقية التي جمعها الباحث من خلال المقابلات التي أجراها مع بعض حالات النُخْبة في المجال الاقتصادي بمدينة سوهاج.

(١) أسرة النشأة ... الأصول والخصائص :

تكشف البيانات الإمبيريقية التي جمعها الباحث حول أسرة النشأة وأصولها الطبقية عن أن حالات النُخْبة في المجال الاقتصادي تنتمي إلى نوعين من الأسر، وذلك على النحو التالي :

(أ) تنتمي حالتان من حالات الدراسة إلى أسرة تتوافد من الشرائح المختلفة للطبقة

الوسطى، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١) : " أنا من أسرة بسيطة جداً، الوالد كان موظف، رغم أنه أخذ قدر بسيط من التعليم (المرحلة الإلزامية)، وبالنسبة لى هو حاجة عظيمة لأنه عمل أقصى ما عنده علشان يعلمنى أنا وأخويا، وبالنسبة للوالدة كانت ربة بيت ".

تقول الحالة رقم (٢) : " بالنسبة للأسرة اللى اتربيت فيها كانت مستورة، رب الأسرة موظف بمرتبه، والأم ست بيت متعلمتش، هما علمونا وربونا كويس بالنسبة ليهم، إحنا كنا ست أخوات، وأكتر واحد اتعلم فينا خد مؤهل متوسط بالعافية في ظل الظروف الاقتصادية اللى مساعدتش الوالد، والتعليم العالى أيامها كان صعب بالنسبة لناس كتير ".

(ب) تتوافد باقي حالات الدراسة داخل المجال الاقتصادي من أسر تنتمي إلى شرائح من البرجوازية الزراعية والتجارية، ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية لهذه الحالات :

تقول الحالة رقم (٣) : " أنا والدى حصل على المرحلة الإلزامية، وكان أبوه اللى هو جدى عمدة البلد، وكان جدى عنده مساحة أرض زراعية كويسة، وكان المفروض أن أبويا يشتغل فيها، لكن أبويا محبش الزراعة أبداً، علشان كدة اعتمد على التجارة، في الأول تجارة البصل والحبوب، وبعد كدة احترف تجارة الأراضى والعقارات والأنشطة اللى بتكون مرتبطة بها، وصراحة كل نجاحه كان في هذه التجارة، عمل منها فلوس وسمعة كويسة ".

تقول الحالة رقم (٤) : " بالنسبة للعيلة بتاعتنا، أنا أبويا كان شيخ البلد، وبعد كدة العمدة، والعمدية دى كانت بتاعتنا دايماً، وأبويا وأعمامى وأجدادى كانت في حيازتهم مساحات كبيرة من الأرض اللى كان بيزرعوا جزء منها وجزء منها يأجروه للناس، وكمان الثورة خدت جزء من الأرض دى، وأبويا كان يقرأ ويكتب، ونجح في أنه يعلم كل ولاده تعليم عالى".

تقول الحالة رقم (٥) : " زى ما حضرتك عارف أنا من بيت الشريف في أخميم، وأبويا من أعيان أخميم، وكان راجل متعلم، وكان يدير الأرض بتاعته، ودى كانت مساحة كبيرة أكتر من خمسين فدان، وكانت في أماكن كتير في سوهاج وبراها بمحافظات أخرى ".

(٢) الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الاقتصادية :-

(أ) الحالة العُمرية :-

توضح المعطيات الميدانية فيما يتصل بالحالة العُمرية لحالات النُخْبة في المجال الاقتصادي، ارتفاع أعمار حالات الدراسة، وقد يرجع هذا الارتفاع إلى أن حالات الدراسة بذلوا كثيراً من الوقت لتحقيق تميزهم داخل المجال الاقتصادي، إضافة إلى أن المجتمع

المصري بشكلٍ عام يتميز بعدم سهولة الحراك الاجتماعي، ويُصعب هذا عملية تدوير النُخَب والتجديد في تكوينها، إضافةً لذلك فإن "بورديو" يؤكد على أن تكوين رأس المال ومراكمته يرتبط بالعديد من العوامل الأخرى منها (العمر، والجنس، ومكان الإقامة)[1]. ومن خلال تأكيد "بورديو" يمكن للباحث التأكيد على أن ارتفاع الحالة العمرية لحالات الدراسة يمكن أن يكون مرتبط بارتفاع الأرصدة التي راكمتها حالات الدراسة من رأس المال الاقتصادي.

(ب) الحالة التعليمية :-

تكشف البيانات الميدانية فيما يتصل بالحالة التعليمية لحالات النُخَبة الاقتصادية، أن هناك ثلاث حالات قد حصلت على مؤهل متوسط، وحصلت حالتان على مؤهل عالي.

ويرجع هذا الاختلاف في الحالة التعليمية بين حالات الدراسة إلى عدد من العوامل الكامنة في الظروف التي نشأت خلالها حالات الدراسة، ويمكن إيجاز هذه العوامل على النحو التالي :

١ -يلعب المستوى الاقتصادي لأسرة النشأة دور مهم في تحديد علاقة الأبناء بالتعليم، حيث أن ضعف المستوى الاقتصادي لأسر بعض حالات الدراسة، كان عاملاً حاسماً في توجيه أصحاب هذه الحالات نحو المؤهل التعليمي المتوسط، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١) : "أنا دخلت صنايع مش لأنى مش قادر على التعليم، لكن في الوقت ده كان مش كل الناس تقدر تودى أولادها خارج المحافظة علشان يكملوا تعليمهم، والأمور اللى خلتنى أنا أكتفي بالصنايع، قدرنا عليها مع أخويا الأصغر منى اللى أصريت أنا أنه يكمل لغاية مخلص صيدلة".

تقول الحالة رقم (٢) : " إحنا كنا ست أخوات، وأكتر واحد اتعلم فينا خد مؤهل متوسط بالعافية في ظروف اقتصادية مساعدتش الوالد والتعليم العالى أيامها كان صعب بالنسبة لناس كتير ".

٢ -لم يكن ارتفاع المستوى الاقتصادي للأسر التي نشأت فيها بعض حالات الدراسة سبباً كافياً في الحصول على مؤهل جامعي، ولكن موقف الأسرة من التعليم وأهميته كان من العوامل المهمة التي أدت إلى توجيه الأبناء نحو التعليم الجامعي، وذلك لأن هناك إحدى حالات النُخَبة الاقتصادية والتي نشأت في أسرة ثرية، لم تصل إلى التعليم الجامعي، وذلك للتفرغ لإدارة بعض الأعمال والمشروعات التي يمتلكها الوالد، وهذا ما تؤكده النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (٣) : " الحاج كان يتعامل معانا في أيام الدراسة كطلبة، يعنى مفيش شغل لينا خالص أيام الدراسة، وفي الأجازات كان يعتمد علينا في الشغل ويحاول يعلمنا الشغل ده، كان التعليم لينا حاجة مهمة بالنسبة له ".

تقول الحالة رقم (٤) : " أنا كنت هكمل تعليمى، لكن ظروف والدى فرضت على أنى مكملش علشان، أشتغل مع الوالد لأن الشغل كان كتير ومحتاج حد من ولاده يساعده فيه".

وتتفق النتائج السابقة فيما يرتبط بالحالة التعليمية مع ما انتهى عليه حوار العلماء داخل النظرية الاجتماعية، فيما يتصل بالتعليم وعلاقته بالحراك، فهذا الحوار في بعض جوانبه ركز على القيود التي تواجه طلاب الأسر الفقيرة والمتوسطة، وكيف أن مثل هذه القيود تحول دون استمرارية الطلاب في التعليم، والوصول إلى قمة السلم التعليمي[٢].

وعلى الرغم من تباين أرصدة رأس المال الثقافي لدى حالات النُخْبة الاقتصادية، وتباين العوامل الاجتماعية المسئولة عن هذا الرصيد الذي بحوزتهم، إلا أن هُناك اتجاهٌ إيجابي لدى جميع الحالات فيما يتصل بأهمية رأس المال الثقافي، ويتضح هذا الاتجاه من خلال موقف حالات الدراسة من تعليم أبنائهم (ذكور، وإناث)، ليس هذا فحسب بل هناك من قام بتوجيه أبنائه نحو رأس المال الثقافي، الذي يخدم أعماله واستثماراته الاقتصادية، وهذه الفكرة سوف يتم تناولها بالتفصيل في مواضع تالية من هذا الفصل، بوصفها إستراتيجية من استراتيجيات تكوين النُخْبة وتشكيلها داخل المجال الاقتصادي.

(جـ) الحالة الاجتماعية :-

جميع حالات الدراسة داخل المجال الاقتصادي من المتزوجين ولديهم أبناء، وتتوافق هذه النتيجة مع ارتفاع الحالة العُمرية لحالات الدراسة، إضافةً إلى أن الزواج طالما توافرت المقومات الاقتصادية والاجتماعية له، هو وسيلة من وسائل تحقيق الاستقرار الاجتماعي والعاطفي، أضف لذلك أن الزواج وتكوين الأسرة ضرورة ومطلب اجتماعي مُلح وفقاً للعادات والتقاليد التي تعيش في ظلها حالات الدراسة.

ولقد كان الزواج بالنسبة لإحدى الحالات آلية مهمة من آليات تدعيم النشاط والمشروعات الاستثمارية، ويتضح ذلك من خلال تأمل النص التالي الذي تقوله الحالة رقم (١) : " أنا عندى المدام خريجة كلية تربية شعبة كيمياء وأحياء، وساعدتنى كتير لما فتحت المعامل، وكمان شاءت الظروف أنه يكون عندها حب لصور العرائس، وكانت بتحب تتفرج على المجلات أيامها، كانت مجلة الإذاعة والتليفزيون في عصرها الذهبى، وكمان آخر ساعة، وكانت تقص صور

العرائس وتحتفظ بها، علشان كدة كانت بتساعدنى في صور العرائس واختيار الصورة اللى هكبرها، ولما لقيتها محترفة في الحكاية دى خدت أجازة بدون مرتب من المدرسة واشتغلت معاى".

(د) الأنشطة ومجالات الاستثمار :-

هُناك تنوع في الأنشطة الاقتصادية التي تُمارسها حالات النُخْبة الاقتصادية، حيث كانت هذه الأنشطة تتمثل فيما يلي :

١ - الاستثمار في مجال المقاولات والعقارات، ويتضمن ذلك العديد من الأنشطة؛ شراء الأراضي وبيعها، وتشييد العمارات والأبراج السكنية، وإدارة محلات لبيع لوازم العمارات والأبراج، والأدوات الصحية، ومحلات بيع مواد البناء وأدواته.

ويُعد هذا المجال من أكثر مجالات الاستثمار رواجاً داخل سوهاج، حيث ازداد خلال العقود الثلاثة الماضية عدد المشتغلين بالمقاولات والاستثمارات العقارية، وهذا الازدياد اقترن بالنمو العمراني الذي شهدته المدينة ومحيطها الريفي، ومن مؤشرات هذه الزيادة؛ انضمام مجموعة من الأطباء والمحامين وأساتذة الجامعات بمدينة سوهاج لاستثمار فوائضهم المالية في هذا المجال.

ولقد خلقت ظاهرة الاستثمار العقاري مجموعة من التناقضات داخل مدينة سوهاج، فعلى الرغم من أن سوهاج كمحافظة تعد من أفقر المحافظات في مصر، إلا أنه خلال السنوات القليلة الماضية شهدت هذه المدينة رواجاً في تشييد الأبراج السكنية، والتي وصل سعر الشقة فيها إلى ما يتجاوز المائتى ألف جنيهاً، بل أن هناك بعض الأبراج يصل فيها سعر الشقة إلي نصف المليون جنيه، ويؤشر هذا على أن الاستثمار العقاري هو استثمار لمضاعفة الأرباح، ولا يهتم أصحابه بالإنتاج بقدر اهتمامهم بمراكمة الأرباح الطائلة.

ولا تقتصر ظاهرة الاستثمار العقاري على مدينة سوهاج، بل هي ظاهرة تتجسد في معظم محافظات جمهورية مصر العربية، ولقد أطلق عليها "محمود عبد الفضيل" مصطلح "جنون الاستثمار العقاري"، وأشار إلى أن هذا الاندفاع الجنوني نحو الاستثمار العقاري، دليلٌ على خلل كبير في الاقتصاد المصري، خاصةً أنه لا يُسهم حقيقةً في حل مشكلة الإسكان للفئات الوسطى والمحدودة الدخل، ويؤكد "عبد الفضيل" على أن المضاربة على العقارات أصبح النمط السائد لتوظيف الأموال خاصةً لدى الشرائح التي لديها فوائض مالية عالية[٣].

٢ - الاستثمار في مجال تكنولوجيا الاتصالات الحديثة وما يرتبط بها من خدمات، وذلك

إضافة إلى السيطرة على توكيلات شركات المحمول في مصر، ولعل هذا الاستثمار يأتي متوافقاً مع ما شهده المجتمع المصري من ثورة في عالم الاتصالات خلال السنوات الماضية، ولذلك فهو استثمار رائج ومزدهر، ويمكن التدليل على ذلك من خلال الإشارة إلى تأكيد إحدى الدراسات على أن المصريين ينفقون على المحمول تسعة مليارات جنية سنوياً[٤].

٣ - الاستثمار المهني، ويعنى هذا الاستثمار الاقتصادي من خلال المهارات المهنية، التي يتم من خلالها تحقيق فوائض ملكية يتم استخدامها في التوسع الرأسي للنشاط.

٤ - تتميز حالات الدراسة –باستثناء الحالة رقم (١)- بأنها لا تقتصر على مجال واحد فقط، بل لديها العديد من الأنشطة المضافة، مثال المضاربة في البورصة، والاستثمار في مجال الخدمات التعليمية، التي تتمثل في إنشاء المدارس الخاصة، الاستثمار في مجال الخدمات الفندقية، مثال إنشاء الفنادق، وهذا ما يمكن أن يُطلق عليه الحراك الأفقي لأنشطة حالات النُخْبة الاقتصادية.

(٣) ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية ... تفسيرات وتأويلات :-

بعد العرض السابق لظروف نشأة حالات النُخْبة الاقتصادية وخصائصها الاجتماعية، يحاول الباحث تقديم عدد من التفسيرات والتأويلات التي يُمكن توليدها من خلال البيانات التي تم الوصول إليها عبر مقابلات الدراسة الميدانية، وذلك على النحو التالي:

أولاً : تتسم حالات النُخْبة الاقتصادية بأنها متباينة وغير متجانسة، سواء كان ذلك على مستوى الأصول الاجتماعية لهذه الحالات، أو على مستوى ممارستها وأنشطتها داخل المجال الاقتصادي، فهي على مستوى الأصول الاجتماعية تتوافد من طبقات اجتماعية مختلفة، خاصة الطبقة الوسطى، والبرجوازية الزراعية والتجارية، وعلى مستوى الممارسات والأنشطة، تتسم بالتعدد أكثر مما تتسم بالوحدة، إنها تُجسد نفس السمة الخاصة بالرأسمالية المصرية بشكل عام، وهى سمة الامتداد الأفقي على حساب الامتداد الرأسي، ذلك أن رجل الأعمال لا يقوم بتوظيف فوائضه المالية في تطوير أسلوبه في العمل، والمعاملات، بحيث يتطور نحو تصنيع السلعة التي يعمل بها، أو يتجه نحو التصدير، وبدلاً من ذلك يكتفي باستخدام فوائضه المالية في الاستثمار في مجالات أخرى أكثر وأسرع ربحاً، وتتفق هذه الرؤية السابقة أولاً : مع ما أشار إليه "عبد الباسط عبد المعطى" في بحث "الطبقات الاجتماعية

ومستقبل مصر" ومؤداه أن هناك تنوع وتداخل لا بين أقسام الرأسمالية المصرية؛ وإنما على مستوى الرأسمالي الفرد الواحد، خاصةً كبار ومتوسطي الرأسماليين؛ حيث يُفضل هؤلاء التوسع الأفقي بإنشاء مشروعات في مجالات عدة على التوسع الرأسي في منشآتهم القائمة. ثانياً : مع ما أشار إليه "محمود جاد" في دراسة عن الطبقة العُليا في مدينة سوهاج، ومؤداه افتقار الطبقة العليا في مدينة سوهاج إلى التجانس في العديد من النواحي، منها ما يتصل بالتكوين الذي يغلب عليه الطابع التجاري والعقاري، ومنها ما يتصل بالأصول التاريخية والاجتماعية، حيث تنتمي هذه الطبقة إلى مختلف مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي مر بها المجتمع المصري، كما أنها تنحدر من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية في هذه المدينة[٥].

ثانياً : تأمُل الأنشطة الاستثمارية لمعظم حالات النُخَبة الاقتصادية يؤشر على وجود سيولة مالية هائلة لدى هذه الحالات، وهذا يعكس بدوره درجة كبيرة من سوء توزيع الدخول والثروات في مدينة سوهاج، حيث أصبحت هناك طبقة مترفة يقابلها طبقات شعبية واسعة تعانى من الضائقة المالية المستدامة، وتحققت هذه السيولة من خلال المضاربة على العقارات والأوراق المالية في البورصة ومدخراتها، دون أن تتوجه بشكل جدى نحو القطاعات الإنتاجية.

ثانياً : تشكيل النُخْبة الاقتصادية :-

طرح الباحث خلال الفصل الثاني أن هناك اتفاقٌ عام ما بين العلماء على أن رأس المال الاقتصادي هو أكثر أشكال رأس المال كفاءة، ويُشير إلى الدخل المادي، أو هو الشكل الذي يقبل التحويل بشكل مباشر وسريع إلى مال، ليس هذا فحسب بل من الممكن تحويله إلى أي شكل آخر من أشكال رأس المال بصورة سهلة، كما يمكن نقله من جيل إلى آخر[٦].

ثم طرح الباحث أن فكرة الأهمية المطلقة لرأس المال الاقتصادي هي فكرة غير صحيحة، إذا كان المقصود برأس المال الاقتصادي أنه هو المال فحسب، ولكن الأهمية الكبيرة التي يضعها "بورديو" لرأس المال الاقتصادي تأتى بالاعتماد على أن رأس المال الاقتصادي ليس هو الثروة فحسب، ولكن يضم أيضاً مجال العلاقات الاقتصادية، تلك الآلية التي تكون مرتبطة بتنمية العوامل الخاصة بالمصالح الذاتية والمنافع، ومع مثل هذه العلاقات يمكن للثروة أن تُصبح شكلاً من أشكال رأس المال[٧].

وكلٌ من الرؤيتين السابقتين صحيح، هذا ما تؤكده الدراسة الراهنة، ولكن ذلك مرهون بنوع التحليل المستخدم، ففكرة اعتبار رأس المال الاقتصادي هو الثروة فقط، هي فكرة يمكن أن تكون صحيحة إذا ما كان التحليل المُتبع داخل المجال الاقتصادي هو تحليل رأسي، وهو ذلك التحليل الذي أشار "بارسونز" إليه بأنه يهتم بالاقتصاد في حد ذاته، تنظيمه الداخلي، وأدائه الوظيفي، أما إذا كان التحليل المُتبع هو التحليل الأفقي، أي التحليل الذي يهتم بدراسة الاقتصاد كمجال فرعى داخل الفضاء الاجتماعي، ودراسة التفاعل وأشكال التبادل بينه وبين المجالات الأخرى، لا يمكن اعتبار رأس المال الاقتصادي هو الثروة فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل معه العلاقات الاقتصادية، والاستراتيجيات التي يتحرك بها الاقتصاد داخل الفضاء الاجتماعي بما يتضمنه من مجالات أخرى[٨].

وعلى هذا ومن خلال البيانات الإمبريقية التي جمعها الباحث من خلال حالات النُخْبة الاقتصادية، يمكن التأكيد على أن نُخْبوية حالات الدراسة في المجال الاقتصادي لم تتشكل عبر الثروة فحسب، بل تشكلت من خلال رأس المال الاقتصادي الذي يتضمن الثروة، والعلاقات الاقتصادية وغير الاقتصادية المتبادلة ما بين المجال الاقتصادي والمجالات الأخرى الموزعة عبر الفضاء الاجتماعي، وغير ذلك من آليات واستراتيجيات يمكن التعرف عليها من خلال العناصر التالية:

(١) فاعلية رأس المال الاقتصادي :-

من خلال البيانات والمُعطيات الميدانية التي جمعها الباحث من حالات الدراسة، وقراءة هذه البيانات وتأويلها، تؤكد الدراسة على فاعلية رأس المال الاقتصادي في حد ذاته في وصول الفرد إلى المكانة الاقتصادية، أو المكانة العليا داخل المجال الاقتصادي، ولكن تحقيق النُخْبوية التي تتضمن المكانة الاجتماعية والقوة لا يتم بالاعتماد على رأس المال الاقتصادي وحده، فالثروة في حد ذاتها لا تدفع الفرد إلى خارج حدود المجال الاقتصادي، وهذه النتيجة واضحة تماماً في خطاب حالات النُخْبة الاقتصادية، وفيما يلي عدد من النصوص التي تؤكد هذا :

تقول الحالة رقم (١) : " أنا مش بتعامل مع شغلى على أنه استثمار، لا ده فن، والفلوس بجمعها علشان أصرف على هذا الفن، وبالتالى هو هيجيب الفلوس دى تانى وأكتر، فكرة الفلوس هنا وسيلة مش حاجة تانى، هقولك على حاجة تؤكد لك أن المسألة أكبر من الفلوس، أنا عندى حاجة اسمها "سوفت بوكس" ودى قماش معين للكاميرا اللى بصور بيها الأفراح، فيه منها نوع يعمل ٨٠-٩٠ جنيه أما مبرضاش أجيبه لأنه يفي بالغرض لكن جودة الصورة

معاه مش كويسة، أنا بجيب نوعية ألمانى تعمل ٣٤٠٠ جنيه، أنا هنا بصرف على فن، والفلوس اللى دفعتها بتيجى واكتر بكتير كمان، السلعة اللى أنا ببيعها للناس بقدمها للناس مش بالقيمة التجارية لها، لا قيمتها عندى أنها تطلع مشكورة، تعجب كل اللى يشوفها علشان يرجعلى تانى، وأنا أحس أنى مبعتش نفسى وفنى علشان أوفر فلوس زيادة، أنا بدور على التميز في بيتى وشغلى وفي المكان اللى أنا عايش فيه، واحترامى لأذواق الناس هو اللى يخلى الناس بتحترم سلعتى ".

تقول الحالة رقم (٢) : " ناس كتير معاها فلوس، بس مش كلهم يقدروا يدخلوا السوق وينجحوا فيه، لازم يكون عندك القدرة، الرؤية اللى تسهل لك أنك تكون متميز، وعندك سستم وتبنى اسم وتحافظ عليه، أنا عندى استعداد أصرف جنية والمكسب يرجع لى نفس الجنية بس أحافظ على اسمى واسم شغلى، يعنى ادفع من جيبى وصورتى في السوق أحافظ عليها يعنى مش عاوزها تتهز، وبعدين فيه حاجة بنشوفها في السوق، واحد يبقى معاه شوية فلوس يدخل شغل معين يضرب ضربة أو اتنين ويكسب شوية فلوس كتير ويخلع، هو كسب لكن دخوله السوق تانى يبقى انتحار".

تقول الحالة رقم (٣) : " كل حاجة معاك ليها وقت تكسب فيه، الفلوس مهمة في أوقاتها، لكن الفلوس صعب أنها تعمل أى حاجة وكل حاجة لوحدها، الفلوس مبتتحركش لوحدها، يعنى لازم مع الفلوس يكون عندك فكرة معينة تعرف أنت تحركها، فيه حاجات كتير هى اللى بتحرك الفلوس علشان تجيب فلوس، وأحياناً يكون الفيصل بينك وبين أى واحد تانى وأنت بتشترى حتة أرض هو الفلوس، وهنا قوتى أنا هى قوة الفلوس اللى معايا، لكن فيه حاجات معينة الفلوس فيها مهمة لكن بتكون آخر حاجة، مع أنى مكسبها ممكن يكون كويس ".

تقول الحالة رقم (٤) :" احنا بيهمنا المكسب، لكن رحلتى في السوق والتجارة أكدت لى أن المكسب مش هو الفلوس بس، ولا يأتى بالفلوس لوحدها، هى قصة كبيرة، مثلاً أنا لما خدت التوكيل بتاع شركة المحمول "اتصالات"، ناس كتير كان معاها الفلوس اللى أنا دفعتها، لكن مقدرتش تاخد منى التوكيل، ليه؟، علشان أنا كان لى اسم في السوق لأنى قبل كدة كنت شغال مع فودافون وكنت واحد من أعضاء نادى الخمسين، وهم أحسن خمسين وكيل في مصر للشركة، السمعة دى هى السبب في أنى خدت التوكيل، مش الفلوس اللى دفعتها بس، والتوكيل ده عاد عليا بمكاسب كتير أولها الفلوس لكن مش هى آخر حاجة كسبتها ".

تقول الحالة رقم (٥) : الفلوس ممكن تعمل بيها مكتب أو شركة آخر شياكة وتشترى بيها

معدات، كراكات، لوادر، وكل اللى ممكن تعوزه في شغل المقاولات، لكن ممكن ميجيلكش شغل، يعنى الشغل اللى بتعمله مش بيجى دائماً علشان معاك فلوس، بس مش معنى ده أن الفلوس مش مهمة، لا دى مهمة لكن عاوزة معاها حاجات تانى أخلاقك وسمعتك في السوق، وأن يكون عندك دين ".

بناءً على هذه النصوص، يتضح مدى إدراك حالات الدراسة لأهمية رأس المال الاقتصادي، وتحقيق فوائض كبيرة فيه، وهذا أمرٌ طبيعي فالفرد بطبعه يبحث عن الفائدة من الفعل الذي يقوم به، أو النشاط الذي يؤديه، وطالما بصدد النشاط الاقتصادي فتحقيق الأرباح والفوائض المالية هو هدف رئيس، إلا أنه بالنسبة لحالات الدراسة ليس هو الهدف الأخير، ويتفق هذا مع النص التالي "لآدم سميث" والذي يقول فيه، " من أين ينشأ هذا الحماس الذي يثير مختلف الطبقات الاجتماعية، وما الفوائد والميزات التي نأمل الحصول عليها من خلال تحسين ظروفنا الاقتصادية والمالية ؟ إن ما نأمل الحصول عليه، هو أن نكون مميزين ومخدومين ومكتفين مادياً، وأن نكون مُعتبرين اجتماعياً "[٩].

وتحمل نصوص الحالات أيضاً تأكيد على أهمية رأس المال البشرى المتمثل في مهارات الفرد وقدراته، وذلك فيما يتصل بإدارة رأس المال الاقتصادي وحركته داخل السوق، وهذا يتفق مع اتجاهات علماء الاقتصاد الذين قاموا بالتوسع في مفهوم رأس المال الاقتصادي الذي كان يتضمن الماكينات والأدوات والمعدات، ليتضمن رأس المال البشرى، حيث أن ارتفاع مستوى مهارات الفرد وقدراته المعرفية، تُمكنه من تحقيق فوائض مالية من خلال الاستثمار في الرصيد الذي يحوزه من رأس المال الاقتصادي[١٠].

وتتفق الرؤية السابقة التي انتهى إليها الباحث، مع نفس الرؤية التي انتهى إليها "أحمد زايد" من خلال دراسته للعلاقة ما بين المرأة والنقود، وتؤكد رؤيته على أن النقود ليست وسيلة لخلق فضاء للعيش مستقراً فقط، بل هي وسيلة لتأمين المستقبل ولضمان حياة كريمة، ولخلق رصيد من رأس المال الاجتماعي الذي يمكن المرأة من أن تحقق استقراراً اجتماعياً ونفسياً، وتوازن بين الأهداف المتعددة والمتعارضة أحياناً[١١]. وفي سياق هذه الدراسة، يكون رأس المال الاقتصادي ليس وسيلة لتحقيق المكانة الاقتصادية المحدودة بحدود المجال الاقتصادي فحسب، بل هو وسيلة للتحرر من شروط الوجود المادية، وظروف هذا الوجود، وأنه وسيلة للوصول إلى المكانة الاجتماعية والتميز، وذلك من خلال تحرير الفرد من العديد من القيود والكوابح البنائية التي يمكن أن تقف ضد تحقيق نُخْبويته التي يهدف إليها وهى بالتأكيد خارج

حدود المجال الاقتصادي، حيث أنها تقع في المجال الاجتماعي العام، ولذلك جاء حرص حالات الدراسة على استخدام قوة رأس المال الاقتصادي وقابليته للتدوير، في مراكمة أرصدة أخرى من رأس المال تحقق مصالحهم، وهذا ما سوف يتم عرضه في العنصر التالي :

(٢) تبدلات رأس المال الاقتصادي ومردوداتها :-

تكشف البيانات الإمبيريقية عن أن حالات الدراسة من النُخْبة الاقتصادية قد نجحوا في الاستفادة من رصيدهم من رأس المال الاقتصادي، في الوصول إلى أشكال أخرى من رأس المال، لا تقل من وجهة نظرهم أهميةً وفاعلية عن رأس المال الاقتصادي، خاصة وأن هذه الأرصدة الأخرى مع رأس المال الاقتصادي هي التي حققت تميزهم ليس داخل المجال الاقتصادي فحسب ولكن داخل عدد من المجالات.

ولا تُعد فكرة تبدلات رأس المال الاقتصادي إلى أشكال أخرى من رأس المال هي فكرة للبرهنة على فاعلية رأس المال الاقتصادي وقابليته للتحويل فحسب، ولكنها تمتد لأكثر من ذلك فهي إحدى الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها حالات الدراسة لتحقيق نُخْبويتهم، وفي زيادة مكانتهم الاجتماعية، وبالتالي وصولهم لموارد القوة والنفوذ، مع عدم إهمال زيادة فوائضهم المالية التي تتراكم في إجمالي رأس مالهم الاقتصادي.

ويُمكن عرض أهم صور تبدلات رأس المال الاقتصادي إلى الأشكال الأخرى من رأس المال لدى حالات الدراسة، على النحو التالي :-

(أ) رأس المال الثقافي :-

تُدلل البيانات الميدانية على أن هناك حالتين من حالات الدراسة، نجحتا في الاستفادة من رصيدهما من رأس المال الاقتصادي، في تكوين رصيد من رأس المال الثقافي، خاصة وأن العامل الاقتصادي هو الذي حرمهما من مراكمة رصيد من رأس المال الثقافي من خلال استكمال تعليمهما الجامعي(*). وهذا يتضح من النصوص التالية :-

تقول الحالة رقم (١) : " لما توافرت معاى الفلوس، فكرت أنى أطور معرفتى بعالم التصوير والتحميض والمعامل، والفكرة جاتنى لما عرفت إن شركة كوداك فتحت معهد ممكن أخد فيه دورات تدريبية، وعملت كدة، وسافرت اليابان وخدت كذا دورة، أحياناً لوحدى، وأحياناً كنت آخد حد من بناتى معاى علشان يستفيد لأنهم معاى في الشغل، ورغم أن السفرية كانت مكلفة إلا أنى رحت واتعلمت حاجات كتير مفيدة نفذتها هنا عندى، وشفت أحدث مكن للمعامل

(*) يمكن مراجعة نصوص الحالتين رقم (١)، (٢)، فيما يخص الحالة التعليمية.

واتدربت عليه، واشتريت واحدة من هناك، عملت عندى في سوهاج ثورة في عالم التحميض، وهى عندى أنا بس موجودة".

تقول الحالة رقم (٢) : " أنا دخلت التعليم المفتوح وأدينى في آخر سنة، لكذا سبب، نمرة واحد منهم أنى أثقل الخبرة بالعلم، يعنى أنا عندى خبرة في البيزنس أو التجارة بشكل عام، لكن الخبرة دى ممكن تكون ٨٠٪، ولكن الـ٢٠٪ الباقية هى الدراسة ... أنا مدخلتش آخد شهادة وخلاص، لا أنا داخل علشان أستفيد، المواد اللى بدرسها ليها علاقة بالشغل بتاعى ... نمرة اتنين من ناحية المستوى الاجتماعى مش عيب أنى أكمل تعليمى اللى أنا اتحرمت منه ".

وتُوضح النصوص السابقة إرتفاع مستوى الوعي لدى حالتي الدراسة، حيث جاءت الاستفادة من رأس مالهما الاقتصادي في تكوين رصيد من رأس المال الثقافي، أو تطوير الأرصدة الضعيفة من رأس المال الثقافي التي بحوزتهما، بالشكل الذي يعود بالمنافع على مسارات استثمارهما الاقتصادي، حيث يتم الاستفادة من رصيدهم الجديد من رأس المال الثقافي، في تطوير استثماراتهما، وبالتالي زيادة الفوائض المالية التي يحققونها، ويمكن أن يتم اعتبار ذلك آلية من آليات الحراك الرأسي، بمعنى "بورديو" والذي يقصد به استخدام تبدلات رأس المال في تحقيق زيادة رأس المال النوعي الخاص بالمجال[١٢].

وإضافة على ما سبق، نجحت جميع حالات الدراسة في الاستفادة من رأس مالهم الاقتصادي، في دفع الأبناء نحو تكوين أرصدة عالية من رأس المال الثقافي، وتوفير كل الإمكانيات اللازمة لهم لتحقيق هذه الأرصدة، سواء كانت هذه الإمكانيات متمثلة في إلحاق الأبناء بالمدارس الأجنبية الخاصة، أو توفير كل المتطلبات المادية وغير المادية والتي تدفع الأبناء نحو تكوين رصيد من رأس المال الثقافي، ليس هذا فحسب بل هناك من حالات الدراسة من نجح في توجيه أبنائه نحو رأس مال ثقافي بعينه، حتى يستفيد منهم في استثماراته، حيث ألحقهم بالعمل معه، وهذا في النهاية يُحقق له إعادة إنتاج استثماراته بشكل أفضل وباستمرارية عبر الأبناء، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١) : " بنتى الكبيرة خريجة فنون جميلة قسم تصوير، وأنا السبب في ده، لأنى كنت مهتم بيها وفي أنى أزرع حب التصوير جواها، وبنتى التانية واخدة ليسانس آداب".

تقول الحالة رقم (٢) : " أنا بحاسب نفسى دايماً من ناحية ولادى وتعليمهم، وشايف نفسى مش مقصر معاهم في الناحية دى بالذات، لأنهم هم دول الزرعة من الآخر سيبك

من النفوذ والفلوس والعلاقات والحاجات دى كلها، أنا ما أتمناش أن هما يقعدوا مكانى، أنا بوفر ليهم كل حاجة علشان يتعلموا كويس، واللى مقدرتش أعمله من خلال التعليم يارب هم يعملوه".

تقول الحالة رقم (٣) : " الحمد لله، الولاد كلهم صغيرين، وفي مدارس خاصة وماشيين في التعليم، لأن زى ما الحاج اهتم بأنى أتعلم، أنا أتمنى أنهم يتعلموا ويكونوا أحسن منى ".

تقول الحالة رقم (٤) : " آه الولاد كلهم في مدارس خاصة، وأكبر واحدة فيهم في ابتدائى لسة ".

تقول الحالة رقم (٥) : " معاى الابن الكبير خلص كلية تجارة، وشغال في مجال الاتصالات، والتانى هيخلص السنة دى كلية حقوق ".

(ب) رأس المال الاجتماعي :-

تُوضح البيانات الإمبيريقية أن جميع حالات الدراسة من النُخْبة الاقتصادية استطاعوا تكوين أرصدة ضخمة من رأس المال الاجتماعي المتمثل في شبكات العلاقات الاجتماعية، من خلال رحلتهم داخل المجال الاقتصادي، وتتميز هذه العلاقات الاجتماعية بعدد من المميزات التي أكدت عليها حالات الدراسة، وهى :

١- قوة هذه العلاقات وحميميتها.

٢- تنوع المكانات الاجتماعية لأطراف هذه العلاقات، حيث لا تقتصر على شريحة معينة فحسب، بل امتدت لتطول معظم الشرائح والفئات المنتشرة عبر البناء الطبقي لمدينة سوهاج وخارجها، إضافة إلى انتشارها في المجالات الأخرى وليس المجال الاقتصادي فحسب.

٣- إدراك حالات الدراسة لأهمية هذه العلاقات، رغم إصرارهم على استبعاد فكرة استغلالهم لمثل هذه العلاقات فيما يحقق منافع لهم، على الرغم من أن المنافع التي عادت عليهم من خلال شبكات علاقاتهم الاجتماعية واضحة من خلال نصوصهم، وقد يكون ذلك بدافع إخفاء عمدية الاستغلال لهذه العلاقات، وليس بدافع إخفاء المنافع التي عادت عليهم من وراءها، وهذا ما يتفق مع نظرية التبادل؛ التي تؤكد على أن هناك قدرٌ ما من التبادل يظهر من خلال أي شكل من أشكال التفاعل (سواء كان على مستوى الخدمات، أو الأشياء المادية، أو غير ذلك)، ويهدف هذا التبادل إلى تحقيق المنفعة الاجتماعية والاقتصادية للأطراف المشاركة، وتحقيق تبادل الأشياء الضرورية عبر

الصلات الاجتماعية التي تجمع الفاعل مع الآخرين، وتعد علاقة التبادل على هذا النحو شرطٌ أساسي داخل جميع المجتمعات[١٣].

تقول الحالة رقم (١) : " مرة كنت بغطى حفلة في مدرسة إعدادى في سوهاج، وده كان في بداية حياتى، وفي الحفلة فيه بنت صغيرة كان ليها شوية حركات جمال جداً، فأنا أخذتلها شوية صور حلوين، ولما اديتها الصور وروحت بيهم البيت، أبوها اتصل بيا بعد كدة وطلع مدير العلاقات العامة لمكتب المحافظ وشكرنى على الصور، وبعد كدة باين عليه حط الموضوع ده في دماغه، لأنى بعد كدة اتصل بيا وقالى المحافظ عاوزك ولما رحت طلب منى أنى أغطى زيارة الرئيس، ودى كانت دفعة قوية ليا، وبداية معرفة كويسة للمحافظ، اللى بعد كدة هو اللى افتتح الاستديو بتاعى، وده كان بداية قوية ليا، ... ومرة كان أحد الزوار لمحافظة سوهاج جاى علشان يعمل عملية تسويق للشركة بتاعته، ودى كانت شركة "كوداك"، والراجل ده كان "وديد شكرى" واستقبلته وعملت معاه واجب كويس طول فترة وجوده في سوهاج، وهو وماشى خد بياناتى وعنوانى وقالى لو عاوز حاجة قولى ومعاك تليفونى .. وبعدها بفترة لقيته بيتصل هو بيا وبيقولى أن قريب فيه العيد الماسى للشركة وعاملين في مصر احتفالية ممكن تشارك فيها بتلت صور مقاس ٣٠×٤ علشان فيه معرض على مهمش الاحتفالية، وفعلاً شاركت بتلت صور لمناظر طبيعية في سوهاج وتشاء الظروف وأفوز بالمركز الأول وأسافر تبع الشركة في رحلات عمل إلى لندن وأسبانيا وده كانت نقلة قوية وكبيرة في حياتى لأنى رحت وشفت التطور والمكن الجديد في البلاد دى وكان ده فرق شاسع ما بينا وبينهم، وكمان ساعدنى الأستاذ وديد في شراء مكن للمعمل من شركة كوداك بأقساط مريحة، ودى نقلة تانى في حياتى ... في بداية شغلى وأنا كنت حريص على صداقات الناس، وكذا مرة من خلال هذه العلاقات خاصة بالمحافظ والقيادات السياسية والحزب كرمونى ... وكل علاقاتى بالمسئولين أو غيرهم تبدأ من الصورة .. لكن أهم حاجة عندى روح المحبة ... وكنت اتعرفت على واحد تانى اسمه د. مجدى وكان مصدر لمعلومات كتير في حياتى عملت نقلة منها مرة قالى أنه فيه معرض هيتعمل للتصوير في أسيوط باسم رمضانيات، وشاركت فيه واكسبت وكرمنى المحافظ هناك وبدأت معاه علاقة كويسة لأنى من يومها كنت أنا أصوره وكان يطلبنى بالتليفون ... وأنا من خلال وديد شكرى ومجدى حنا عملت علاقات كويسة في شركة كوداك، ودلوقتى اسمى معروف عندهم وباستفيد منهم جامد في الشغل ... ".

تقول الحالة رقم (٢) : " أنا بتعامل مع ناس كتير، تعاملت مع فلان بيه حبيته لشخصه،

حصلت بينا ألفة ومودة وأنا عاملته بشكل فيه اختلاف عن أى حد تانى، يرتاح معاى ويتصل بعد كدة وأنا اتصل بيه وتبقى علاقة، مش لأنى عاوز خدمة من المجال بتاعه لأ هى القصة كلها محبة .. يعنى العلاقة ابتدت من الشغل عندى وامتدت لأبعد من كدة وأنا علاقاتى مش قاصرة على ناس بعينهم أنا محتاج للسواق وللكهربائى وللدكتور والقاضى، وده لازم علشان تسهل الحياة من حواليك، أنا لما يبقى عندى مشكلة قانونية رغم أنى عندى المحامى بتاعى لكن تلاقينى ممكن اسأل محامين تانى أو قضاة علشان مشورتهم كتير بتبقى مفيدة، أعرف ناس كتير من الدكاترة والشرطة والقضاء حوالى ٧٥٪ منهم في سوهاج أعرفهم كويس وتربطنى بيهم علاقات قوية، وكلهم عرفتهم من الشغل، وواحد يعرفك على واحد تانى وتبقى صاحبه وناس كتير منهم في مواقف كتير بترمى نفسها عليا دول هم مكسب صح وأحياناً بيبقى أهم من الفلوس يعنى أنا مبعش علاقة مع واحد علشان الفلوس ".

تقول الحالة رقم (٣) : " تنوع مجالات الشغل عندنا، خاصة المبانى والأبراج إدانى شبكة علاقات اجتماعية كويسة خالص، هتلاقى كل الباشوات والناس التقيلة في سوهاج ساكنة عندنا أو اتعامل معاى في شراء أو بيع أرض، وممكن تجامله بشكل معين يخليه يحرص على استمرار المعرفة ما بينا، والعلاقات دى مهمة ومكسب بس المهم تفادى تكلفتها لأن أحياناً فيه ناس وعلى مستوى اجتماعى عالى وتحاول تستغلك وتستفيد منك وده بيكون هدفها وهم معروفين، وللشغل بتاعى فيه علاقات مصالح، ودى بتبقى تكلفتها في بالى ولازم هنا التكلفة إما أقل أو موازية للاستفادة منها ... أحياناً كتير ناس كبيرة في المقام بتبقى محتاجة ليا أكثر من حاجتى ليهم، إمكانياتى الاقتصادية اللى عندى بيها بيكون معاى كل إمكانيات وقدرات عضو واتنين وتلاتة وأربعة من أعضاء مجلس الشعب أو الشورى ولو كلفتهم بأى حاجة يعملوها لأنهم عارفنى كويس وأنا عارفهم وفيه بينا مجاملات وبعدين الفلوس هنا ممكن تجبلك أى واحد لو عاوزه في شغل أو استشارة أيا كان وهو ممكن يعملها ببلاش على أمل أن في المستقبل يبقى ليه طلب عندى يشترى حتة أرض منى أو شقة وفي اللحظة دى ممكن أخفضله من تمنها... ".

تقول الحالة رقم (٤) : " أى حد له اسمه في السوق هتلاقى أنه عنده علاقاته اللى بيكونها من خلال عمره في السوق، ولو هنحكى في القصة دى ممكن نحكى يوم كامل، وبعدين في حاجات مينفعش تتقال ويتحكى فيها .. هقول لحضرتك أنا عندى واحد أعرفه كويس وفيه صلة قرابة بيشتغل في منصب كبير في شركة من شركات المحمول ممكن يقول على معلومة اكسب من وراها كتير، مش كدة وبس انت شبكة علاقاتك دى هى بتساهم في بناء سمعتك،

الناس اللى بتعرفها كويس هتتكم عنك كويس وده مهم بالنسبة للتاجر في السوق وبره السوق، وبعد كدة فيه حاجة مهمة احنا في بلد صغيرة وكلنا عارفين بعض، وكل واحد معروف هو مين وابن مين وده في حد ذاته قوة، أنا ممكن أعمل شغل على سمعة ناس أقارب، والشغل ده يجيب فلوس...وبعدين دلوقتى مفيش حد ميعرفش ناس، دلوقتى أصحاب السلطة والنفوذ هم اللى بيجروا عليك علشان يعرفوك ..".

تقول الحالة رقم (٥) : " الناس بالناس، يعنى صعب أنك تعيش وتشتغل من غير ما يكون لك علاقاتك، شغل كتير بيجى من خلال علاقات أنت عارفها، خاصة لما المسئول يكون عارف الشركة دى اللى مقدمة العطا مين صاحبها .. كل المناصب اللى انت بتتكلم عليها موجودة عندنا في العيلة يعنى كلهم أقارب سواء أعضاء في المجلس أو ضباط أو أى حاجة من دول، وكتير بيبقوا مفيدين، وبعدين اللى متحتجش لوشه النهاردة يمكن تحتاج قفاه بكرة، ده مثل مهم في حكاية العلاقات اللى معاك .. دى طبيعة بلدنا كد ما تعرف ناس كد ما تبقى ماشى في كل مصالحك كويس، يعنى لو متعرفش حد وأنت رايح تطلع تصريح بالبنا أو أى حاجة خاصة بالأشغال بدل ما تاخد ساعة تاخد شهر ففي حاجات كتير تقابل الواحد بتكون العلاقة فيها مهمة علشان تتحل بسرعة .. والحاجات دى مفهاش تجاوز لا عندك ولا عند اللى بتعرفه... ".

توضح النصوص السابقة حال رأس المال الاجتماعي، والرصيد الذي استطاعت حالات الدراسة تكوينه من خلال حركتها في المجال الاقتصادي، وتعكس هذه العملية العديد من السمات الخاصة بهذا الرصيد، فهذا الرصيد الذي تم تكوينه لا يقتصر على مجرد علاقات اجتماعية داخل المجال الاقتصادي، بل هناك تنوع وامتداد لهذه العلاقات داخل المجالات الأخرى، كما تعكس النصوص أيضاً وبوضوح قوة هذه العلاقات، وقد يرجع ذلك إلى أن هذا الرصيد من رأس المال الاجتماعي يتم تكوينه على خلفية أرصدة حالات الدراسة من رأس المال الاقتصادي، وهذه الفكرة طرحها "بورديو"، حيث أشار إلى أن حجم رأس المال الاجتماعي الذي يمتلكه الشخص يعتمد على شبكة العلاقات التي يمكنه تعبئتها وحجم رأس المال الاقتصادي الذي يمتلكه الشخص بصفة خاصة[١٤].

ولدى حالات الدراسة رصيدٌ مرتفع من رأس المال الاقتصادي، وبالتالي ليس من الغريب أن ينجحوا في مراكمة رصيدٌ كبير من رأس المال الاجتماعي.

ورغم تعدد وتنوع شبكات العلاقات الاجتماعية لدى حالات الدراسة، وامتدادها لتطول كافة المجالات الأخرى، إلا أن جميعها تُعد مورد مهم بالنسبة لحالات الدراسة، ويتم الاعتماد

عليها لتحقيق مصالحهم خاصة تلك التي تُسهل لهم الفعل في المجال الاقتصادي، أي ذلك الفعل الذي ينتج عنه زيادة في رصيدهم من رأس المال الاقتصادي، فعلى سبيل المثال، طرحت حالات الدارسة مسألة الوصول إلى المعلومات عبر شبكات العلاقات الاجتماعية، وتُعد هذه المعلومات آلية مهمة في حركة إدارة العمل في المجال الاقتصادي، وتتوافر هذه المعلومات من خلال الأفراد الذين يشغلون مكانات اجتماعية عالية داخل المؤسسات الرسمية، أو من خلال الأفراد الذين قد لا يشغلون مكانات اجتماعية داخل المؤسسات الرسمية، إلا أنهم يشغلون مكانات داخل المجال العام، أو أن حركتهم داخل المجال العام تُوفر لهم إمكانية الوصول إلى معلومات يُمكن لأحد أفراد النُخْبة الاقتصادية أن يُثمنها بشكل جيد، ويستفيد منها اقتصادياً، وترتبط فكرة الاستفادة من المعلومات داخل المجال الاقتصادي بعدم شيوع هذه المعلومات وانتشارها، لأن ذلك الانتشار – على حد تعبير إحدى حالات الدراسة – يُقلل من حجم عوائد هذه المعلومات.

ولقد وردت فكرة حيازة المعلومات عبر أرصدة رأس المال الاجتماعي لدى العديد من العلماء منهم " نان لين، وبورتس، وكولمان "، وجوهر هذه الأطروحات هو التركيز على الموارد (المعلومات، والأفكار، وصور الدعم المختلفة) التي يحصل عليها الأفراد من خلال علاقاتهم بالآخرين، ولقد أكد هؤلاء العلماء على أن هذه الموارد تعد جماعية لأنه يتم الوصول إليها عبر الآخرين[١٥].

ويؤكد الباحث على فكرة مهمة تأكدت من خلال المعطيات الميدانية وهى أن هذه الموارد التي وصلت إليها حالات الدراسة جماعية الإنتاج، فردية الاستحواذ على الفائض. وبمعنى آخر أن الرصيد الذي تكون لدى حالات الدراسة من رأس المال الاجتماعي قائم على جماعية الإنتاج، وفردية الاستحواذ على الفائض، وذلك لأن أعلى مستوى من الفائض يتراكم لدى الاقتصادي، خاصة وأن حالات الدراسة على وعى بأن مثل هذه العلاقات وما يكمن فيها من موارد هي مكلفة، إلا أن الأهم أن تكون التكلفة دائماً أقل من العائد والأرباح.

ويمكن التأكيد على النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يرتبط بالمنافع والأرباح التي تعود على حالات النُخْبة الاقتصادية عبر رصيدهم من رأس المال الاجتماعي، من خلال الدراسة التي أجراها "محمود جاد" عن الطبقة العليا في إحدى مدن الصعيد، حيث أشار في نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك عدد من رجال الاستثمار العقاري في مدينة سوهاج يقومون بالاستناد إلى إمكانياتهم الاقتصادية الضخمة بتحصين أنفسهم اقتصادياً وسياسياً وقانونياً

وأمنياً من خلال إغرائهم واحتوائهم لكبار المسئولين الحكوميين العاملين فيها.

كما تبين أن هناك بعضاً من هؤلاء ممن يملكون عمارات سكنية في تلك المدينة، يقومون بتسكين بعض كبار المسئولين –أو أبناء هؤلاء المسئولين– في عماراتهم المذكورة مقابل عقود إيجارية منخفضة القيمة، ودون أن يتقاضوا من هؤلاء المستأجرين الأموال التي أصبح من المألوف تقاضيها في مثل هذه الأحوال، وأن هؤلاء المسئولين الحكوميين يتألفون من نوعيات مهنية متنوعة، وفي مثل هذه الحالة، لا يبخل أي ساكن من هؤلاء السكان عن مساعدة صاحب الملك فيما لو أنه احتاج منه أي خدمة، أو فيما لو أنه تعرض لأي مأزق[١٦]. وتحدث "بن خلدون" في هذه الفكرة، وأشار إلى أن صاحب المال يذهب إلى صاحب الجاه حاملاً أمواله وأعماله حتى يحظى برصيد من هذا الجاه يدفع عنه المضار ويجلب إليه المنافع[١٧].

ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية في المجال الاقتصادي :-

تُعد النُخْبوية لا شخصية، بمعنى أنها لا ترتبط بفردٍ ما، ولكنها نظام موجود ويُعاد إنتاجه كل يوم بشكلٍ أو بآخر، يدخل إليها الفرد، وقد يستمر فيها طوال حياته، وقد يتركها في أي مرحلة من مراحل عمره، ولهذا فإنها تتضمن استراتيجيات سواءٌ للدخول أو الخروج، ومن هذه الاستراتيجيات ما هو ظاهر، ومنها ما هو خفي، ولابد من بذل الجُهد من أجل التعرف على هذه الاستراتيجيات الخفية، والدراسة الراهنة تستهدف الوصول إلي تلك الاستراتيجيات التي من خلالها صنعت حالات الدراسة نُخْبويتها في المجال الاقتصادي، ذلك مع التأكيد على أن هذه الاستراتيجيات التي سوف يعرضها الباحث منها ما هو ظاهر، جاء بشكل مباشر من خطاب حالات الدراسة، ومنها ما هو خفي جاء بشكل غير مباشر من خطاب تلك الحالات، أو من خلال الحوارات التي جمعت الباحث مع الإخباريين الذين تم الاعتماد عليهم خلال هذه الدراسة، مع الأخذ في الاعتبار أن هناك استراتيجيات تم التعرض لها فيما سبق، حيث أن فاعلية رأس المال الاقتصادي وتبدلاته بصور متباينة لدى حالات الدراسة، يعد في حد ذاته إستراتيجية لدى هذه الحالات، استطاعت من خلالها دفع نُخْبويتها رأسياً.

(١) الوراثـــة :-

من خلال البيانات الإمبيريقية التي تم جمعها من حالات النُخْبة الاقتصادية، يُمكن التمييز ما بين اتجاهين متباينين فيما يتصل بالوراثة كاستراتيجية ساهمت في تحقيق المكانة الاقتصادية لحالات الدراسة، وذلك على النحو التالي :-

(أ) اتجاه قبول الميراث الوالدي وتجاوزه :-

هناك ثلاث حالات من حالات النُخْبة الاقتصادية، بدأت استثماراتها من خلال الأرصدة الموروثة من رأس المال الاقتصادي، سواءٌ كان ذلك عبر الأب، أو الأم، ويتضح ذلك من خلال مراجعة الأصول الاجتماعية والطبقات التي توافدت منها هذه الحالات، إلا أن القبول كان بداية لتجاوز هذا الميراث، من خلال أن هذه الحالات غيرت من مجالات الاستثمار، أو إضافة استثمارات جديدة لهذه الأرصدة الموروثة، ويُمكن عرض هذه النصوص لأصحاب هذه الحالات، وذلك كما يلي :-

تقول الحالة رقم (٣) : " اشتغلنا فترة طويلة مع الحاج، قبل ما يتعب ويرتاح في البيت، وطوال هذه الفترة كان بيتعامل معانا بشكل يعلمنا بيه، يعنى مكنش يدى صلاحيات لأى حد فينا إلا بعد وقت معين، وإحنا متفهمين لكدة كويس، ومحدش فينا بيقدر ياخد أى قرار كان في أى مجال من استثماراتنا إلا بعد ما كان يرجع للحاج، وقبل ما يسيب كل حاجة كان حريص على أن كل واحد من عياله يتخصص في مجال معين، واحد ماسك الأرض، واحد ماسك الزراعة ... إحنا ضفنا مجالات تانى زى المدرسة الخاصة اللى احنا هنفتحها قريب ... ".

تقول الحالة رقم (٤) : " أنا علشان ابدأ شغلى كان لازم ابدأ بشكل قوى وده دفعنى أنى أبيع جزء كبير من ميراثى من الأرض في البلد، ودى الفلوس اللى بدأت بيها، وخدت أول توكيل لشركة محمول، وعملت مجموعة فروع ومحلات في سوهاج، وبعد كدة عملت فروع في محافظات أخرى ".

تقول الحالة رقم (٥) : " أنا عندى ميراث كبير من الأراضى عن الوالد والوالدة، وفيها أراضى هنا كان في مناطق مهمة في مدينة سوهاج، منها اللى بعته، ومنها اللى عملت عليه أبراج سواء لوحدى أو مع شركا ... ".

وتؤكد الدراسة على أهمية هذا الرصيد الموروث من رأس المال الاقتصادي لدى حالات الدراسة، وأحياناً قد يمتد هذا الميراث إلى الاستفادة من شبكة علاقات الأب، وهذه النتيجة تأتى متفقة مع التراث النظري الذي يؤكد على أن إحدى مميزات رأس المال الاقتصادي كونه قابل للانتقال من جيل إلي آخر، وأيضاً قابليته للتحويل سواء من عقارات إلى أموال، أو العكس، بمعنى قدرته على السيولة[١٨].

(ب) اتجاه رفض الميراث الوالدي وتجاوزه :-

فرضت الأوضاع الاقتصادية المتدنية للأسر التي توافدت منها حالتين من حالات الدراسة،

رفض الميراث الوالدي، وذلك إما بسبب ضعفه، أو بسبب عدم وجوده من الأساس، ومع هذا نجح أصحاب هاتين الحالتين في خلق استراتيجيات دخولهما لعالم النُخْبة من خلال ما يلي:-

(١) الاستثمار المهنـي(*):-

ويعنى ذلك الاستثمار بالقدرات المهنية التي توافرت لدى إحدى هاتين الحالتين، من خلال موهبة فطرية، وصقل هذه الموهبة بالشكل الذي أتاح لها تحقيق أرصدة عالية من رأس المال الاقتصادي، خاصة في ظل ندرة مثال هذه المهنة في مدينة سوهاج، وفيما يلي النص التالي لحالة الدراسة المقصودة :

تقول الحالة رقم (١) : " أنا والدى مورثنيش الفلوس، لكن ورثنى مبادئ، زى إزاى أحب الناس وأكسبهم، عينات كتير عندنا في سوهاج ورثوا فلوس، النهاردة مش عايشين عيشتى وظروفهم في الحضيض، أبويا علمنى أن المهنة أو الحرفة في اليد أمان من الفقر ودى حقيقة على الأقل بالنسبة ليا ... أنا كان عندى استعداد للمجازفة لسة فاكر لما قدمت استقالتي، والدتى بكت بالدفوع وقعدت شهر زعلانة منى لأنى ضحيت بالوظيفة واشتغلت مصوراتى ...".

(٢) الحراك الأفقي :-

يتمثل ذلك في الهجرة إلى بعض البلاد العربية، تلك الهجرة التي كانت عامل رئيس في تكوين رأس المال الاقتصادي، والعودة به إلى الوطن، ومزاولة الأنشطة الاستثمارية التي حققت له التميز الاقتصادي، وظاهرة الهجرة إلى الدول العربية، منتشرة داخل المجتمع المصري، وتطول العديد من الأفراد داخل المجالات المختلفة، ولذلك كانت آلية من آليات الحراك الرأسي داخل البناء الطبقي في المجتمع المصري، وقد أسهب علماء الاجتماع في مصر في دراسة هذه الظاهرة وتداعياتها سواء على مستوى الحراك الرأسي للأفراد، أو على مستوى التحولات الثقافية التي تأتى نتيجة لهذه الهجرة، وفي هذا السياق يُشير "عبد الباسط عبد المعطى" إلى تزايد معدلات الهجرة منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي وحتى منتصف الثمانينيات إلى الدول العربية النفطية، تلك الهجرة التي أدت إلى تحولات طبقية كبيرة خاصة في الطبقة الوسطى المصرية(١٩).

وفي هذا السياق تقول الحالة رقم (٢) : " هاقولك أنا ليا مش أقل من ٢٠ سنة في البيرنس، بدأت بره في دول عربية، قعدت فيها حوالى عشر سنين اشتغلت فيهم كل حاجة، وعملت فلوس كويسة هناك، وبمجرد ما حسيت إن الفلوس اللى جمعتها كفاية لأنى أعمل مشروع كويس رجعت على سوهاج واشتغلت في الاتصالات، وده كان مجال لسة بشوكه هنا في

سوهاج، في ظرف سنة تغير الدنيا معاى... ".

(٢) رأس المال الجمعي .. محصلة تبدلات رأس المال الاقتصادي :-

تؤشر مجمل النتائج التي توصل إليها الباحث، على أن جميع حالات الدراسة من النُخْبة الاقتصادية، تتوفر لديهم أرصدة عالية من رأس المال الاقتصادي، بالإضافة إلى النجاح في تبديل بعض هذه الأرصدة إلى أشكالٍ أخرى من رأس المال، تمثلت في رأس المال الثقافي، ورأس المال الاجتماعي، وهذا كله يُدلل على أن لدى حالات الدراسة رصيد من رأس المال الجمعي، هذا الرصيد هو المسئول عن وصول حالات الدراسة لمكانة اقتصادية عالية داخل المجال الاقتصادي، وحضور مميز لهم داخل المجالات الأخرى، قد يقترب من مكانتهم في المجال الاقتصادي، أو يقل عنها قليلاً.

ويعمل هذا الرصيد من رأس المال الجمعي على وصول حالات الدراسة للعديد من الموارد المهمة في المجالات الأخرى، سواء كان هذا الوصول بشكل مباشر، أو بشكل غير مباشر عبر شبكات العلاقات الاجتماعية التي تزداد قوتها وقوة مواردها كلما زاد رصيد الفرد من رأس المال الجمعي، إضافة إلى بذله الوقت والجهد اللازمين لهذا الوصول وتكاليفه.

ولكن كيف يكون رأس المال الجمعي، وليس رأس المال الاقتصادي هو المسئول عن تشكيل نُخْبوية حالات الدراسة ؟

الإجابة عن هذا التساؤل تتطلب التأكيد على فكرة أن رأس المال الاقتصادي سواء تضمن الثروة فحسب أو الثروة والعلاقات الاقتصادية التي يُكونها الفرد في المجال الاقتصادي، لا يُؤدى إلى الوصول للموارد القيمة داخل المجالات الأخرى، وهذه الفكرة متضمنة في التراث السوسيولوجي، حيث يذهب "بارسونز" إلى أن المال لا يتضمن منفعة جوهرية في حد ذاته، لكنه يحتوى على قيمة فقط بقدر قبوله وإدراكه كشكل من أشكال التبادل[٢٠]، وعلى هذا فإن دخول رصيد كل حالة من حالات الدراسة من رأس المال الاقتصادي كمكون من مكونات رأس المال الجمعي، يخلع على هذا الرصيد القبول الاجتماعي في المجالات الأخرى، إضافةً إلى رصيد من القوة يستمده من الأشكال الأخرى من رأس المال، التي تتداخل معه في تكوين رأس المال الجمعي، كما أن تلك الأشكال المختلفة من رأس المال، والتي تدخل في تكوين رأس المال الجمعي لا تبق على هيئتها وهى تعمل منفردة، بل تأخذ شكلٌ آخر تُسيطر عليه القوة الرمزية التي تُمكنها من تحقيق مصالح الذي يُسيطر على هذا الرصيد المحوري.

(٣) عائليـة الاستثمار :-

تُجسد معظم حالات الدراسة اتجاه نحو السيطرة على الاستثمار الاقتصادي والأنشطة المرتبطة به بشكلٍ عائلي، سواء اقتصرت هذه السيطرة على أفراد الأسرة الواحدة، أو امتدت لتطول علاقات قرابية أخرى كالأعمام، أو الأصهار، وتُعد السيطرة العائلية على الاستثمار الاقتصادي لدى معظم حالات الدراسة إستراتيجية مهمة في زيادة الفائض الاقتصادي، وبالتالي مراكمة أرصدة عالية من رأس المال الاقتصادي. وفيما يلي بعض النصوص التي توضح ذلك :

تقول الحالة رقم (١) : " بنتى الكبيرة اتخرجت من فنون جميلة وبتشتغل معايا، ولحسن الحظ زميل ليها حط عينه عليها وهى في الكلية واتقدم لها وخطبها واتجوزها وهو دلوقتى بيشتغل معايا، وده مكانش مقصود، لكن كويس ده كان في صالح الشغل لأنى أنا لما بشغل عندى فنى بأجرته غير لما بيشتغل معايا أولادى وأزواجهم مثلاً هما أصحاب المكان وده يخليهم يراعوا الشغل أكتر ويبدعوا أكتر، وبنتى الصغيرة تشاء الظروف أنها تتجوز مهندس ديكور وعنده حب للتصوير، وهو بالذات أنا قولت له أنت بتشتغل مهندس ديكور وأنا عاوزك معايا، من الآخر بناتى جابولى رجالة وكلهم شغالين وإضافة قوية للشغل عندى".

تقول الحالة رقم (٢) : " أنا وأخواتى اللى ماسكين الشغل، مفيش حد غريب معانا، أنا ماسك الأرض والعقارات والبناء، ومعاى أخويا الأكبر ماسك الفندق، ومعايا أخويا مهندس في أمريكا وهو باستشاراته معانا في الشغل، ومعايا أخويا محامى هو المسئول عن الأمور القانونية الخاصة بالشغل بتاعنا، وأصغر واحد فينا واخد كلية نظم معلومات وهو المسئول عن المدرسة الخاصة إن شاء الله ... فيه محلات لبيع لوازم البناء والتشطيب ودى شغال فيها عمامى وولاد عمامى ".

تقول الحالة رقم (٤) : " إحنا تلات إخوات، أنا وأخويا الأصغر اللى مسئولين عن الشغل، ومفيش شركاء معانا ".

وميل الطبقة الرأسمالية إلى عائلية الاستثمار، يتجسد في المجتمع المصري بشكلٍ عام، وهو ليس وليد الظروف الراهنة، ولكنه سمة تاريخية لهذه الطبقة بمختلف شرائحها[٢١].

(٤) استراتيجيات الممارسة في المجال الاقتصادي :-

أشارت حالات الدراسة إلى عددٍ من الاستراتيجيات المهمة، والتي دعمت وصولهم إلى المكانة الاقتصادية، وترى الدراسة الراهنة أن هذه الاستراتيجيات هي عبارة عن ضروب من

السلوك والتفاعل، اعتمدت عليها حالات الدراسة أثناء حركتها داخل المجال الاقتصادي.

ويمكن النظر إلى هذه الاستراتيجيات من خلال مفهوم المعرفة المتبادلة " Mutual Knowledge " كما يطرحه "جيدنز" ويعنى به ضروب المعرفة المشتركة التي تُمكن الأفراد من اختيار أسلوب الأداء الملائم، وإدراك طبيعة هذا الأداء وسماته[٢٢].

وتمثلت هذه المعرفة المتبادلة لدى حالات الدراسة في معرفة القواعد التي تحكم المجال الاقتصادي، واكتساب المهارة الخاصة بالأداء داخل هذا المجال، ومتطلبات هذه المهارة، وعلى هذا جاء الفعل والأداء الاقتصادي لدى حالات الدراسة يتضمن المُكنة[*] Capability والتي تعنى القدرة على الاختلاف، أي أن كل فرد من حالات الدراسة استطاع أن يسير في المجال الاقتصادي بشكلٍ مختلف، وكانت لديه القدرة على تنويع سلوكه حسبما يشاء، وهذا من شأنه أن يدفع الفرد نحو تحقيق المكانة الاقتصادية، وترافقت القدرة على الاختلاف لدى حالات الدراسة مع مكون المعرفة، وتتكون هذه الأخيرة من كل الأشياء التي يعرفها كل فرد من حالات الدراسة عن المجال الاقتصادي ومساراته ومستقبله، والموارد القوية فيه، وكيفية الوصول إليها وحيازتها، بما يعمل في النهاية على تحقيق فائض اقتصادي، وبالتالي زيادة رأس المال الاقتصادي لدى كل حالة من الحالات، ومن هذه الاستراتيجيات ما يلي :-

١- القدرة على إدراك قواعد المجال الاقتصادي، وقراءتها جيداً بما يحقق الوصول إلى الموارد التي يمكن من خلالها تحقيق فائض اقتصادي، مثال ذلك: معرفة السلع الضرورية، وتحديد أنواع الاستثمار الرابحة على ضوء خصائص المجال الاقتصادي.

٢- التنظيم والتخطيط، من الآليات المهمة لنجاح حركة الفرد داخل المجال الاقتصادي، خاصة وأنه مجال تتضاعف فيه أحياناً نسب المجازفة، كما أنه لا يخلو من أشكال التنافس والصراع على الموارد القيمة فيه.

٣- الاهتمام ببناء الثقة مع كل مكونات المجال الاقتصادي، والحرص على الوصول إلى السمعة الطيبة، خاصة وأن كلٌ من الثقة والسمعة، لهما مردودات لا تقف عند حدود المجال الاقتصادي، بل يتم تداولهما ونقلهما من المجال الاقتصادي إلى المجالات الأخرى عبر شبكات العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، وهذا من شأنه يُعظم العوائد والأرباح بما يتجاوز العائد الاقتصادي.

(*) عرف «جيدنز» الفعل من خلال مكونين هما : المُكنة، وتملك المعرفة..لمزيد من التفاصيل انظر: - المرجع السابق، ص ٧٣.

ويمكن تأكيد النتائج السابقة من خلال النصوص التالية لعدد من حالات الدراسة :

تقول الحالة رقم (١) : " مرة كانوا بيكرمونى في سوهاج، فالصحفي قدمنى بجملة وعبارة هزتنى وهى أننى قد أصبحت صديق للعائلة السوهاجية، حسيت إنى قدرت أحقق هدفي اللى كنت بتمناه وهو إنى الناس تثق في وفي شغلى، الثقة دى حاجة كبيرة جاية من خلال اهتمام بالشغل، وإصرار على الرقى بالجمهور اللى بتتعامل معاه حسب ظروفه الاقتصادية .. أنت هنا بتكسب ثقة الناس العالية وكمان الناس البسيطة .. يعنى حتى البنات اللى بيتعاملوا مع الجمهور عندى بكون مهتم بيهم لأنهم عنوان للاستديوهات والمعامل، وبزرع فيهم أن العميل عندى أهم حاجة حتى لو خسرت فلوس مقابل أنه يستمر واثق في شغلنا، يعنى لو الصورة أو التحميض كان فيهم مشكلة عادى تتصلح دون أى مقابل ... ".

تقول الحالة رقم (٢) : " فيه حاجات مهمة لازم نحافظ عليها، لازم يكون أدائك متميز، عندك نظام، تركز في أنك تبنى اسم، حريص على أنى مخسرش المصداقية مع العملاء، وداخل السوق، عندى نظام معين علشان أتابع السوق وجودة الأداء في محلاتى، وعند المناديب اللى بيشتغلوا معاى، لازم من تقارير يومية عن حركة السلع اللى بشتغل فيها، لازم تعرف المجال اللى بتشتغل فيه رايح فين، أنا بعمل كدة من خلال ده كله، أنا مثلاً ممكن أخزن جهاز معين بما يعادل مليون جنيه، ليه لأنى عارف أنه هيطلع ويكسب، منين عرفت، من السوق نفسه، أنا مش داخل البيزنس كدة بالبركة ... ".

تقول الحالة رقم (٣) : " إحنا مش مشيين سبهللة، لا عندى حاجات كتير تحكمنا، أنا هقولك أنا عندى معلومات مثلاً عن الأراضى اللى ممكن تباع وتشترى في سوهاج خلال العشر سنين اللى جاية، ده منين، من أنك مركز في اللى بتشتغله، أنا ببيع واشترى ولو سمعتى وحشة أو عليها أية ملاحظة لا حد هيبعلى ولا يشترى منى .. النجاح هنا بقدر سمعتك ايه عند الناس .. ".

تقول الحالة رقم (٤) : " أنا قبل ما أدخل في توكيل معين، كان لازم أحدد هل هينجح في سوهاج ولا لأ، وهنا كنت محتاج أعرف السوق عندى والناس رايحة فين، محتاجة اية، في ناس كتير خدت توكيلات وبعد سنة خسرت وقفلت ومشيت رغم أن السلعة دى ناجحة في مصر كلها، لكن تعلمنا إن ده مش شرط، لأن كل مكان وليه احتياجاته .. ".

التعقيب :

عرض الباحث من خلال هذا الفصل البيانات الميدانية التى تم جمعها من حالات الدراسة داخل المجال الاقتصادى بمدينة سوهاج، وقد بلغ عددها خمس حالات.

وكشفت هذه البيانات عن سمة مميزة لدى حالات الدراسة وهى التباين وعدم التجانس، سواء كان ذلك على مستوى الأصول الاجتماعية لهذه الحالات، أو على مستوى رصيدها من رأس المال الثقافى، أو على مستوى الأرصدة الموروثة من أشكال المال المختلفة، أو على مستوى ممارستها الاقتصادية.

وقد ترجع هذه السمة إلى التطور غير المتساوق للبناء الاجتماعى، حيث أن لكل مرحلة من مراحل تحول البناء الاجتماعى وتطور نُخْبتها الخاصة بها، وعلى هذا لم يعد هناك رافد رئيسي للنخبة بقدر ما هناك روافد متعددة.

وترتبط هذه السمة أيضاً بطبيعة المجال الاقتصادى بشكل عام ورأس المال الاقتصادى بشكل خاص، حيث أن المجال الاقتصادى يعد مجالاً مفتوحاً، تحكمه قواعد الحرية فى الممارسة، لذلك ليس هناك قيوداً على أحد إذا أراد دخول هذا المجال، طالما يمتلك – ولو قدراً بسيطاً – ميكانزمات الحركة داخله.

يضاف لما سبق أن طبيعة رأس المال الاقتصادى تسهل على الأفراد عملية تحقيق التميز داخل المجال الاقتصادى، وتتمثل هذه الطبيعة فى قدرته على التبدل والسيولة.

وأكدت البيانات أيضاً على أن حالات الدراسة لم تعتمد على رصيدها من رأس المال الاقتصادى فى تحقيق نُخْبويتها، بل اعتمدت على أشكال رأس المال الأخرى، مثال رأس المال البشرى الذي يتمثل في مهارات الفرد وقدراته، ورأس المال الاجتماعى الذي يتمثل في شبكات العلاقات الاجتماعية سواء كانت داخل المجال الاقتصادى أو خارجه عبر المجالات الأخرى.

ولا يقلل هذا من فاعلية رأس المال الاقتصادى، لأن تلك الأرصدة الأخرى من رأس المال والتي اعتمدت عليها حالات الدراسة فى صناعة نُخْبويتها، قد يكون أساسها رصيد الفرد من رأس المال الاقتصادى.

وقد كشفت الدراسة عن عدد من الإستراتيجيات المهمة في تحقيق النخبوية لدى حالات الدراسة، منها إستراتيجية اعتمدت على قوة رأس المال الاقتصادى وقابليته للتحويل إلى أشكال أخرى من رأس المال، تمثلت لدى حالات الدراسة فى رأس المال الثقافى، ورأس المال الاجتماعى، ومجموع هذه الأشكال يطلق عليه الباحث رصيد الحالة من رأس المال الجمعي.

يضاف إلى ذلك استراتيجيات أخرى اعتمدت عليها بعض الحالات منها الوراثة، حيث بدأت هذه الحالات حركتها داخل المجال الاقتصادى من خلال رصيدها من رأس المال الاقتصادى الموروث من خلال أسرة النشأة.

وبالنسبة للحالات التى لم يتوافر لديها هذا الرصيد من رأس المال الاقتصادى الموروث، اعتمدت على استراتيجيات أخرى، منها الاستثمار المهني، والحراك الأفقي.

وإضافة إلى ما سبق هناك استراتيجيات الممارسة فى المجال الاقتصادى، وهى عبارة عن ضروب من السلوك والتفاعل، اعتمدت عليها حالات الدراسة فى سياق حركتها داخل المجال الاقتصادى، وأضافت هذه الاستراتيجيات إلى حالات الدراسة الكثير من القوة والقدرة على تحقيق النجاح.

هوامش الفصل الرابع

(1) Bordieu, Distinction: A Social Critique of Judgment of Taste, Translated By Richard Nice, Routledge, London, 1984, P. 107.

(2) Ghada, F. Barssoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Cairo Papers in Social Science, Vol. 25, No. 3, The American University, Cairo, 2002, P. 16.

(٣) محمود عبد الفضيل، نواقيس الإنذار المبكر، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٦.

(٤) سعيد المصري، ثقافة الاستهلاك في المجتمع المصري، سلسلة قضايا، العدد (١٩)، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، يوليو ٢٠٠٦م، ص ٤٥.

(٥) انظر في ذلك :

- عبد الباسط عبد المعطى، الطبقات الاجتماعية ومستقبل مصر، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٦٦.

- محمود جاد، الطبقة العليا في إحدى مدن الصعيد، دار الفكر الحديث، القاهرة،١٩٩٢م، ص١٠١.

(٦) انظر في ذلك الفصل الثاني، ص ٦٠.

(٧) انظر في ذلك الفصل الثالث، ص ١٠٦.

(٨) رؤية «بارسونز» حول الاقتصاد ، يمكن مراجعتها في :

- جى روشيه، علم الاجتماع الأمريكي، مرجع سابق، ص ١٣٣.

(٩) عبد الحليم سمعان، المال والتحليل النفسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٩م، ص ١٩٥.

(10) Edgar F. Borgatta. Rhonda J.V Montgomery. Encyclopedia of Sociology. Op. Cit.. P. 2637.

(١١) أحمد زايد، المرأة وعالم النقود ... فضاء للعيش أم فضاء للقوة، تجمع الباحثات اللبنانيات، النساء والمال في لبنان والعالم العربي، بيروت، ٢٦-٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨م، ص ٣٣.

(١٢) يميز «بورديو» في سياق حديثه عن تبدلات أشكال رأس المال ما بين الحراك الرأسي، والحراك الأفقي، والحراك الرأسي هو الحراك لأعلى أو لأسفل في نفس المجال، مثال (الانتقال من معلم إلى أستاذ جامعي، أو من رجل أعمال صغير إلى رجل أعمال كبير)،

أما الحراك الأفقي، هو الحراك من مجال لآخر، والذي يمكن أن يحدث بشكل أفقي أي في نفس المستوى، أو يتم رأسياً مثال ذلك (معلم أو ابنه يمكن أن يصبح بائع في متجر، أو بائع صغير أو ابنه يصبح من رجال الصناعة)، انظر في ذلك :

- Bordieu, Distinction, Op. Cit., P. 131.

(13) Brian Roberts, Micro Social Theory, Palgrave Macmillan, New York, 2006, P.114.

(14) Bourdieu, The Forms of Capital, Op. Cit., P. 249.

(١٥) انظر في ذلك :

- James Colman, Foundations of Social Theory, Op. Cit., P. 302.
- James Colman, Social Capital in the Creation of Human Capital, Op. Cit., PP. 102- N104.
- Portes, Social Capital : Its Origins and Applications in Modern Sociology, Op. Cit., P. 5.

- الدراسة الراهنة، الفصل الثالث، ص ص ١١٠- ١١٥.

(١٦) محمود جاد، الطبقة العليا في إحدى مدن الصعيد، مرجع سابق، ص ٨٦.

(١٧) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، دون سنة نشر، ص ٤٣٢.

(١٨) انظر في ذلك :

- Alexander Lellatchitch, and others, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective Op. Cit., P. 5.
- Natalia Dinello, Forms of Capital : The Case of Russian Bankers , Op. Cit., P. 293.
- Paul W. Kingston, the Unfilled Promise of Cultural Capital Theory, Op. Cit., P. 97.

(*) هناك من الباحثين من تناول رأس المال المهني Career Capital وأشار إلى أنه شكل من أشكال رأس المال يرتبط بالمجال المهني، ويتم الوصول إليه عبر استثمار الأنواع المختلفة من رأس المال في النشاط المهني. انظر في ذلك :

- Alexander Lellatchitch, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective Op. Cit., P. 5.

(١٩) عبد الباسط عبد المعطى، الطبقة الوسطى المصرية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ص ٨٢.

انظر أيضاً :

- أحمد زايد وآخرين، رأس المال الاجتماعى لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(20) Anthony Giddens, Politics, Sociology and Social Theory, Stanford University Press, Stanford, 1995, P. 200.

(٢١) سامية سعيد، من يملك مصر، ص ٢٢٦.

(٢٢) أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٧١.

(*) عرف «جيدنز» الفعل من خلال مكونين هما : المُكنة، وتملك المعرفة..لمزيد من التفاصيل انظر: - المرجع السابق، ص ٧٣.

الفصل الخامس

رأس المال الثقافي وتشكيل النُخْبة الثقافية

- تمهيد.
- أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية.
  - ١ - أسرة النشأة ... الأصول والخصائص.
  - ٢ - أسرة النشأة ورأس المال الثقافى الموروث.
  - ٣- الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الثقافية
- ثانياً : تشكيل النُخْبة الثقافية.
  - ١ - فاعلية رأس المال الثقافى.
  - ٢ - تبدلات رأس المال الثقافى ومردوداتها.
    - أ - رأس المال الاقتصادى.
    - ب- رأس المال الاجتماعى.
    - جـ- رأس المال الثقافى الرمزي.
    - د - مردودات رأس المال الثقافى ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.
- ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الثقافى.
  - ١ - الوراثـــة.
  - ٢ - الاستثمار الثقافى وممارساته.
    - أ - الحراك الأفقي.
    - ب- تنمية رأس المال الثقافى وتحديثه.
  - ٣ - رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الثقافى.
- التعقيب

تمهيـد :

يعرض الباحث في هذا الفصل دور رأس المال الثقافي فى تشكيل النُخْبة الثقافية داخل المجال الثقافي لمدينة سوهاج، وذلك من خلال المقابلات التى أجراها الباحث مع خمس حالات من المجال الثقافي.

ويكشف هذا الفصل عن تجانس واضح بين حالات النُخْبة الثقافية سواء على مستوى النشأة أو الطريقة التى تشكلت بها النُخْبوية داخل المجال الثقافى، ويُعد ذلك اختلاف واضح عن حالات النُخْبة فى المجال الاقتصادى.

ويتضمن هذا الفصل فى البداية عرضاً لظروف نشأة حالات الدراسة، وأهم سمات الأسر التى توافدت منها هذه الحالات، مع الإشارة إلى الرصيد الموروث من رأس المال الثقافي، الذي توافر من خلال هذه الأسر، وذلك لأهمية هذا الرصيد، الذى يعمل كنواة لرصيد حالات الدراسة داخل المجال الثقافي، ويختتم هذا الجزء بعرضٍ لأهم الخصائص الاجتماعية (الحالة العمرية، الحالة التعليمية، الحالة الاجتماعية) لحالات الدراسة.

ثم يعرض الباحث متغيرات تشكيل النُخْبة الثقافية، وذلك من خلال التعرض أولاً: لمدى فاعلية رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، ثانياً: الكشف عن أهم صور تبدلات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، ويختتم هذا الجزء بثالثاً: التى من خلالها يعرض الباحث أهم مردودات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، والتى تتمثل فى إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.

ثم ينتقل الفصل لعرض أهم الاستراتيجيات – التى كشفت عنها نصوص حالات الدراسة- التى اعتمدت عليها حالات الدراسة فى تحقيق تميزها ونُخْبويتها داخل المجال الثقافي، ويختتم هذا الفصل بالتعقيب العام.

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية :-

تُقدم الدراسة الراهنة هنا، وصف للأصول الاجتماعية والطبقية التى توافدت منها حالات النُخْبة الثقافية في مدينة سوهاج وخصائصها الاجتماعية، وذلك بالاستناد على البيانات الإمبيريقية التى تم جمعها من خلال المقابلات التى تم إجراؤها مع حالات الدراسة، وذلك على النحو التالي:

(١) أسرة النشأة ... الأصول والخصائص :-

تكشف البيانات الإمبيريقية عن أن معظم حالات النُخْبة الثقافية، توافدت من أسر تنتمي

إلى الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، وأن هناك حالة واحدة فقط تنتمي إلى أسرة من طبقة كبار الملاك الزراعيين، والذين خضعوا للحراسة فيما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال النصوص التالية لحالات الدراسة :

تقول الحالة رقم (٦) : " كان أبويا تاجر وصاحب أطيان زراعية، ويجيد القراءة والكتابة، ويتميز بخط جميل وواضح، وكان بيكتب جوابات كل الناس فى القرية اللى عايشين فيها، وده أعطاه مكانة كويسة بين أهل القرية ".

تقول الحالة رقم (٧) : " أسرتنا أسرة بسيطة متوسطة، وكان والدى متعلم، ويحب الشعر، وكان جدى شيخ أزهرى من تلامذة الشيخ أحمد أبو النور، والدكتور محمود عمارة، وإحنا كنا عايشين فى بيت جدى بيت العيلة يعنى ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا من مواليد ١٩٥٠، ولدت فى إحدى قرى سوهاج، كانت قرية صغيرة وحياة جافة وصعبة، وأبويا كان شيخ البلد، من بعد جدى، لكن حياتنا

كانت متوسطة، وأبويا رفض التعليم خالص، رغم أن جدى كان حابب يعلم أولاده ".

تقول الحالة رقم (٩): "أنا نشأت فى قرية لم يكن بها فى ذلك الوقت، لا مياه نقية ولا كهرباء، ولا حتى تليفزيون أو راديو، الوالد كان شيخ من شيوخ الأزهر الذين انقطعوا عن استكمال الدراسة لظروف خاصة،واشتغل إمام وخطيب مسجد وقارئ قرآن".

تقول الحالة رقم (١٠) : " لقد ولدت كما تقول شهادة ميلادي فى ديسمبر ١٩٤٥، وعائلتي معظمها على قدر من التعليم، وقد كانت أسرة لها ملكيات زراعية كبيرة جداً، ورغم أن آبائي وأجدادي يعملون بالزراعة إلا أن الزراعة لم تكن مصدر رزقهم الوحيد، فقد كانوا يمارسون نوعاً غريباً من التجارة، يتمثل فى استئجار مساحات ضخمة من الأراضي الزراعية بسعر الجملة من ملاكها الخواجات غير المقيمين، لكي يقوموا بتجزئتها وتأجيرها إلى صغار المستأجرين بسعر القطاعي، وكان الفارق فى السعرين كافياً لكي يشترى في كل عام عشرات الأفدنة من أرض الخواجات ".

(٢) أسرة النشأة ورأس المال الثقافي الموروث :-

توافر لدى معظم حالات الدراسة رصيد من رأس المال الثقافي الموروث من خلال أسرة النشأة وعلاقتها بالثقافة، ومما لا شك فيه أن هذا الرصيد الموروث من رأس المال الثقافي يعد النواة الأولى للرصيد الذى تراكم لدى حالات الدراسة فيما بعد، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية لعدد من الحالات :

تقول الحالة رقم (٦) : " كان معاى عمى، بيشتغل ناظر مدرسة، وكان يشجعنا على التعليم ويراجع معانا الدروس، وكان له دور كبير فى إننا نكون كويسين فى التعليم، وكان معاى أخويا الأكبر متفوق فى الدراسة، وكان بالنسبة لى قدوة فى الجامعة، خاصة وأنه تم تعيينه معيد ".

تقول الحالة رقم (٧) : " إحنا كنا عايشين فى بيت جدى، وكان عنده مكتبة، أكبر مكتبة فى البلد، وكنت أشوف ستى لما تيجى لها الناس ويستعيروا كتب من المكتبة دى، وكان مفتاح المكتبة دى بعد ما جدى توفى متدهوش لحد أبداً غيرى أنا، واتعلمت فى المكتبة دى القراءة واتعودت عليها، أنا قريت فيها ألف ليلة وليلة وأنا صغير جداً،والوالد كان بيحب الشعر وعلمنى وحببنى فى أنى أحفظه".

تقول الحالة رقم (٩) : " عائلتى كلها أهل دين وفتوى، ونشأت فى بيت فيه الكتب، وبين الكتب نشأت، ومفيش أية وسائل إعلام تانية نهائياً، النشئة دى جعلتنى أتعلم القراءة مبكراً، قبل المدرسة، وحفظت معظم القرآن قبل المدرسة لأن الجو المحيط كله كان مهتم بالعلم والثقافة ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : "حين التحقت بمدرسة البدارى وأنا دون الخامسة بقليل، كنت قادراً على قراءة الكلمات المكتوبة فى الكتاب التعليمى الشهير الذى درسته ودرسه جيلى وهو كتاب " وزن ... أخذ "، والفضل فى ذلك إلى والدتى التى بدأت تعليمى بنفسها مبادئ القراءة فى سن مبكرة، والتى غرست فى نفسي عادة القراءة، حيث كانت تهرع بمجرد فراغها من أعمال المنزل إلى كتب السيرة النبوية أو إلى المصحف الشريف ... وفرضت على ظروف الثأر فى قريتى ألا أخرج بعد عودتى من المدرسة إلى الشارع، ولم يكن أمامى من ملاذ إلا القراءة، ولحسن الحظ شغفت بها شغفاً شديداً ولهذا أقبلت على المكتبة العامرة فى بيتنا، وكان جزء منها من آثار جدى لأمى، فى حين كان جزء آخر منها من مقتنيات أبى، أما الجزء الثالث فقد كان من مقتنيات أخى الأكبر الذى هاجر إلى البرازيل وأصبح أستاذاً شهيراً لعلوم الوراثة فى جامعتها"

ويُفضى تأمُل النصوص السابقة إلى التأكيد على العلاقة ما بين رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة وبين أصولهم الأسرية، حيث توافرت لدى أسرة النشأة أرصدة متباينة من رأس المال الثقافي، لعبت دوراً في تدعيم التحصيل الدراسي لديهم، وتدعم نتائج العديد من الدراسات هذه النتيجة، ومُجمل هذه الدراسات اهتمت برصيد الأسرة من رأس المال الثقافي

وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى الأبناء[١]. وتتفق هذه النتيجة مع ما يذهب إليه كل من "بورديو" و "باسيرون" ومؤداه أن تكوين رأس المال الثقافي يكون عبارة عن عمليات تراكمية تبدأ منذ الطفولة[٢].

وعلى خلاف ما سبق، أكد أحد الباحثين على أن رأس المال الثقافي لدى الأسرة لا يُحدد بمفرده رصيد الأبناء من رأس المال الثقافي، بل أن نجاح الأطفال فى التعليم وتكوين رأس المال الثقافي يرتبط بكل من رأس المال الاقتصادى ورأس المال الثقافي الذي في حيازة الأسرة، فمن خلال رأس المال الاقتصادى يستطيع الآباء أن يدفعوا أبنائهم نحو تحسين قدراتهم المدرسية وتنمية طموحاتهم الدراسية، وإلحاقهم بالمدارس الجيدة، التى تُمكنهم من تنمية قدراتهم، وتزويدهم بالفاعلية المطلوبة لإنجاز أهدافهم الدراسية[٣].

(٣) الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الثقافية :-

(أ) الحالة العمريـة :-

توضح البيانات الميدانية ارتفاع أعمار حالات الدراسة، ولعل هذا يرتبط بأن عملية تكوين رأس المال الثقافي ومراكمته تحتاج لبذل كثير من الوقت والجهد داخل أي سياق اجتماعي، خاصة وأن رصيد الفرد من رأس المال الثقافي –على حد قول أحد الباحثين- هو النتيجة التراكمية للجهد التعليمي والثقافي الذي يقوم به الفاعل[٤].

(ب) الحالة التعليميـة :-

توضح البيانات الميدانية فيما يتصل بالحالة التعليمية، حصول جميع حالات الدراسة على درجة الدكتوراه فى التخصصات المختلفة، وليس هذا بغريب على حالات الدراسة، من منطلق أنهم نُخْبة المجال الثقافي في مدينة سوهاج، والأكثر من ذلك أن هناك الحالة (٩) حصلت على درجتي للماجستير، ودرجتين للدكتوراه من كليتي التربية والآداب، وهناك الحالة (١٠) حصلت على بكالوريوس الاقتصاد من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وعلى ليسانس الآداب فى الفلسفة، وأخيراً ليسانس الحقوق، وقد تساعد هذه الأرصدة المرتفعة من رأس المال الثقافي المتمثل في الشهادات الأكاديمية على الوصول إلى تحليلات وتفسيرات عميقة لدور رأس المال الثقافي في تشكيل النُخْبة الثقافية.

(جـ) الحالة الاجتماعية :-

توضح البيانات الميدانية أن جميع حالات الدراسة داخل المجال الثقافي من المتزوجين، ويأتي ذلك متناسباً مع الحالة العمرية المرتفعة لدى حالات الدراسة، إضافة إلى أن الزواج

وإن لم يكن مطلب شخصي، فهو ضرورة تفرضها العادات والتقاليد الاجتماعية التى يعيش فى ظلها الفاعل الاجتماعى.

(د) النُخْبة الثقافية ... الأنشطة الرئيسة والمُضافة :-

تُحاول الدراسة من خلال هذا الجزء إلقاء مزيد من الضوء على الأنشطة التى تقوم بها حالات النُخْبة الثقافية، ولقد ميز الباحث فى هذا السياق ما بين الأنشطة الرئيسة، والأنشطة المُضافة.

وتُشير الأنشطة الرئيسة إلى تلك الأنشطة المرتبطة بالمكانات الرسمية التى شغلتها حالات الدراسة داخل المجال المؤسسي الذي يلتحقون به، وفى هذا تُوضح البيانات الإمبيريقية تعدد المكانات التى شغلتها حالات الدراسة بدايةً من أستاذ ورئيس قسم، نهايةً إلى رئيس جامعة، والوصول لمثل هذه المكانات يحتاج إلى العديد من المقومات لعل أهمها تكوين رصيدٌ كبير من رأس المال الثقافي.

وتُشير الأنشطة المُضافة إلى مُجمل الأنشطة الثقافية التى تتم خارج المؤسسة التى تعمل بها حالات الدراسة، وترتبط بقدرات إبداعية ومواهب أدبية معينة، ولقد توافرت هذه الأنشطة لدى حالتين من حالات النُخْبة الثقافية وهما الحالة (٩)، والحالة (١٠)، وتتضمن هذه الأنشطة احتراف الشعر، والنقد الأدبي، والنقد السياسي عبر مقالات فى الصحف المختلفة، ومثال هذه الأنشطة المضافة تمنح صاحبها رصيد من رأس المال الثقافي الرمزي، وهذا المفهوم تم استخدامه فى إحدى الدراسات للتفرقة ما بين نُخَب المجال الثقافي[٥].

ثانياً : تشكيل النُخْبة الثقافية :-

وتُوضح البيانات السابقة حول الخصائص الاجتماعية لحالات الدراسة فى المجال الثقافي، نجاح أصحاب هذه الحالات فى الوصول إلى أعلى الشهادات الأكاديمية فى المجال التعليمي، ووصول هؤلاء الأفراد إلى عددٍ من المكانات المرتفعة داخل هذا المجال، إلا أن تحقيق ذلك تتطلب منهم بذل الكثير من الوقت والجهد، وتنفيذ العديد من الاستراتيجيات التى لم تكن بالسهولة المُتوقعة، بمعنى أن حالات الدراسة تُقر بفاعلية رأس المال الثقافي في وصولهم للتميز، إلا أن هناك مجموعة من الكوابح البنائية التى اعترضت هذا الوصول، وحدت من فاعلية رأس المال الثقافي، وهذا من شأنه أن يُؤدى إلى مُضاعفة الجهد المبذول والوقت المطلوب، وأن يُقلل من العوائد والمردودات المرتبطة بأرصدتهم من رأس المال الثقافي.

ويُمكن للدراسة الراهنة توضيح النتيجة السابقة من خلال تناول العناصر التالية، والتى تدعمها نصوص حالات الدراسة.

(١) فاعلية رأس المال الثقافي :-

تؤشر البيانات الميدانية، على أهمية رأس المال الثقافي وفاعليته، إلا أن تحقيق هذه الفاعلية يتطلب بذل الوقت والجهد، وكلاهما بالنسبة لحالات النُخْبة الثقافية صعب، نظراً لأن كل فرد من حالات الدراسة كان فى حاجة إلى وقتٍ وجهد من أجل تحقيق رصيده من رأس المال الثقافي، ويمكن توضيح ذلك من خلال تأمل النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (٦) : " أنا قدرت أوفر أشياء كتير مفيدة من خلال مؤهلاتى التعليمية، رصيدى من التعليم وفر لى وظيفة مرموقة، هذا الرصيد جعلنى أكون شاطر فى إدارة حياتى، وأتصرف بحكمة، وأمدنى بمساحة وعى كبيرة كانت مفيدة لى فى الحياة، لكن كل الأشياء السابقة لم تكن سهلة وميسرة، كان فيه بطئ كبير، ومجهود ضخم علشان تقدر تكون كويس... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " رأس المال الثقافي حاجة كويسة، وده إنجاز لأى حد يوصل له، لكن علشان تستفيد منه وتقدر تجسده فى أشياء مفيدة لك فى المجتمع مسألة ليست هينة، أنا هقولك على حاجتين، علشان توصل لمنصب ما مرتبط بمهنتك فى المجال الثقافي، محتاج تراضى ناس كتير وبشكل صعب لو أنك صاحب مبدأ، بعد كدة علشان تعيش حياة تتناسب مع وضعك الثقافي والعلمى، محتاج أنك تسافر خاصة فى بداية حياتك المهنية ".

تقول الحالة رقم (٨) : " حياتى اتغيرت تماماً من خلال الثقافة والتعليم، والعمل بالتدريس الجامعى، ونجحت فى أنى أحقق أشياء كتيرة ممتازة، ووصلت لمناصب عديدة أهمها أنى كنت المستشار الثقافي لمصر فى أوزبكستان، بس للأمانة تعبت ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " رأس المال الثقافي قوة وحاجة مهمة فى أنك تصل إلى أشياء كثيرة، لكن فى مجتمعنا قيمته منخفضة وما يمكن أن تحققه من خلاله لا يأتى بشكل مباشر، يعنى المجتمع عندنا بيشوف من يملك المال بشكل أحسن ممن يملك العلم ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " أنا بالنسبة لى، لم يكن رصيدى الثقافي والعلمى بمفرده هو سبب التميز، تجمعت عندى أشياء كثيرة، منها على سبيل المثال موهبة الشعر هى فطرية وليس لها علاقة بالتعليم كان صعب على رصيدى التعليمى أن يحقق بمفرده إنجاز حقيقى فى حياتى ".

(٢) تبدلات رأس المال الثقافي ومردوداتها :-

نجحت حالات الدراسة من النُخْبة الثقافية في تحقيق تبدلات لرصيدهم من رأس المال

الثقافي، إلى أشكال أخرى من رأس المال، إلا أن هذه العملية لم تكن سهلة، بل جاءت صعبة ومُكلفة بالنسبة لحالات الدراسة، ويمكن توضيح ذلك بالتفصيل من خلال تناول أشكال التحويلات التى تجسدت لدى أصحاب هذه الحالات.

(أ) رأس المال الاقتصادى :-

تزداد أهمية رأس المال الاقتصادى وفاعليته، إذا تم إدراك مدى حرص حالات الدراسة على تكوين رصيد من هذا الشكل من رأس المال، ولكن عملية التحويل هذه لم تكن متوفرة لديهم داخل المجتمع المصرى، ولذلك فإن تكوين بعض حالات الدراسة لرصيد من رأس المال الاقتصادى، بالاعتماد على رصيدهم من رأس المال الثقافي، جاء من خلال الحراك الأفقي إلى مجتمعات أخرى، وتُؤكد حالات الدراسة هنا على تضاؤل قيمة رأس المال الثقافي داخل المجتمع المصرى، وأنه يُقدر بأبخس الأثمان، وفيما يلي بعض النصوص التى تؤكد ذلك :

تقول الحالة رقم (٦) : " وفرت لى وظيفتى رصيد جيد من رأس المال الاقتصادى، إلا أن هذا الرصيد جاء بعد وقت ليس بالقصير، وأهم وسيلة كانت فى ذلك هى السفر خارج مصر".

تقول الحالة رقم (٧) : " أنا استفدت جداً من اللى أنا فيه على المستوى الاقتصادى، خاصة لما اشتغلت فى السعودية، وبعد ما رجعت فيه موارد كتير كويسة منها تحكيمى للأبحاث فى عدد من المجلات العربية، الكتب والمقالات التى تنشر لى تعود على بعائد مادى، الأحاديث التليفزيونية والمحاضرات الخارجية، كل دى وسائل تعود على بالمكسب المادى، لكن فيه حاجة مهمة مفيش وجه للمقارنة ما بين الحاجات دى إذا عملتها فى دول الخليج وإذا عملتها فى مصر، العائد هناك أعلى بكتير، وعلشان تكون رصيد من المكسب المادى محتاج أنك تسافر ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا ما استفدتش مادياً أكثر من حد غيرى فى الجامعة، فيه ناس طلعت إعارات بالعشرين سنة، أنا كل اللى طلعته إعارة فى اليمن أربع سنوات، ولم تكن بالشكل المميز، لكن سفرية أوزباكستان بتاعة المستشار الثقافي هى اللى كانت بعائد مادى كبير وقدرت منها أكون رصيد مادى كويس ".

تقول الحالة رقم (٩) : " داخل مصر الفلوس بالنسبة لأهل الثقافة صعبة، لكن أنا كونت رصيد من خلال عملى فى عمان، عميداً للمعهد العالى للدراسات الإسلامية، ودى سفرية استمرت ثلاث سنوات، واشتغلت فترة فى جامعة أم القرى، وسافرت كذلك فترة الأردن ".

وتأمُل النصوص السابقة يُفضى إلى أن عملية وصول حالات الدراسة لتكوين رصيد من

رأس المال الاقتصادى، كانت تتسم بأنها مُكلفة، لأنها لم تتم داخل المجتمع المصرى، ولكن خارج حدود الوطن، وتعتقد حالات الدراسة أن الهجرة كانت تكلُفة عالية بالنسبة لهم، خاصةً وأنهم لا يهدفون إلى رأس المال الاقتصادي، إلا من أجل توفير مستوى معيشي لائق، وتدعيم عملهم فى المقام الأول، ويتأكد هذا من خلال ابتعاد حالات الدراسة عن الاستثمار فى رأس المال الاقتصادى، بمعنى أن رصيدهم من رأس المال الاقتصادى كان وسيلةً لضمان حياة كريمة.

وتتفق هذه النتيجة مع إشارة "بورديو" التى صرح فيها إلى أن رأس المال الثقافي قد يتحول –تحت ظروف معينة- إلى رأس المال الاقتصادى[٦].

وتلك الصعوبة التى واجهتها حالات الدراسة فى عملية تبديل رصيد من رأسمالهم الثقافي إلى رأس مال اقتصادي في المجتمع المصري، يمكن أن تُعزي إلى سببين :

الأول : يرتبط بعلاقة رأس المال الثقافي بالبنية الاجتماعية، حيث أن البنية الاجتماعية فى هذا السياق لا تدعم رأس المال الثقافي، ويُمكن التأكيد على ذلك من خلال إحدى الدراسات التى أكدت على أن فاعلية رصيد رأس المال الذى يمتلكه الفرد، يرتبط بمدى التصاق هذا الرصيد بالبنية الاجتماعية، وكلما زاد التصاق رأس المال المعنى بالبنية الاجتماعية، كلما زادت فاعليته، وبالتالي زادت قوته على التحول داخل هذه البنية[٧].

الثاني : يرتبط بالتضخم الذى أصاب المؤهلات التعليمية فى المجتمع المصرى، هذا التضخم –كما أشار بورديو- يؤثر سلبياً على الفرص المتاحة أمام الأفراد، وبالتالي يُقلل من فاعلية رأس المال[٨].

ويُمكن أن يُدلل الباحث على التضخم الذى أصاب رأس المال الثقافي في المجتمع المصري من خلال المقالة التي كتبها "جلال أمين" وحملت عنوان "من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة"، ويشير فيه إلى أنه عندما شاع أن لقب "الدكتور" قادر على فتح كثير من الأبواب المغلقة، وأنه بصرف النظر عن قدرات صاحبه الحقيقية، يُمكن أن يُجلب منافع لا يستهان بها، زادت لهفة الناس على الحصول على اللقب، وكانت النتيجة الحتمية لزيادة استخدام اللقب أن انخفضت بالتدريج قيمته[٩].

ولقد أطلق "رونالد دور" مصطلح مرض الشهادات Diploma Disease لتوصيف هذه الظاهرة، وأشار إلى أن نتائجه أن يُصبح التعليم مجرد عملية طقوسية لتكديس المؤهلات[١٠].

(ب) رأس المال الاجتماعى :-

توضح البيانات الإمبيريقية التى جمعها الباحث عبر المقابلات التى أجراها مع حالات

النُخْبة الثقافية، نجاح حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الاجتماعى، عبر شبكات العلاقات الاجتماعية، التى نجحوا فى تكوينها عبر مراحل حياتهم المختلفة، ولقد اتضح من تلك البيانات أن هناك عدداً من السمات المرتبطة بهذا الرصيد من رأس المال الاجتماعى، وذلك على النحو التالي :

١- درجة اتساع شبكات العلاقات الاجتماعية وتعددها لتطول أصحاب مكانات اجتماعية داخل مجالات أخرى، ارتبطت بالحراك الرأسي لحالات الدراسة داخل المجال الثقافي، بمعنى أنه كلما ارتفعت المكانة التى شغلتها الحالة فى المجال الثقافي كلما اتسعت شبكة العلاقات الاجتماعية.

٢- قوة العلاقات الاجتماعية ودرجة حميميتها اقتصرت على العلاقات الاجتماعية التى تم تكوينها من داخل المجال الثقافي.

٣- ضعف مردود شبكات العلاقات الاجتماعية على حالات الدراسة، نظراً لأن الاستثمار فى هذه العلاقات يحتاج لبذل الوقت من أجل تدعيم هذه العلاقات، وتُعد هذه التكلفة مرتفعة، نظراً لأن حالات الدراسة لا تملك هذا الوقت، فالوقت بالنسبة لهم موزع داخل المؤسسة التى يعملون داخلها، وعلى أنشطتهم الثقافية المختلفة.

٤- لا تهتم حالات الدراسة كثيراً بالعلاقات التى تكونت مع نُخَب المجالات الأخرى، لأنهم يدركون أنها علاقات نفعية قائمة بسبب المكانة التى تشغلها كل حالة فيهم، ومثال هذه العلاقات قد تتلاشى مع ترك المكانة الوظيفية التى يشغلها الفرد الآن.

وفيما يلي بعض نصوص حالات الدراسة فى هذا السياق :-

تقول الحالة رقم (٦) : " العلاقات كانت شئ مهم بالنسبة لى، وكانت لى علاقات فى كل مراحل عمرى، منها علاقات القرابة والزمالة، وبعد كدة كان لى علاقات مستحدثة بحكم الوظيفة، امتدت لأوضاع ومكانات مختلفة بحسب الوضع اللى كنت فيه أو حسب الوظيفة اللى كنت أشغلها، والعلاقات دى أفادتنى فعلاقات القرابة والزمالة كانت مفيدة بالنسبة لى جداً أكثر من غيرها، أما العلاقات اللى تكونت مع الترقى الوظيفى هى علاقات مع أعضاء مجالس الشعب والشورى مع المحافظ وبعض الوزراء، لكن فى مجملها هى علاقات مهمة بالنسبة لى فى إدارة الجامعة وتسيير شئونها المختلفة، واستراتيجيتى فى تكوين هذه العلاقات من خلال حضور المحافل المختلفة، ودعوة هؤلاء الأفراد إلى احتفالات داخل الجامعة، والاحتفاء بهم تماماً، علشان أقدر بعد كدة أطلب أى طلب منهم محتاجاة الجامعة ... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " فى كل مرحلة من المراحل التى مريت بها كان هناك علاقات خاصة بها، لكن أهم علاقات كانت مع أساتذتى وزملائى لأنها علاقات طويلة وقوية، وتعتمد على الإفادة المتبادلة فى أمور التخصص، ومثل هذه العلاقات هى التى دفعتنى نحو التفوق والتميز فى كل مراحل حياتى، خاصة الأساتذة الكبار اللى كانوا يدعموننا نحو الاجتهاد والبحث، لكن العلاقات اللى تكونت علشان أنا قعدت على الكرسى ده، علاقات ليست ذات أهمية، يعنى وجودها زى عدم وجودها، لأنى واعى أنها علاقات مصلحة، وفيها نفعية مطلقة".

تقول الحالة رقم (٨) : " أهم علاقات لدى علاقاتى بزملائى وأساتذتى، وهى علاقات حب وصداقة، ودى علاقات لا تكلفك إلا الحب المتبادل والاحترام، بعد كدة العلاقات اللى عملتها كتير لكن عمرها قصير، هقولك أيام ما كنت المستشار الثقافي لمصر فى أوزبكستان كونت شبكة علاقات كبيرة وأطرافها كانوا مستويات عالية، لكن بمجرد ما أنى سبت الوظيفة ورجعت الجامعة معظم العلاقات دى مات لوحده مع الوقت، ووقتها عرفت أنها علاقات عارضة وليست دائمة ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " أنا أعرف كتير، لكن المهم أنت بتحب مين، ومين اللى ممكن يفيدك بمعنى أنه يربطك بيه، أهم حاجة عملتها فى حياتى علاقاتى بأهل العلم والثقافة، جمعتنى علاقات قوية واستفدت منها جدا مع أشخاص أمثال ميكى ماوس، عباس الأسوانى، أبو علاء الأسوانى، عرفت مجموعة كبيرة من الأدباء فى جلسات نجيب محفوظ وأمل دنقل ونجيب سرور، الناس دى أضافت لى عمر تانى على عمرى، علاقتى بأحمد فؤاد نجم، الناس دى هى اللى بتفيد الواحد، لأنك طول ما انت معاهم تتعلم وتضيف جديد لمعرفتك، غير كدة مش عاوز أعرف حد ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " أنا عاوز أقولك حاجة، أنا عندى المرحلة الأولى وهى المرحلة اللى كنت أهتم فيها بتكوين العلاقات فقط، وأنا هكلمك على العلاقات المهمة بالنسبة لى وهى العلاقات اللى كونتها من خلال الجمعية الأدبية، وجمعية الأدباء ومرحلة تأسيس اتحاد الكتاب، وهنا التواصل فى حد ذاته هو الهدف، وهذه المرحلة كان مردودها كويس، وهو إحساسك بأن الناس دى تعرفك وهم صفوة الأدباء فى مصر، الشيخ أمين الخولى، العقاد، واللى اتعلمته من الاتنين دول لا يقدر بمال، فاروق خورشيد، عبد الغفار مكاوى، صلاح عبد الصبور، أمل دنقل، الناس دى هم أهم علاقات أغلبهم مات لكن استفادتى منهم لسة حيا وعايش بيها، والناس دى ممكن تكون مفيدة لأنهم كونهم يعرفوك هذا يديك قوة وصلابة

داخل المجال الأدبى، وترددك عليهم يزودك بأشياء كثيرة ذات قيمة، ومعظم أصدقائى اللى كانوا فى مرحلة الشباب وصلوا لمناصب قيادية رءوس مجلات، رؤساء تحرير، رئيس الإذاعة، وكل هذا كان له مردود من خلال أنى طلبوا منى أنى أكتب مقالات ونشروها، وده بالنسبة لى أكبر خدمة وأحسن حاجة يعملوها لى ... ".

وتأمُّل النصوص السابقة، بالإضافة إلى خطاب حالات الدراسة بشكلٍ عام حول رصيدهم من رأس المال الاجتماعى يُفضى إلى العديد من الملاحظات، والتى يمكن التعبير عنها فى تساؤل عام مؤداه: هل نجحت حالات الدراسة فى تحويل شبكات علاقاتهم الاجتماعية إلى رأس مال؟ وسوف يجيب الباحث عن هذا التساؤل من خلال تأمُّل خطاب الحالات على خلفية الرؤى النظرية الملائمة.

نجحت حالات الدراسة فى تكوين شبكات علاقات اجتماعية واسعة إلى حد ما، خاصةً داخل المجال الثقافي، وذلك عبر مراحل حياتهم المختلفة، إلا أنهم فشلوا فى تحويل هذه العلاقات إلى رأس مال، أو قوة يمكن الاستثمار فيها بغرض الوصول إلى موارد قيمة، تضاعف أرصدتهم المختلفة، بما يحقق التميز، ويُمكن للباحث تفسير ذلك من خلال الاعتماد على افتراض "هومانز" Homans الخاص بقوة العلاقات المتبادلة، وأشار فى هذا السياق إلى أن هناك ثلاثة عوامل تقف خلف إيجابية العلاقات الاجتماعية هى التفاعل، والعاطفة، والنشاط[١١].

وهذا يعنى أن تحويل العلاقات الاجتماعية التى فى حيازة حالات الدراسة إلى قوة أو رأس مال اجتماعى يُمكن الاستفادة منه بشكلٍ كبير، إلا أنه يحتاج إلى بذل المزيد من الوقت والجهد خلال عمليات التفاعل وتكوين العواطف المشتركة، وهذا ما لم تفعله حالات الدراسة، لأن الوقت والجهد لديهم يتم استثماره فى النشاط الثقافي والوظيفي الخاص بهم، والذي قد لا يتيح فائض من الوقت والجهد لاستثماره فى مثل هذه التفاعلات.

هذا خلاف أن فترة هجرة حالات الدراسة تُمثل بشكل أو بآخر إهداراً لرأس المال الاجتماعى.

يُضاف لما سبق، عدم قناعة حالات الدراسة بتلك العلاقات التى يتم الدخول فيها من خلال المكانة الوظيفية، على أساس أنها علاقات نفعية فحسب، وقد يكون ذلك تبريرهم الخاص، لأن سبب عدم استفادتهم من مثل هذه العلاقات والتى غالباً ما يكون أصحابها من خارج المجال الثقافي ومن ذوى الموارد القيمة، هو عدم نجاحهم فى بذل النشاط والوقت الذى

يدعم هذه العلاقات ويُحولها إلى رأس مال يُمكن استثماره، ولهذا جاء اتجاه حالات الدراسة ليؤكد الفرض الخاص بالتشابه Homophile والذي مضمونه أن التفاعلات الاجتماعية يميل إلى أن تحدث بين الأفراد الذين يتشابهون فى أساليب حياتهم وخصائصهم الاجتماعية والاقتصادية، فهم حريصون على علاقات الزملاء والأصدقاء بشكلٍ أكبر من غيره، ومثال هذه العلاقات قائمة على التكافئ فكل طرف ينأى بنفسه عن فكرة الاستثمار فى مثل هذه العلاقات، لأن كل طرف يتعامل على أساس من التكافئ مع الآخر، إلا أن مثل هذا التفاعل القائم على التشابه يوفر لهم ما يناسب ظروفهم وهو جهد أقل وعائدات قد تكون أقل[١٢].

(جـ) رأس المال الثقافي الرمزي :-

يُشير رأس المال الثقافي الرمزي في هذا السياق إلى القدرات والمهارات الثقافية التى يمتلكها الفرد من خلال الموهبة الفطرية، مثال القدرة على كتابة الشعر، أو الرواية وغير ذلك، وتمنح مثال هذه المهارات تميز كبير للفرد داخل المجال الثقافي، ويستطيع من خلالها الوصول إلى موارد وعلاقات مختلفة عن أقرانه الذين لا يمتلكون مثال هذه القدرات، خاصة وأن مثل هذه القدرات فى جزءٍ كبيرٍ منها موهبةٌ فطرية، ولا يمكن اكتسابها عبر طول أو قصر سنوات التعليم والدراسة.

ولقد كشفت البيانات الميدانية عن أن هناك حالتان من حالات الدراسة(*). تحوز رصيد كبير من رأس المال الثقافي الرمزي، وبأقل جهد وأقصر وقت نجحت هاتين الحالتين في تدوير هذا الرصيد إلى أشكال أخرى من رأس المال، منها رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، واستطاعا من خلاله الوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة داخل المجال الثقافي، تلك المكانة التى لم تهتز أو تتغير عندما تبدلت مكانتهم الوظيفة داخل المؤسسة التى يعملون فيها(*).

ولقد أكدت إحدى الدراسات على أن رصيد الفرد من رأس المال الثقافي الرمزي، يزيد من قدرته على الإبداع الحر، وتقييم المُنتج الثقافي برمته، ومثال هذه القدرات تمنح الفرد سلطة وشرعية ثقافية على من يحيط به من أفراد داخل المجال الثقافي[١٣].

(*) الحالة (٩)، والحالة (١٠).

(*) يمكن التدليل على ذلك من خلال معرفة أن كلتا الحالتان قد حصلت على العديد من الجوائز منها (جائزة الدولة التشجيعية، وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، الجائزة العربية للتأليف المسرحي).

(د) مردودات رأس المال الثقافي ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء :-

عرضت الدراسة فيما سبق صوراً من تبديلات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، وما أرتبط بها من إشكاليات، كما أشارت الدراسة فى ثنايا هذا العرض لبعض مردودات هذه التبدلات، وتعرض الدراسة هنا لشكل مُميز من أشكال مردودات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، وهو حرص حالات الدراسة على إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء، وهذا يعني حرص حالات الدراسة على الاستثمار فى رأسمال أبنائهم البشرى، من خلال الموارد التى تقع فى حيازتهم بالاعتماد على رصيدهم الثقافي ومكاناتهم الاجتماعية داخل المجال الثقافي، ولقد كانت عملية إعادة إنتاج الذات تتم من خلال عدة أشكال، منها عملية توريث نفس المهنة، أو من خلال الاستفادة من مساحات الوعي المتوفرة لدى حالات الدراسة فيما يتصل بالمجال الثقافي والمهني، في توجيه الأبناء نحو مؤهلات تعليمية يكون لها مردود مادي عالٍ في المجال المهني.

يضاف إلى ما سبق أيضاً، كشفت الدراسة عن طريقة تعامل حالات النُخْبة الثقافية مع الرصيد الخاص برأس المال الاقتصادى، الذى تم مراكمته خلال المراحل العمرية المختلفة، حيث تم التعامل معه كوسيلة فحسب، من أجل تحقيق مستقبل واضح ومميز للأبناء خاصةً فيما يتصل برصيدهم من رأس المال الثقافي، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية لعدد من حالات الدراسة فى المجال الثقافي :

تقول الحالة رقم (٦) : " علاقتى بالتعليم والمجال الثقافي، وفر لى قراءة جيدة لواقع هذه الأشياء فى بلدنا، وهذا منحنى رؤية جيدة لتحديد مستقبل أولادى، فعلى سبيل المثال ابنى جاب ٩٧٪ فى الثانوية العامة والمجموع ده على الرغم أن المفروض أنه مجموع كبير، إلا أنه موفرش لابنى كلية كويسة، علشان كدة دخلته جامعة خاصة، كلية طب أسنان، وبيكلفنى مبلغ كبير، لكن الفلوس ملهاش لازمة فى مقابل أنه ياخد مؤهل كويس يوفر له مهنة كويسة تحقق له حياة كويسة على كافة المجالات ... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " أنا أهم حاجة عملتها مع الأولاد أنى صرفت عليهم كويس فى التعليم، وده ساعدهم أنهم يكونوا متفوقين، واتعلموا كويس، ده استثمار بشرى، خاصة وأنهم أهم حاجة عندى، أنا عندى ولد راح فنون جميلة، هو بيدرس زيه زى زملاءه، بس أنا بساعده وأديله حاجات تانى وكورسات، علشان كدة خد امتياز واتعين فى الجامعة معيد، والثانى كذلك تفوق واتعين معيد، وعندى البنت فى كلية طب، هم دول رأسمالى الحقيقى، وأنا حريص على

الاستثمار فيهم مش فى حاجة تانى ... ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا عندى ابنى الكبير خلص ليسانس آداب وصحافة، والثانى بكالوريوس طب، والتالت فى تالتة حقوق، ونور آخر واحدة وهى صغيرة ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " دخلت مرة البيت لقيت الولد الكبير وكان عنده ١٤ سنة وماسك كتاب لهيكل، دى أجمل لحظة، واعتبرت ده أكبر نجاح عملته فى تربية ولادى، وهو دلوقتى خلص طب بيطرى وبيعمل ماجستير وشغال فى شركة أدوية، ومعاى بنت

آداب عربى، والثانية إنجليزى، والثالثة فرنسى، وأنا تركت لهم حرية اختيار تخصصاتهم وكلياتهم، ومنهم واحدة فى كلية تربية الوادى الجديد وخلصت دكتوراه والثانية بتعمل ماجستير فى أسيوط، وزوجها مدرس فى كلية العلوم، ومعنديش حاجة أورثها لهم غير مكتبة على مساحة ٢٠٠ متر فيها كل كنوز الكتب فى أى تخصص وهى دى ثروتى الحقيقية، وواثق أنها خير ورث لهم لأنهم كلهم يحبوا القراءة ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " على ما أعتقد أنى وفرت لأولادى كل سبل الراحة، وفيما يخص تعليمهم عندى إبنى الكبير فى آخر سنة فى إنجليزى وهو من أوائل دفعته، وعندى بنت فى جامعة خاصة فى علاج طبيعى والباقين لسة فى الثانوية، وأنا لا أتأخر عن أى شئ فى صالح مستقبلهم، خاصة وأن البلد فى مرحلة صعبة فيما يخص التعليم وفرص العمل ... ".

ويُمكن مما سبق التأكيد على أن الوجهة التعليمية والمهنية للفرد، تتأثر بالموارد الثقافية التى تحوزها الأسرة، وهناك عدد من الدراسات التى تؤكد على نتيجة الدراسة فى هذا السياق، حيث ركزت هذه الدراسات على مهنة الآباء ورصيدهم من رأس المال الثقافي، وعلاقته ببلوغ المكانة التعليمية والمهنية العالية للأبناء، ووضحت هذه الدراسات أن الوراثة المهنية هى أكثر أشكال الوراثة وضوحاً[١٤].

ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية في المجال الثقافي :-

تحاول الدراسة الراهنة هنا، الكشف عن أهم الاستراتيجيات التى اعتمدت عليها حالات النُخْبة الثقافية في تحقيق نُخْبويتها، وذلك بالاعتماد على البيانات التى تم جمعها عبر المقابلات، وذلك على النحو التالي :-

(١) الوراثـــة :-

تكشف البيانات الميدانية عن أن جميع حالات الدراسة تُعبر عن اتجاه قبول الميراث الوالدي وتجاوزه، حيث أن الرصيد التى راكمته هذه الحالات من رأس المال الثقافي، قد جاء من خلال

أسرة النشأة، والتى توافر لديها رصيد –وإن كان محدود- من رأس المال الثقافي، كان له أكبر الأثر فى تحديد توجهات الحالات نحو التعليم ومراكمة رصيد متميز من رأس المال الثقافي، ولعل مراجعة النصوص الخاصة بذلك والتى أوردها الباحث تحت عنوان أسرة النشأة ورأس المال الثقافي الموروث، توضح ذلك بجلاء، ويضاف لذلك أن أسرة النشأة فى بعض الحالات كانت تحوز أرصدة من رأس المال الاقتصادي، الأمر الذي كان له دورٌ إيجابي في دعم توجهات هذه الحالات نحو رأس المال الثقافي، وفيما يلي بعض النصوص التى تؤشر على ذلك :

تقول الحالة رقم (٩) : " أنا كنت وحيد، وأبويا كان يعطينى مصروف بريزة ودى كانت حاجة كبيرة خالص، كنت أتغدى فى المدرسة بقرش واركب مواصلات بقرش أو اتنين، والباقى اشترى بيه كتب، ومجلات زى مجلة سمير، وبعدين اكتشفت أن فيه

جريدة اسمها التعاون بتهدى مع العدد الأسبوعى بتاعها كتاب مجاناً، فاتعودت أشتريها علشان الكتاب ده، وأيا كان موضوع الكتاب مش مهم لكن المهم أنى أروح بكتاب جديد، وفى الثانوية بدأت أشترى روايات مترجمة كانت تصدر باستمرار، وبدأت اتابع مجلة الهلال وكان يكتب فيها وقتها طه حسين وأحمد أمين، وعباس العقاد، وغيرهم ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " حالة أسرتى الاقتصادية كانت مهمة لى ولأخوتى، لأننا كنا نشترى الكتب من أول عمرنا، وبعد كدة ميراثى من أسرتى يسر عليا حاجات كتير، أهم حاجة أنى كنت دائماً مستعصى على الشراء، والثقافة علشان تحقق لك نجاح محتاجه لأنها تكون منزه عن المآرب المادية... ".

وتُؤكد الدراسة الراهنة هنا على أهمية الخلفية الأسرية التى نشأت فيها حالات الدراسة، وتزداد هذه الأهمية داخل المجال الثقافي، لأن التراث النظري في هذا السياق يُؤكد على أهمية أن تبدأ علاقة الفرد بالثقافة بشكلٍ مبكر منذ الطفولة، حتى تتجذر داخله عادات القراءة، وحب الإطلاع وغير ذلك من آليات مهمة فى تكوين رصيد من رأس المال الثقافي.

ولقد أشار "بورديو" إلى حقيقة تتفق مع تاريخ حالات النُخْبة الثقافية، ومؤداها أن الطبقات التى تحوز رصيد من رأس المال الثقافي تميل في الواقع إلى الاستثمار فى تعليم أبناءها، وفى تدعيم الممارسات الثقافية التى تسمح لهؤلاء الأبناء بإعادة إنتاج هذا الرصيد من رأس المال الثقافي، بهدف حماية هذا الرصيد الموروث ومضاعفته[١٥].

(٢) الاستثمار الثقافي وممارساته :-

استطاعت حالات الدراسة تحقيق تميزها داخل المجال الثقافي بالاعتماد على الاستثمار الثقافي، والذي يعنى الاعتماد على أرصدتها من رأس المال الثقافي في الوصول إلى الموارد المهمة التي تدعم مكانتها داخل المجال الثقافي، ولقد تنوعت هذه الموارد وآليات الوصول إليها، وذلك على النحو التالي :

(أ) الحراك الأفقي :-

تُعد الهجرة إلى الدول العربية وغيرها من الآليات المُهمة، التي حققت لحالات الدراسة استثمار جيد فى أرصدتها من رأس المال الثقافي، وهذه الهجرة أتاحت لحالات الدراسة الوصول لعدد من الموارد المهمة، منها تكوين رصيد من رأس المال الاقتصادى، ولقد ساعد هذا الرصيد حالات الدراسة على التميز الثقافي بعد العودة، لأن هذا الرصيد سهل من حركة الحالات داخل المجال الثقافي، كما سهل أيضاً من وصول حالات الدراسة للترقي داخل المجال الثقافي، حتى الوصول لدرجة أستاذ داخل التخصص الذى يعملون به، لأن الوصول لهذه الدرجة يتطلب إجراء العديد من الدراسات والبحوث التى تحتاج للدعم المادي، ذلك الدعم الذى قد لا يتوفر إلا من خلال الرصيد الخاص بالحالة، خاصة وأنه ليس هناك وسائط متوفرة لدعم البحوث العلمية فى المجتمع المصرى.

استطاعت حالات الدراسة من خلال الهجرة أيضاً، أن تفرض نفسها على أن تكون ضمن هيئة التحكيم في عددٍ من الدوريات التى تقع فى نطاق تخصصاتهم، ويُعد هذا مورد مهم لتنمية رصيد رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة فيما يرتبط بتخصصاتهم العلمية، بالإضافة إلى أنه مورد مهم لرأس المال الاقتصادى، خاصةً وأن هذا النوع من العمل، لم ينقطع بعد عودة حالات الدراسة إلى الوطن.

وتندفع حالات الدراسة نحو الاستثمار الثقافي تحت ضغوط شديدة، لعل أهمها –على حد تعبير جلال أمين– غياب المشروع النهضوي الذي يمكن من خلاله توظيف هذه القدرات المتميزة داخل المجال الثقافي، ومع هذا الغياب لا يتبق إلا الهجرة، أو اللجوء إلى المشروعات الخاصة التى تجلب للمثقف وأسرته الثراء[١٦].

(ب) تنمية رصيد رأس المال الثقافي وتحديثه :-

عملت حالات الدراسة على تنمية رصيدها من رأس المال الثقافي، وتحديثه بشكلٍ مستمر، من خلال المواظبة على الإطلاع والقراءة المستمرة، والاشتراك فى إصدار المؤلفات العلمية

والبحوث، وأتاح لهم هذا التواجد الدائم فى المجال الأكاديمي، وأن يصبحوا أعضاء في اللجان العلمية المختلفة، تلك العضوية التى تُزود أصحابها برصيدٍ من رأس المال الرمزي، وتُتيح لهم العديد من فرص التقدم والتميز.

وتلفت الدراسة النظر هنا إلى أن عملية تنمية رصيد رأس المال الثقافي وتحديثه، تحتاج بجانب القدرات والمهارات العلمية، إلى رصيد من رأس المال الاقتصادى، فمتابعة الدوريات العلمية، واقتناء المؤلفات الحديثة يتم من خلال هذا الرصيد.

(٣) رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الثقافي :-

توافرت لدى حالات الدراسة أرصدة متباينة من أشكال رأس المال، ويحتل رصيد رأس المال الثقافي مكانة الصدارة من بين هذه الأشكال، ذلك الرصيد الذى أنتج عدداً من الأرصدة الأخرى أهمها رصيد من رأس المال الاقتصادى، ورصيد من رأس المال الاجتماعى، والذي تتأكد فاعليته داخل حدود المجال الثقافي فحسب، وعلى هذا فإن حالات الدراسة تحوز رصيد من رأس المال الجمعي، إلا أن أهمية هذا الرصيد وفاعليته مرهونة بحدود المجال الثقافي إلى حد كبير.

وعلى هذا فإن امتدادات حالات الدراسة وفق رصيدها من رأس المال الجمعي، كان امتداداً رأسياً، أي داخل حدود المجال الثقافي فحسب، ولم يكن هناك امتداداً أُفقياً خارج حدود المجال، باستثناء حالة واحدة فقط من حالات الدراسة جسدت إلى حد ما الاتجاه المهرول نحو المجال السياسى، والمهرول إلى السياسية من المجال الثقافي هو من ينظر ملياً فى الثقوب التى يتركها المجال السياسى مفتوحة فى طبيعة الاستقلال عن المجال الثقافي، كما أن المجال السياسى يسمح له بالدخول –إن شاء– كما يسمح له بأن يخلط ما هو سياسى بما هو ثقافي، وأن يراكم من أرصدة رأس المال السياسى وموارده ما شاء له أن يراكم[١٧].

ويمكن التدليل على ذلك من خلال النص الخاص بهذه الحالة :

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا عمرى ما خططت إنى أقرب أو أبعد من المجال السياسى هى المسألة دى تخضع للظروف، لكن مرة وضعوا اسمى فى لجنة لتقييم انتخابات الحزب فى المحليات، ورغم أنى مش فاضى لكن قبلت لأنه مش من الذكاء أنك ترفض، فقلت لهم من عنيا الاتنين، وأنا أى حاجة عايزها الحزب متأخرش فيها، وبعد أكتر من مقابلة طلبوا منى أنزل فى انتخابات المحليات، ودخلت الانتخابات وأدينى دلوقتى عضو فى مجلس محلى المحافظة، والتجربة كلها جديدة على، وأحياناً كتير أنا بسمع بس، وقليل جداً ما أتكلم فى المجلس، لأنى

حاسس إن باقى الأعضاء فى الحكاية دى من زمان، وأنا برده جديد ... ".

ويُفضى تأمُّل النص السابق، إلى أن دخول المجال السياسى كان مجرد هرولة، لم تقم على أساس من التاريخ السياسى، أو النضال فى المجال السياسى، وفكرة الاستعانة بأحد أفراد النُخْبة في المجال الثقافي في معظم الأحيان لا تخرج عن كونها مجرد وجاهة اجتماعية تسعى إليها الأحزاب، وقد يمتد ذلك إلى مستوى النُخْبة المركزية، والتي لا تخلو الآن من عضوية كثير من المثقفين وأساتذة الجامعة؛ وهناك العديد من الدراسات التى أكدت هذه الرؤية[١٨].

التعقيب :

عرض الباحث خلال هذا الفصل لحركة رأس المال الثقافى، وطبيعة تشكيل النُخْبة الثقافية من خلال المعطيات الميدانية التى توافرت للباحث من خلال المقابلات التى أجراها مع خمس حالات داخل هذا المجال.

وفيما يتصل بظروف نشأة حالات الدراسة وخصائصهم الاجتماعية، كشفت الدراسة عن أن معظم حالات النُخْبة الثقافية توافدت من أسر تنتمي إلى الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، ولقد توافرت لحالات الدراسة رصيد من رأس المال الثقافى الموروث من خلال أسرة النشأة وعلاقتها بالثقافة، ولقد كان هذا الرصيد الموروث نواة مهمة للرصيد الحالي.

ولم يكن تحقيق النخبوية لدى حالات الدراسة بالشئ اليسير، فقد تطلبت هذه العملية بذل الكثير من الوقت والجهد، حتى يتم التغلب على العديد من الكوابح البنائية، ولعل أهم هذه الكوابح هو طبيعة علاقة رأس المال الثقافى بالبناء الاجتماعى بشكل عام.

وعلى الرغم من نجاح حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الجمعي، من خلال عمليات تبديل رصيدهم من رأس المال الثقافى، إلا أن هذه العملية لم تكن سهلة، بل جاءت صعبة ومكلفة بالنسبة لحالات الدراسة.

وقد تضمن رصيد حالات الدراسة من رأس المال الجمعي، أرصدة مختلفة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، ورأس المال الثقافى الرمزي، وكشف خطاب حالات الدراسة عن أن أهمية هذا الرصيد وفاعليته غالباً ما تكون مرهونة بحدود المجال الثقافى.

ولقد نجحت بعض حالات الدراسة فى تعبئة رصيدها من رأس المال الجمعي نحو إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء، حيث حرصت هذه الحالات على توريث الأبناء نفس المهنة، أو توجيه الأبناء نحو مؤهلات تعليمية يكون لها مردود عالي سواء كان هذا المردود مادي أو معنوي يتصل بالسلطة والمكانة الاجتماعية العليا.

وكشفت المعطيات الميدانية عن تعدد استراتيجيات تحقيق النخبوية فى المجال الثقافى؛ منها الوراثة، والاستثمار الثقافى، والذي توفر من خلال الحراك الأفقي لبعض الحالات، أو من خلال رصيد رأس المال الثقافى وتحديثه، وأخيراً تعبئة حالات الدراسة لرصيدها من رأس المال الجمعي نحو تحقيق التميز والوصول إلى المكانة العليا داخل المجال الثقافي.

هوامش الفصل الخامس

(١) انظر فى ذلك :

- Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success: The Role of Habitus, Op. Cit., P. 44.
- Esther Ho Sui –Chu, Parental Involvement and Student Performance: The Contribution of Economic, Cultural, and Social Capital, Op. Cit., PP. 139 -145.

(2) Ghada, F. Barssoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Op. Cit., P. 19.

(3) Nan Dirk De Graaf, and Others, Parental Cultural Capital and Educational Attainment in The Netherlands, Sociology of Education, Vol. 73, No.2m Apr. 2000, P. 93.

(4) Alexander Lellatchitch and Others, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective, Op. Cit., P. 5.

(5) Helmut K. Anheier and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 890.

(6) Bourdieu, The Forms of Capital, Op. Cit., P.243.

(7) Helmut K. Anheier, and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P.862.

(8) Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P.143.

(٩) جلال أمين، من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة، مجلة الهلال، يوليو ٢٠٠١م، ص ٧٣.

(١٠) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٣٣٦.

(١١) انظر فى ذلك :

- Nan Lin, Social Capital : A Theory of Social Structure and Action, Op. Cit., P. 39.

(١٢) لمزيد من التفاصيل حول مبدأ التشابه فى التفاعل الاجتماعى، انظر :

- Ibid, P. 48.

(13) Helmut K. Anheier and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 890.

(١٤) انظر فى ذلك :

- Mleril Egerton, Occupational Inheritance : The Role of Cultural Capital and Gender, Work Employment & Society, Vol. 11, No. 2, 1997, PP.263 -282.
- Marie Duru – Bellat, and Others, Patterns of Social Inequalities in Access to Higher Education in France and Germany, International Journal of Comparative Sociology, Vol. 49, No. 4 -5, 2008, P. 348.

(15) Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P. 120.

(١٦) جلال أمين، مصر والمصريون فى عهد مبارك، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٥٢.

(١٧) يمكن التعرف على العلاقات القائمة ما بين المجال السياسى والمجالات الأخرى، من خلال تصنيفات أحمد زايد لاتجاهات العلاقة بين هذه المجالات، انظر :

- أحمد زايد، النُخَب بين المجال السياسى والمجال الاجتماعى، مرجع سابق،ص ص ١٧٨-١٨١.

(١٨) انظر فى ذلك :

- مايسة الجمل، النخبة السياسية فى مصر، مرجع سابق، ص ص ١٥٦-١٦٢.
- جلال أمين، من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة، مرجع سابق، ص ص ٦٦-٧٣.

الفصل السادس

رأس المال السياسي وتشكيل النُخْبة السياسية

- تمهيـد.
- أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية.
  - ١ - أسرة النشأة ... الأصول والخصائص.
  - ٢ - الخصائص الاجتماعية للنُخْبة السياسية.
- ثانياً : تشكيل النُخْبة السياسية.
  - ١ - استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال السياسي.
    - أ - التعبئة والتعيين.
    - ب- الفرصة السياسية.
    - جـ- رأس المال الاجتماعي.
    - د - الوراثة.
  - ٢ - مردودات رأس المال السياسي ... حديث فى فاعلية رأس المال السياسي.
    - أ - رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف العامة.
    - ب- رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف الخاصة.
    - جـ- النُخْبة السياسية ورأس المال الجمعي.
- ثالثاً : نُخْبة المجال السياسي والمجتمع المدني ... وصاية أم اتصال.
- التعقيب

تمهيـد :

تكشف الدراسة الراهنة من خلال هذا الفصل عن دور رأس المال السياسي فى تشكيل النُخْبة داخل المجال السياسي، وذلك بالاعتماد على البيانات الميدانية التي جمعها الباحث من خلال مقابلة خمس حالات من نُخْبة المجال السياسي داخل مدينة سوهاج.

ويعرض الباحث فى بداية الفصل لظروف نشأة حالات الدراسة، والأسر التي ينتمون إليها، إضافة إلى الخصائص الاجتماعية لها، ثم يتطرق الفصل بعد ذلك لأهم إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية داخل المجال السياسي من خلال حالات الدراسة.

وتتضمن هذه الاستراتيجيات؛ التعبئة والتعيين، والفرصة السياسية، ورأس المال الاجتماعي، والوراثة، وتؤشر هذه الاستراتيجيات على عدم اختلاف الكيفية التي تشكلت بها نُخْبوية حالات الدراسة عن تلك الكيفية التي تتشكل بها النُخْبة السياسية فى المجتمع المصري بشكلٍ عام.

ويكشف الباحث خلال هذا الفصل عن أهم مردودات رأس المال السياسي لدى حالات الدراسة، سواءٌ كانت هذه المردودات تتصل بتحقيق الأهداف العامة، أو الأهداف الفردية الخاصة، أو إمتداد هذه المردودات لتُشكل رصيد من رأس المال الجمعي.

ليس هذا فحسب، بل يكشف الباحث خلال هذا الفصل عن طبيعة العلاقة بين المجال السياسي والمجتمع المدني، وذلك من خلال البيانات الميدانية التي تم جمعها من خلال حالات النُخْبة السياسية، ويُختتم هذا الفصل بالتعقيب على ما تم عرضه من نتائج.

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية :-

تستعرض الدراسة الراهنة هنا، الأصول الاجتماعية والطبقية لحالات الدراسة داخل المجال السياسي فى مدينة سوهاج، كذلك أهم الخصائص الاجتماعية لهذه الحالات، وذلك على النحو التالي :

(١) أسرة النشأة ... الأصول والخصائص :-

تكشف المعطيات الميدانية عن أن حالات النُخْبة السياسية توافدت من الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى باستثناء الحالة (١١) والتي تنتمي إلى أسرة من طبقة كبار الملاك فيما قبل الثورة، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية لحالات الدراسة :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا نشأت أصلاً فى قرية، ووالدى كان محامى، وكنا سبع أخوات تلت صبيان، وأربع بنات، وكلنا اتعلمنا إما ليسانس حقوق بحكم أن الوالد محامى، أو

بكالوريوس طب، ووالدى كان كمان عضو فى مجلس النواب، وكانت له عصبية وقبلية ... ".

تقول الحالة رقم (١٢) : " إحنا كنا أسرة بسيطة، والوالد كان موظف فى إحدى المحاكم، والوالد أدى معانا دور مهم فى أننا أنا وأخوتى اتعلمنا كويس، ودى كانت مهمة صعبة فى التوقيت ده، لأن التعليم كان صعب ومش زى الأيام دى متاح بشكل سهل، وعلشان كدة هو بالنسبة لى عمل إنجاز، وأنا معاى أخ وصل وكيل وزارة التربية والتعليم، وأخ تانى كان موظف فى الشئون الاجتماعية"

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا نشأت فى قرية من قرى سوهاج، وأبويا كان من رجال التعليم وكان له دور رئيسى فى دفعى للتعليم أنا وأخويا، ووفر لنا الجو المناسب لذلك، لأنه وبحكم وظيفته كان محب للتعليم، علشان كدة اتعلمنا كويس ... ".

تقول الحالة رقم (١٤) : " كان الوالد متعلم، والأم ست بيت اتعلمت بس المرحلة الأولى والوالد كان بيشتغل مهندس فى إحدى المصالح الحكومية ... ".

تقول الحالة رقم (١٥) : " أنا من قرية صغيرة، ووالدى حظى بقدر من التعليم، معهد فنى صنايع، وكان اتوظف بدرى بالمؤهل ده، وكان حريص على تعليمنا جميعاً، أنا وكل أخواتى خدنا مؤهل عالى، ومعاى واحد من أخواتى ضابط دفاع جوى برتبة عقيد".

وتأمُل البيانات السابقة يُفضى إلى الاتفاق مع مقولة "أحمد زايد" التي يُشير فيها إلى أن جماعات النُخْبة السياسية قد نشأت فى أحضان الطبقة الوسطى، كما أنها لا تختلف عن مقولة "عبد الباسط عبد المعطى"، الذي أشار إلى أن الطبقة الوسطى المصرية ابنة سلطة الدولة ومؤسساتها[١].

(٢) الخصائص الاجتماعية للنُخْبة السياسية :-

(أ) الحالة العمرية :-

تُؤشر البيانات الميدانية على ارتفاع الحالة العمرية لحالات النُخْبة السياسية، وتتفق هذه النتيجة مع مثيلاتها فى المجالات السابقة، وعلى هذا يمكن للباحث أن يسحب نفس التفسيرات التي ساقها فى كل المجالات السابقة (الاقتصادى، والثقافى) على هذا المجال ونُخْبته، خاصة وأن جميع هذه المجالات تعمل فى سياق اجتماعى واحد.

(ب) الحالة التعليمية :-

حصلت جميع حالات الدراسة من النُخْبة السياسية على مؤهل جامعي، وذلك باستثناء الحالة (١٣) والتي حصل صاحبها على درجة الدكتوراه، وتؤشر هذه النتيجة على أن جميع

حالات الدراسة لديها رصيد من رأس المال الثقافى، ويُعد هذا الرصيد قاسم مشترك بين النُخْبة السياسية المصرية، وهذا يتفق مع ما جاء فى دراسة "مايسة الجمل" عن النُخْبة السياسية فى مصر، والذي يؤشر على بقاء النُخْبة واستمرارها بنفس أصولها وخصائصها الاجتماعية داخل النظام السياسي المصري، ومن هذه الخصائص رصيد ما من رأس المال الثقافى[٢].

(جـ) الحالة الاجتماعية :-

تُشير البيانات الميدانية إلى أن جميع حالات الدراسة من المتزوجين.

(د) الحالة النوعية :-

توضح المعطيات الميدانية أن هناك حالتين من حالات الدراسة فى المجال السياسي من الإناث، وتأتى هذه النتيجة متماثلة مع التحول الذي يشهده الخطاب والممارسة السياسية الرسمية تجاه المرأة، والذي يُجسد محاولات جادة لتمكين المرأة على مستويات عدة من ضمنها المجال السياسي، ويتفق هذا مع ما أشارت إليه "مديحة أحمد عبادة" فى هذا السياق ومؤداه أن اهتمام الحكومة بالتمكين الاجتماعي والسياسي للمرأة، أدى إلى أن تحقق المرأة تقدماً ملحوظاً خلال العقد الأخير فى المشاركة فى الحياة العامة، وتوليها العديد من المناصب القيادية، ويمكن التدليل على ذلك من خلال ما أشارت إليه إحصائيات المجلس القومي للمرأة، بخصوص تضاعف نسبة الإناث فى العديد من الوظائف القيادية[٣].

(هـ) الأصول الوظيفية لحالات النُخْبة السياسية :-

تكشف الخلفية الوظيفية لحالات النُخْبة السياسية عن قنوات أو مصادر التجنيد فى دوائر نُخْبة المجال السياسي، ولهذا حرص الباحث على الكشف عن الوظائف الأصلية التي بدأت منها حالات الدراسة، إضافةً إلى أن هذا الكشف يُمثل أداة تحليلية هامة فى سياق المجال السياسي، ولأن الأصل الوظيفى يكون قد مر عليه سنوات طويلة مما يدفع إلى تجاهله لدى حالات الدراسة، لهذا كان الوصول إلى الوظيفة الأولى لعدد من الحالات يتم من خلال الإخباريون باستثناء حالتين سبق توضيح بدايتهما الوظيفية.

جدول رقم (٢)
يوضح الخلفية الوظيفية لحالات النُخْبة السياسية

رقم الحالة	الوظيفة الأولى
١١	الشئون القانونية بديوان عام محافظة سوهاج
١٢	العلاقات العامة بديوان عام محافظة سوهاج
١٣	الشئون الاجتماعية
١٤	مدرس بالتربية والتعليم
١٥	العلاقات العامة بالجامعة

يوضح الجدول السابق أن جميع حالات الدراسة يُعدوا من البيروقراط، وانضمامهم إلى النُخْبة فى المجال السياسي بمدينة سوهاج، جاء من خلال المناصب الوظيفية التي تدرجوا فيها، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم جميعاً سلكوا ذات القنوات للوصول إلى قمة المجال السياسي، ولكن هناك تباين فى آليات الوصول وزمنه بالنسبة لهذه الحالات، وهذا ما سيتضح فى مواضع تالية من هذا الفصل.

ولقد شكلت جماعات البيروقراط وفئاتها المختلفة جزءاً أساسياً من القيادة الإدارية فى جهاز الدولة البيرقراطى، فيما بعد الثورة، حيث مكن التدريب التقني كبار البيروقراطية والتكنوقراطية من أن يُصبحوا مؤثرين فى عملية صنع القرارات الرئيسة فى مصر كلها وليس مدينة سوهاج فحسب.

فقد حظيت هذه الفئات نتيجة وضعها المتميز داخل الجهاز البيروقراطي بمزايا مالية وعينية تمثلت فى بدلات التمثيل وغيرها من المخصصات الأخرى التي مكنتها من تكوين ثروات طائلة، فضلاً عن أنها كانت تستغل وضعها وقدراتها الثقافية ومرونتها الأيديولوجية فى تحقيق ثروات ومصالح خاصة، وتُشير "سامية سعيد" إلى أن فترة الستينيات كانت بمثابة عهد النمو السرطاني البيروقراطي حيث أمسى التوسع البيروقراطي من أهم المتغيرات المؤسسية إن لم يكن أهمها على الإطلاق[٤].

وفى هذا السياق أيضاً، تؤكد "مايسة الجمل" على أن النُخْبة السياسية فى فترة ما بعد عام ١٩٥٢م، تميزت بأن غالبية أعضائها كانوا ينتمون إلى كوادر جهاز الدولة البيروقراطي، ولقد فسرت هذا على أساس أن المعيار الأساسي لعملية تجنيد أفراد النُخْبة قد تركز حول القدرات

أو الكفاءات الإدارية التي تحوزها تلك الكوادر، وبمعنى آخر أن الانضمام إلى صفوف النُخْبة السياسية لم يكن رهناً بتوافر الخبرة السياسية لدى أعضاءها، بل بالأحرى كان رهناً بقدرتهم على تنفيذ ما يتم تحديده من توجيهات سياسية[٥]. ولعل مثل هذا المعيار تزداد أهميته إذا كانت النُخْبة بصدد مجال سياسى بعيد جغرافياً عن الحكومة المركزية.

ثانياً : تشكيل النُخْبة السياسية :-

توضح البيانات والمعطيات الميدانية أن تشكيل نُخْبوية حالات الدراسة داخل المجال السياسي فى مدينة سوهاج يعكس بوضوح الكيفية التي تتشكل بها النُخْبة السياسية فى المجتمع المصري بشكل عام، كما تُجسد هذه البيانات التي تم جمعها من خلال حالات الدراسة مقولة "بورديو" الذي ذهب فيها إلى: " شيئاً فشيئاً، انغلق العالم السياسي على ذاته، على تنافساته الداخلية ومشاكله، ورهاناته الخاصة، وأصبح رجال السياسة القادرين على التعبير عن توقعات الأفراد ومطالبهم، والقادرين على فهم هؤلاء الأفراد، أكثر نُدرة، بل أن هؤلاء الأفراد بالنسبة لرجال السياسة أصبحوا بعيدون عن أن يكونوا فى مقدمة تشكيلاتهم، أنهم لا يقولون إلا ما لا يريد الأفراد سماعه"[٦].

وتأكيداً على ما سبق يعرض الباحث فى البداية النتائج التي تم التوصل إليها فيما يرتبط باستراتيجيات تحقيق النُخْبوية لدى حالات الدراسة، وذلك لأن دخول حالات الدراسة للمجال السياسي لم يكن من خلال علاقة قَبْلية بالسياسة، بمعنى أن دخول المجال السياسي جاء أولاً من خلال عدد من الاستراتيجيات التي لا تعبر فى ذاتها عن ممارسات داخل المجال السياسي، بقدر ما تعبر عن ممارسات داخل مجالات أخرى، ولعل هذا يؤشر على مدى انغلاق المجال السياسي على ذاته من ناحية، وعلى صعوبة عمليات تجديد النُخْبة داخل هذا المجال من ناحية ثانية، وهذه العمليات الأخيرة – تجديد النُخْبة داخل المجال السياسي – تتم وفق توجهات النُخْبة المركزية ومصالحها.

(١) استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال السياسي :-

أفضت عملية تحليل المعطيات الميدانية الخاصة بحالات الدراسة فى المجال السياسي وتأمُلها، إلى الوقوف على عدد من الإستراتيجيات الحاسمة فى تشكيل نُخْبوية هذه الحالات، وذلك على النحو التالي :

(أ) التعبئة والتعيين :-

تكشف البيانات الميدانية عن أن عدداً من حالات الدراسة قد وصل إلى عالم النُخْبة من

خلال عمليات التعبئة التي قامت بها رموز السلطة، وتمثلت هذه العمليات فى القيام بإعداد الأفراد وتنشئتهم من خلال المؤسسات السيادية فى حقب سابقة، مثال الاتحاد الاشتراكي فى مرحلة سابقة، وذلك بالاعتماد على الدورات التدريبية والمعسكرات التأهيلية، وذلك وفق استراتيجيات وأهداف قومية يتم تحديدها من أعلى، ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية:

تقول الحالة رقم (١٢) : " أنا بداية تعيينى التحقت بعدد من الدورات التي كان ينظمها الاتحاد الاشتراكى، والدورات كانت مفيدة وأهدافها كانت عظيمة، وكانت بالنسبة لأى موظف ياخدها ميزة كويسة، والتركيز فيها كان يجعل من الواحد قيادى ناجح، وأنا الدورات دى التزمت فيها تماماً وأفادتنى تماماً، وكنا نلتقى من خلالها بالعديد من القيادات على مستوى مصر والوزراء والمثقفين، والواحد اتغير تماماً بعد هذه الدورات، من ناحية أن الواحد بعدها بدأ يفكر فى المصالح العامة، وفى المجال السياسي، وبدأ يؤمن بأهمية أن يكون له دور غير الوظيفة، وخاصة أن الحكومة أتاحت لنا هذا من خلال الاستعانة بنا فى أشياء من هذا القبيل، خاصة وأن ظروف البلد فى المرحلة دى كانت صعبة ... ".

تقول الحالة رقم (١٣) : " انا اتعرفت على السياسة من خلال دورات أمانة الشباب الاشتراكى، وده كان بالنسبة للشباب موجه سياسى كانوا يهتموا بالشباب جداً، اتعمل لينا معسكر فى قنا لمدة ثلاثة شهور، وكان معسكر مفيد جداً، عرفنا من خلاله الانتماء وحب البلد، واتعلمت أن السياسة شئ جميل وأن الواحد لازم يكون مهتم بكل حاجة تحصل حواليه وبعد عدد من المعسكرات اللى حصلت عليها بعد تعيينى مباشرة فى الشئون الاجتماعية تم تكليفى بالعمل فى أمانة الشباب فى سوهاج، وده كان نتيجة اهتمامى بهذه المعسكرات والدورات اللى نظمتها أمانة الشباب الاشتراكى ... ".

وبالإضافة إلى عمليات التعبئة التي قام بها النظام السياسي لمجموعة من البيروقراط، اعتمد على عملية التعيين فى الدفع بمجموعة من الأفراد البيروقراط إلى المناصب القيادية داخل المجال السياسي، وهذه الاستراتيجيات لم تكن قاصرة على فترة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ولكنها استراتيجية موجودة حتى الوقت الراهن، وفيما يلي بعض النصوص التي تدلل على ذلك :

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا بعد النكسة تكلفت بالعمل فى أمانة الشباب بسوهاج، وتم تعيينى عام ١٩٦٨ عضو مجلس محلى محافظة، وبمجرد أن تم ذلك بدأت عمليات متتابعة من التصعيد داخل هذا المجال، فكنت فى التنظيم الطليعى، وأمين مساعد حزب مصر، وعام

١٩٧٩م كنت واحد من خمسة لتأسيس الحزب الوطنى بسوهاج ... ".

وتوضح البيانات السابقة أن هناك من حالات الدراسة من بدأ صعوده فى المجال السياسي مع المرحلة الاشتراكية، واستمر هذا الصعود رغم كل التحولات الأيديولوجية التي حدثت فى النظام السياسي المصري بعد ذلك، ويُمكن تفسير ذلك من خلال قدرة أصحاب هذه الحالات على التغير الأيديولوجي، ونفس هذه الفكرة أشار إليها "أحمد زايد" فى دراسته للبناء السياسي المصري، وعلق عليها بقوله: أن هذه الجماعات من النُخْبة لديها قدرات إنتهازية، وهي القدرة على تلوين نفسها حسب طبيعة الظروف المتاحة والموقف المحيط، وفى هذه الظروف يُلاحظ أنها تكسب أرضاً جديدة مع كل نظام، وتحقق لنفسها سيطرة مع كل عقيدة(٧). ولعل هذا كله يدفع الباحث إلى القول بأن مثل هذه القدرة على الإيمان بكل العقائد رغم اختلافها، دافعه الرئيس الحفاظ على المكانة الشخصية التي يُحققها الفرد، وقد تكون هذه سمة لدى معظم حالات النُخْبة، فهنا يتعاظم الهدف الخاص وهو الحفاظ على المكانة المرموقة أكثر من أي هدف آخر.

وما يُشير إليه الباحث هنا، تؤكده "أميمة أبو الخير" فى أطروحتها عن النُخْبة النسوية بقولها: لا يتحول السعي إلى دخول دائرة النُخْب الاجتماعية سعياً نحو تحقيق المصلحة العامة أو نحو خدمة الناس بقدر ما يكون سعياً للركوب فوق ظهور الناس، وخلق قنوات جديدة للتمييز وتراكم رأس مال رمزي وثقافى يدعم موقف الفرد فى حياته العادية وفى شبكة العلاقات التي يدخل فيها(٨).

وما انتهت إليه الدراسة الراهنة فيما يتصل بأن التعبئة والتعيين من استراتيجيات تشكيل نُخْبوية بعض حالات الدراسة فى المجال السياسي فى مدينة سوهاج، يتفق مع العديد من الدراسات التي اهتمت بآليات تشكيل النُخْب السياسية وتجنيدها فى مصر والعالم العربي(٩).

(ب) الفرصة السياسية :-

توضح البيانات الميدانية أن التحاق عدد من حالات الدراسة لجماعة النُخْبة السياسية اعتمد فى جانب ما على الفرصة السياسية، التي أُتيحت لهم فى ظل ظروف معينة، سواءٌ ارتبطت هذه الظروف بالمجتمع المصرى بشكل عام، أو ارتبطت بمدينة سوهاج فحسب، ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا دورى بدأ يظهر بشكل قوى ويحس بيه كل القيادات فى المحافظة، مش المحافظة بس، لكن أجهزة كبيرة على مستوى مصر كلها، كان من بداية أحداث

الكشح، قبل ما بدأ الحكاية دى، أحب أعرفك أن جوزى كان يحترم الجماعة المسيحيين وكان العمدة ومن قبله أبوه، وكانوا المسيحيين فى البلابيش والكشح يحبوهم خالص، وأول ما حصلت أحداث الكشح، ... ومن خلال علاقتى بالجماعة المسيحيين ومن قبل علاقة جوزى وأبوه بيهم أصبح مكتبى المكان الرئيسى لحل كل المشاكل المرتبطة بهذه الأحداث، وكانت هناك جهات أمنية تحقق مع المسيحيين عندى فى المكتب لأنهم مكنوش يرضوا يروحوا أى مكان تانى، وده اختيارهم بنفسهم ... أنا فى المشكلة دى كنت الفيصل بينهم وبين الحكومة وكانوا دايماً يطالبوا بوجودى لو أى مسئول كلمهم فى الأحداث اللى حصلت، وكان عندهم ثقى كبيرة فى أنا ومن قبل جوزى ومن قبله أبوه، وأنا للأمانة كنت بدافع عنهم لدرجة أن النواب بتوع الشعب والشورى فى المنطقة تضايقوا منى وبدأ كل واحد منهم يشتكينى للمحافظ، لكن أنا موقفى كان قوى لأن الجماعة المسيحيين هناك مكنوش يعملوا أى حاجة ولا يتعاونوا مع أى جهة من غير الرجوع لى، ودايماً كانوا يطالبوا بوجودى، واعتبر أن الحكاية دى حققت لى دخول للمجال السياسي من موقف قوى ... ".

تقول الحالة رقم (١٢) : " أنا بداية دخولى لعالم السياسة كان من خلال أنى شاركت فى العديد من الأعمال التطوعية اللى يمكن أفادتنى بعد كدة، أهمها الدور اللى لعبته أيام حرب الاستنزاف، وده كان دور فى الجبهة الداخلية، خاصة وأنى كنت قبلها واحد من أبناء الاتحاد الاشتراكى، ودى كانت فرصة لأن الناس تعرفنى كويس، ومن وراء الدور ده لم أكن أقصد أية فائدة شخصية، أنا كنت ملتزم بالإخلاص فى العمل، والصدق مع النفس، وأنا بشكل عام صريح وواضح ... ".

وتأمُل هذه النصوص وغيرها مما لم يورده الباحث، يُفضى إلى أن بعض حالات الدراسة استفادت من بعض الأحداث التي وقعت فى مصر بشكلٍ عام، أو فى محافظة سوهاج بشكل خاص، للدخول إلى المجال السياسي، وقد يكون هذا الدخول هو مكافئة لهم على هذا الدور من قبل النُخْبة المركزية، إلا أن الباحث يُؤكد على أن هذه الفرصة هي مجرد عامل من عوامل دخول حالات الدراسة لعالم النُخْبة، إلا أنه ليس العامل الوحيد، حيث توافرت لدى الحالات العديد من آليات الدخول لعالم النُخْبة، إضافة لذلك أن حالات الدراسة كان لديها العديد من الفرص الحياتية التي دعمت موقفها داخل المجال السياسي.

ويُمكن تفسير دور الفرصة فى تشكيل نُخْب حالات الدراسة فى المجال السياسي فى سياق الدراسة الراهنة على خلفية مفهوم الفرصة السياسية Political Opportunity والذي

يُشير إلى السمات الخاصة بنظام سياسى معين والظروف التي يمر بها، والتي يمكن من خلالها تفسير الأفعال المختلفة داخله، ومردودات هذه الأفعال سواءٌ بالنسبة للمنظمات أو الحركات الاجتماعية، أو الأفراد[١٠].

فالنظام السياسي المصري يميل إلى تقديم صور من المكافأة للأفراد الذين يساهمون فى دفع هذا النظام نحو تجاوز الأزمات التي تعترضه، وقد تكون أهم هذه الصور هو أن يتم تجنيد الفرد داخل نُخْبة هذا النظام، لأن هذا الدور يدعم ولائه للنظام القائم ويؤشر عليه، وعلى هذا يمكن التأكيد على أن الفرص السياسية هي عبارة عن ثقوب داخل المجال السياسي يمر من خلالها الفرد للدخول إلى عالم السياسة.

(جـ) رأس المال الاجتماعي :-

تُشير البيانات الميدانية إلى أهمية رأس المال الاجتماعي المتمثل فى شبكة علاقات بعض حالات الدراسة، كاستراتيجية لتحقيق النُخْبوية داخل المجال السياسي، ويتضمن رأس المال الاجتماعي هنا شبكات علاقات الفرد بمختلف أشكالها (الزمالة، الشلة، الجيرة، المصاهرة... الخ) ويتضح ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا أول تعيينى فى الإدارة العامة للشئون القانونية فى ديوان عام المحافظة، واترقيت لغاية ما وصلت مدير عام إدارة الشئون القانونية، وكنت فاهمة قانون كويس وعملى ده وفر لى علاقات قوية بكل المحافظين اللى اشتغلوا فى سوهاج، لأنى دايماً كنت عند حسن ظنهم بى فى الشغل، وشغلى ده وفر لى علاقات كويسة مع قيادات المحافظة خاصة وأن الجميع يعرف أنا بنت مين، ومعاى أخواتى كلهم مناصب عالية واحد منهم محامى عام أول نيابة الأموال العامة، والتانى مستشار فى السعودية، وكان معاى أخ قاضى لكن استقال بعد وفاة والدى علشان يفتح المكتب بتاعه ويفضل اسمه موجود ... أنا علاقتى كانت قوية بالمحافظ... وبمجرد ما جاء له طلب تشكيل المجلس القومى للمرأة بسوهاج واللى ما كانش فى الأول كدة كان عبارة عن لجنة حسيتها صغيرة علشان كدة لما طلب منى المحافظ أنه يرشحنى رفضت لأنى حسيت أنها حاجة صغيرة، وجه بعد كدة شكلوا المجلس ونبهنى المحافظ أن قرار التشكيل هيصدر بقرار جمهورى وده دليل على أنه حاجة كبيرة أنا هرشحك مع عدد من الستات، فأنا قلت ماشى بس أنا محبش أبقى تانى واحدة لو كنت أنا اللى همسك المجلس هنا وأبقى رقم واحد يبقى أمين... "

تقول الحالة رقم (١٢) : [*]." كل موضع أنا اشتغلت فيه كان له شبكة علاقات كويسة، أهم ما فى الشبكة دى أنها كانت تلقائية ولم أسعى أبداً إلى استغلالها ولم أرتب لها، حتى أنى معرفتش إن هذه العلاقات يترتب لها ويتم استغلالها فى تحقيق الأهداف والمصالح إلا خلال فترة عملى كمحافظ لجنوب القاهرة"

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا امتلكت شبكة علاقات قوية داخل المجال السياسي أفادتنى كتير على كل المستويات، الوصول لأى حاجة محتاج فيه حد تعرفه ويعرفك علشان يزكيك ويدفعك، أنا شغلت مناصب كتير جداً أهمها أنى جمعت ما بين منصب رئيس المجلس الشعبى وأمين الحزب الوطنى فى سوهاج وده لأنى كنت على علاقة طيبة بالقاهرة، والناس هناك عارفنى كويس ... "

تقول الحالة رقم (١٤) : " أنت مش غريب عنى، أنا جيت فى المكانة دى علشان أعرف فلان [**]... "

تقول الحالة رقم (١٥) : " أنا كانت معرفتى بفلان[***]. بداية دخولى لاتحاد عمال سوهاج، وده خلانى اشتغل وأعمل أشياء كتيرة تسمع عند القيادات، ومن خلال هذا الاتحاد انضميت لعدد من الجمعيات الأهلية فى سوهاج، وشغلى فى أكثر من مكان وفر لى العديد من العلاقات المهمة، وترشيحى لأمانة المرأة فى الحزب كان من خلال دعم الناس دى ليه ... "

تأمُل النصوص السابقة يُفضى إلى التأكيد على أهمية العلاقات الاجتماعية كإستراتيجية لتحقيق نُخْبوية المجال السياسي لدى حالات الدراسة، بل أن هناك من حالات الدراسة من ليس له علاقة بالمجال السياسي، ولكن دخوله لهذا المجال كان من خلال علاقة اجتماعية (الجيرة والزمالة الدراسية) بواحد من أهل النفوذ، وهذا الأخير سمحت له مكانته الوظيفية بإقامة علاقة قوية مع واحد من أعضاء النُخْبة المركزية، والذي بدأ من خلال محافظة سوهاج.

(*) تعاملت هذه الحالة مع الأسئلة الخاصة بشبكات العلاقات الاجتماعية بكثير من التوتر، ومن المتداول عن صاحب هذه الحالة أن هناك علاقة قوية جمعته مع أحد محافظين سوهاج، والذي انتقل إلى محافظة أخرى واصطحب معه صاحب هذه الحالة، ثم ترقى هذا المحافظ إلى منصب وزير، ومنذ بداية هذه العلاقة صعد صاحب هذه الحالة رأسياً داخل المجال السياسي، وبشكل واضح وليس لهذا الصعود أي تبرير لدى إخباريون الدراسة سوى هذه العلاقة.

(**) فلان هذا يعد واحد من القيادات السياسية المرموقة داخل سوهاج، وطلب صاحب الحالة عدم ذكر الاسم.

(***) لقد كان هذا الشخص صاحب مكانة اجتماعية مرموقة، وعضواً بمجلس الشورى، ورئيساً لاتحاد العمال بسوهاج، وعدد من المناصب الأخرى.

ويُدلل الباحث هنا على أهمية رأس المال الاجتماعي فى تحقيق الصعود الرأسي من خلال تأمل النقلات الوظيفية لإحدى الحالات، من مدرس بالتربية والتعليم، إلى مدير مصانع حكومية، إلى رئيس مدينة، إلى رئيس مجلس إدارة شركة حكومية بمدينة سوهاج، هذه النقلات الوظيفية ليس لها رابط منطقي سوى وجود علاقة ما بأصحاب النفوذ.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أشارت إليه "مايسة الجمل" فى دراستها عن النُخْبة السياسية فى مصر ومؤداه أن تجنيد النُخْبة السياسية فى مصر يتم أحياناً

عن طريق شبكات غير رسمية تعبر عن نفسها إما فى شكل "الشلل" أو الدفعة الدراسية الواحدة، أو علاقات المنفعة المتبادلة أو المحسوبية التي تنشا أساساً فى دوائر العمل[١١].

وهذا أيضاً ما أكدته دراسة "روبرت سبرنجبورج" R. Springborg

حول أنماط الارتباط داخل النُخْبة السياسية المصرية، حيث أشار إلى أهمية جماعة الشلة، وزمالة الدراسة فى عمليات الالتحاق بالنُخْبة السياسية فى النظام السياسي المصري، وأكد على أن وظيفة هذه الآليات هي توفير سياق يمكن خلاله تأسيس علاقات شخصية وثيقة ما بين أفراد النُخْبة مما يدعم عمليات التبادل وضمان الولاءات[١٢].

وهذا أيضاً ما أكدته "أميمة أبو الخير" بقولها أن رأس المال الاجتماعي يلعب دوراً مهماً فى الوصول إلى عالم النُخْبة، بل والقدرة على البقاء والاستمرار بنجاح وفاعلية داخل هذا العالم[١٣].

وبناءً على ما سبق، يُمكن الإشارة إلى أنه إذا كان "أحمد زايد" قد أشار إلى نتيجة مشابهة لذلك فيما يتصل بالاتحاد الاشتراكي، مؤداها أن الممارسة السياسية داخله لا تنتظم من خلال جماعات سياسية مُنظمة، وإنما تنتظم من خلال "الشلة"، وتظهر "الشللية" عبر قنوات المصالح الاقتصادية والسياسية والعلاقات الشخصية الحميمة والعلاقات القرابية أو التبعية السياسية[١٤]. فإن الباحث فى سياق الدراسة الراهنة وفيما يتصل بحدود البيانات المرتبطة بحالات الدراسة يُشير إلى أن العلاقات الشخصية الحميمة والعلاقات القرابية أو التبعية السياسية، واتحاد المصالح الاقتصادية والسياسية قد تكون قنوات للمرور والدخول إلى عالم النُخْبة داخل المجال السياسي المعاصر[*].

(*) يمكن التدليل على ذلك أيضاً من خلال أن واحدة من حالات الدراسة في المجال الاقتصادي، تم اختياره أخيراً – بعد أن أنهي الباحث المقابلة معه بفترة طويلة على رأس أمانة أحد الأحزاب فى أحد مراكز سوهاج، ويرتبط صاحب هذه الحالة بعلاقة قرابية قوية مع أمين هذا الحزب بمحافظة سوهاج.

(د) الوراثـــة :-

تكشف البيانات الإمبريقية التي جمعها الباحث من حالات النُخْبة فى المجال السياسي، عن أن دور الوراثة كإستراتيجية لتحقيق النُخْبوية داخل المجال السياسي لم تظهر إلا لدى حالة واحدة من حالات الدراسة، وقد يرجع ذلك إلى الأصول الاجتماعية للأسر التي توافدت منهاً حالات الدراسة، حيث أن جميع حالات الدراسة – باستثناء الحالة (١١) – توافدت من أسر تنتمي للشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، وعدم وجود صلات للوالدين بالمجال السياسي.

أما بالنسبة للحالة (١١) فقد توافدت من أسرة تنتمي لطبقة كبار الملاك، كما أن الأب كان رجل قانون شهير، وعضو بمجلس النواب لفترة طويلة، ولعل هذه الخلفية دفعت هذه الحالة إلى التعامل مع وضعها داخل المجال السياسي كحق شرعي وطبيعي لها، أو بمعنى آخر كان من الطبيعي أن يتم تعينها عضواً بمجلس الشورى، بحكم أن أباها كان عضواً بمجلس نواب الأمة، ولعل النص التالي يدلل على هذه النتيجة :

تقول الحالة رقم (١١) : " والدى كان محامى شهير وعضو مجلس نواب، وكانت له عصبية وقبلية، وكان شخصية أنا مشفتش زيه لحد دلوقتى وما قبلتش زيها لدرجة إنى من وأنا طفلة كنت أتمنى أنى فى يوم من الأيام أبقى زيه ... ورثت محبة الناس لوالدى وزوجى وعلاقاتهم وشعبيتهم وقلت لنفسى ليه ما استغلش كل ده وادخل الانتخابات وأشوف رحت جبت العمد والمشايخ وعملت ليهم اجتماع وقلت لهم الفكرة لقيت اللى موافق واللى معارض، سبت اللى موافق اللى هما فى الأصل من بلدى، وابتديت امسك التانين اللى مش موافقين لغاية ما أقنعتهم ... وقد كان وقفوا معاى علشان خاطر إخلاصهم لزوجى ووالدى واطلعت أعلى الأصوات فى كل انتخابات المحليات اللى فى محافظة سوهاج خدت ٣٩ ألف صوت.أنا كنت أكبر أخواتى وكان دايماً وأنا طفلة والدى ياخدنى معاه فى الجلسات بتاعت المجلس وهو مسافر وكنت أقعد فى السيارة مع السواق وهو يدخل الجلسات، أيامها كنت مبهورة بالمكان، مبهورة بحاجات كتير جداً فى المجلس علشان كدة حسيت لما اتعينت فى مجلس الشورى أنه دى بتاعتى ورثتها من والدى.."

ويكشف النص السابق عن أهمية الخلفية الأسرية التي جاءت منها هذه الحالة، وأن خبراتها مع والدها فى الطفولة شكلت إلى حد بعيد – سواءٌ بوعي منها أو دون وعى – مسارات حياتها، وهذا أكده "دواين مارفيك" Dwaine Marvick فى دراسته حول سياسات النُخْبة، وذلك عندما أشار إلى أهمية ما يتعرض له فرد النُخْبة من عمليات تنشئة اجتماعية وسياسية

داخل الأسرة، فى تشكيل اتجاهاته وقيمه نحو المجال السياسي فى المراحل العمرية التالية، وتحديد مستويات طموحه[١٥].

ولقد لاحظ الباحث أن فكرة الوراثة لا تتأصل فى ذهنيات بعض أفراد النُخْبة فحسب، بل أن هناك بعض المؤسسات التي تُجذر لهذه الفكرة، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال إشارة إحدى الصحف الحزبية الخاصة بمدينة سوهاج إلى أن الحزب قد رشح " فلان " لعضوية مجلس " كذا " عن مقعد العمال خلفاً لشقيقه الراحل، وذلك تقديراً لجهود شقيقه الراحل فى خدمة الدائرة.

ويُشير "على ليلة" إلى هذه الظاهرة بوصفها إحدى الأمراض التي تُعانى منها الأنظمة السياسية فى المجتمعات العربية، والتي قد يترتب عليها أن تتجمد شرايين الإبداع فى هذه المجتمعات، فى ظرف تاريخي يحتاج التعامل معه لكل طاقات الإبداع، وأن تتساقط المشكلات على رءوس سكان هذه المجتمعات من كل حدبٍ وصوب وهم عاجزون عن التعامل معها[١٦].

(٢) مردودات رأس المال السياسي ... حديث فى فاعلية رأس المال السياسي:

يُفضى تأمُل استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال السياسي، والتي تم عرضها فيما سبق إلى أن وصول حالات الدراسة إلى تكوين رصيد من رأس المال السياسي قد جاء بالاستناد على استراتيجيات مختلفة، لا تتضمن أن يكون للفرد تاريخٌ سياسيٌ واضح، أو ممارسات سياسية ثابتة تُعبر عن الإيمان بأيديولوجية ما، ولعل هذا يُضفى العديد من السمات على أفراد هذه النُخْبة، ومن هذه السمات :

أ- القدرة العالية على التكيف مع مُجمل السمات والخصائص البنائية المرتبطة بالمجتمع المصرى، والتحولات التي يشهدها هذا المجتمع، والحرص على عدم تجاوز هذه السمات، على الرغم من أن هذه النُخْبة توجد فى ظروف خاصة، ويُحكم تركيبها وحركتها وأهدافها هذا الواقع البنائي الخاص، وهو واقع التخلف، ويفرز هذا الأخير العديد من المشكلات والعقبات ما يحول دون تحقيق هذه النُخْبة للمهام التاريخية المنوطةً بها فى مثل هذه المجتمعات أو السياقات المحلية التي تنتمي لهذه المجتمعات، ومن صور التكيف لدى هذه النُخْبة قبول شكلانية العمل السياسي، وعدم مراجعة القرارات التي تتصدر إليها من جماعة النُخْبة المركزية بما يتوافق مع السياق المحلى الذي تتواجد فيه.

ب- الابتعاد عن الإبداع السياسي، على الرغم من عدم افتقادهم -أحياناً- القدرات الإبداعية والمهارات الشخصية اللازمة للقيام بمثل هذا الإبداع الذي تحتاجه

مجتمعاتهم المحلية، وهذا الابتعاد المقصود يدفع بهذه الجماعة نحو الدوران فى فلك إبداع النُخْبة المركزية التي هي أبعد ما تكون عن هذا السياق المحلى.

ج- يرتبط بما سبق ميل عام لدى هذه النُخْبة نحو الهرولة تجاه النُخْبة المركزية، من خلال العديد من الآليات المشروعة وغير المشروعة، أو رفع شعار "كله تمام يا أفندم"، دون تجسيد حقيقي لهذا الشعار على أرض الواقع.

د- بروز أشكال من الصراع العلني تارة، والخفى تارة أخرى بين بعض أعضاء هذه النُخْبة، وقد لاحظ الباحث هذه السمة من خلال أن معظم حالات الدراسة تُمثل نُخْبوية حزب سياسي واحد من ناحية، ولضيق حدود المجال السياسي فى مدينة سوهاج من ناحية ثانية، ولعل مثل هذا الصراع قد يُعزى إلى أن هذه النُخْبة تشكلت فى جانبٍ منها عبر شبكات العلاقات غير الرسمية (الشلة والزمالة ..)، ولذلك فإن أي عضو من خارج هذه الشبكات هو موضوع هذا الصراع.

هـ- افتقاد هذه النُخْبة اليقين بإمكانية استمرارها فى هذه المكانة داخل المجال السياسي يدفعها نحو أن يُصبح لها أهدافٌ خاصة ترتبط باستخدام السياسة لتحقيق مطامع شخصية، ويصبح تحقيق هذا الهدف مسألة ميسورة مع توافر الإحساس بملكية المجال السياسي الذي تعمل فيه وإحكام قبضتها عليه، ويتم هذا فى أغلب الأحوال بخلق أشكال من التحالف فى الداخل والخارج، وإعطاء الضوء الأخضر لفئات بعينها دون فئات أخرى، وإغفال الأهداف العامة والقومية بعيدة المدى من أجل أهداف قصيرة المدى، ويتفق هذا مع ما طرحه "أحمد زايد" ومؤداه أن سلوك النُخْبة يكشف دائماً عن ميل "أورليجاركى"، أي نزوع نحو العمل فى جماعات صغيرة، وغلق حدود هذه الجماعات التي يتم تكوينها على ضوء مفهومات الشللية والولاءات الشخصية، وهذا أيضاً ما يجسد مقولة "بورديو" التي مؤداها " شيئاً فشيئاً انغلق المجال السياسي على ذاته ".

ويتأكد الطرح السابق من خلال الكشف عن مردودات رأس المال السياسي لدى حالات الدراسة وذلك على النحو التالي :

(١) تبدلات رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف العامة :

حرص الباحث على هذا العنوان لأسباب عديدة؛ منها توفر رصيد من رأس المال السياسي لدى حالات الدراسة فيما بعد دخولهم للمجال السياسي، ومن المفترض أن يتم استخدام

هذا الرصيد فى تحقيق الأهداف العامة والجمعية داخل محافظة سوهاج، إلا أن البيانات التي جمعها الباحث قد تُؤكد ما هو عكس ذلك، وإن كان هناك أهدافٌ عامة تم تحقيقها فهي أهداف ضعيفة وغير ذات أهمية قياساً بما تحتاجه محافظة سوهاج كواحدة من أفقر المحافظات فى المجتمع المصرى، مثال عمل بطاقات الرقم القومي لمجموعة من السيدات، وإدراج أسماءهن فى الجداول الانتخابية وغير ذلك من قضايا وإنجازات لا تمثل احتياجات المحافظة، وعند الحديث عن إنجازات قوية، تعكس البيانات هرولة كل حالة من الحالات نحو نسب إنجاز هذه الأهداف إلى نفسها، رغم أن هذه الأهداف مطروحة منذ سنوات طويلة وحتى الآن لم تتحقق فعلياً على أرض الواقع، وآخر حدود الإنجاز هو وضع حجر الأساس، وكأن هذا الفعل يحتاج ما يقرب من عقد من السنوات، مثال ذلك طريق سوهاج البحر الأحمر وغير ذلك من المشروعات، ويمكن توضيح ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا اشتغلت بجد فى كل الأماكن اللى اشتغلت فيها قدرت أغير من وضع المرأة فى سوهاج، عملنا بطاقات رقم قومى لآلاف الستات، وأدرجنا أسمائهم فى الجداول الانتخابية، وبنشتغل فى تمكين المرأة اقتصادياً خاصة وأن سوهاج من أفقر المحافظات، وبعدين أنا كنت السبب فى أنى أحول الشئون القانونية فى المحافظة إلى إدارة عامة، وتوليت أنا رئاستها وخدت درجة مدير عام، وده بمساعدة السيد الوزير المحافظ ... ".

تقول الحالة رقم (١٢) : " إن شاء الله العديد من المشروعات قدرنا ننجز فيها، وده علشان كان عندى وضوح فى الهدف العام اللى إحنا بنسعى له، قريباً العديد من المشروعات السياحية والخدمية والتنموية سوف ننتهي منها، طريق الأمل البحر الأحمر، والمطار الجديد، الحاجات دى كلها هتعمل تنمية شاملة فى محافظة سوهاج، ومشروع تنمية الألف قرية الأكثر فقراً، كل المشروعات دى هتغير من الصعيد كله مش سوهاج بس ... ".

تقول الحالة رقم (١٥) : " ... أكتر من ٤٠ حالة امرأة معيلة سواء أرملة أو مطلقة قدرنا نجيبلها معاش شهرى، وحالات علاج على نفقة الدولة، عملنا آلاف بطاقات الرقم القومى بعد ما كانت الستات مش مهتمة بحاجة زى دى، حاجات كتيرة عملناها كلها بتخدم الناس ... محدش ينكر الاهتمام بالمرأة فى سوهاج وفيه نجاحات واسعة فى هذا المجال، كفاية المشاركة السياسية الواسعة ليها إحنا عندنا دلوقتى ما يقرب من ٤٠ قيادة حزبية من الستات، وقريب هيكون عندنا عضوات فى مجلس الشعب والشورى، وده هيكون له أثر كبير على وضع المرأة فى المحافظة ... ".

ويُفضى تأمُل النصوص السابقة إلى الوصول لحالة من عدم الوضوح، وأن حالات الدراسة ليس لها رؤية خاصة بما تحتاجه سوهاج، لأن مُجمل ما يتم الحديث عنه من مشروعات يسمع عنها أبناء سوهاج منذ فترات سابقة لشغل هذه الحالات لمناصبها، إضافة إلى أنها مشروعات قومية، طرحتها النُخْبة المركزية، وتأخرت كثيراً فى تخصيص الدعم المادي لها، ولذلك تأخر تنفيذها سنوات طويلة.

يُضاف إلى ذلك أن خطاب حالات الدراسة فيما يتصل بقضايا المرأة واحتياجاتها هو خطابٌ لا يعكس سوى حالة من الخضوع إلى خطاب النُخْبة المركزية، وهو خطابٌ بعيدٌ تماماً عن المرأة فى محافظة سوهاج، تلك المرأة التي لها وجود ثقافى واجتماعي يتنافى تماماً مع الخطاب المطروح، لقد كان الأهم من هذا كُله عمل تحديث للبنية الثقافية التي تعيش فى ظلها هذه المرأة حتى يُمكن أن يكون هناك مردود لمثل هذه الخطابات.

(٢) رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف الخاصة :-

على الرغم من حرص حالات الدراسة على التأكيد على أن الأهداف الخاصة لم تكن موجودة لديهم، وأن الاعتبار الأول كان للأهداف العامة، إلا أن البيانات الميدانية تؤكد على فاعلية استخدام حالات الدراسة لرصيدهم من رأس المال السياسي فى تحقيق الأهداف الخاصة بهم وبأبنائهم، وقد يمتد ذلك إلى منح الأخوة مكانات اجتماعية ووظيفية مرموقة داخل مدينة سوهاج، وفيما يلي بعض نصوص الحالات حول مكانات أبنائهم ووظائفهم، وقد تمتد بعض النصوص إلى الكشف عن علاقات مصاهرة بالقيادات التنفيذية والأمنية التي توافدت على مدينة سوهاج، وذلك على النحو التالي :

تقول الحالة رقم (١١) : " ... بالنسبة لابنى الكبير كان نفسه يدخل هندسة، لكن أنا ضغطت عليه وقدمت له فى الفنية العسكرية، وفى كلية الشرطة، وقبل فى الاتنين، إلا أننى ضغطت عليه وخليته يروح الشرطة، وبعدها تخرج ولأن الشرطة مكنتش من رغباته، خله خاله يضغط عليه علشان يحول نيابة، وهو دلوقتى رئيس نيابة، ابنى التانى دخل كلية الحقوق وبعدها نيابة علطول، وهو دلوقتى قاضى، وابنى التالت دخل تجارة وهو دلوقتى محاسب فى الضرايب، وأنا دخلته كدة علشان كنت محتاجة واحد من الولاد يورث شعبية أبوه، وفعلاً دخل انتخابات المحليات ونجح رغم أن سنه ٢٦ سنة، أما ابنى الصغير هو ضابط شرطة، مواليد ١٩٨٥، وأنا أصريت أنه يدخل أمن الدولة، رغم أنهم قالوا أن إحنا معندناش السن ده لسة صغير خالص على أمن الدولة، لكن الحمد لله ربنا وفقنى وهو دلوقتى ضابط فى أمن الدولة ... بالنسبة

لجوازاتهم معاى واحد واخد بنت مساعد أول وزير الداخلية، وكان ساعة النسب مدير الأمن هنا، والباقى على نفس المنوال كلها جوازات تشرف ... ".

تقول الحالة رقم (١٢) : " أنا الحمد لله معاى ولد وبنت، الولد دخل شرطة وهو حالياً فى أمن الدولة، والبنت متجوزة من ابن عمها وهو ضابط شرطة برده ... أنا عمرى ما كان لى هدف خاص زى الحاجات اللى أنت بتسال عليها، لكن أقدر أقولك أنها تحققت بالتبعية، يعنى أنا نيتى كانت خالصة للعمل والحاجة اللى تهم الناس ... ".

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا معاى ابنى الكبير وهو ملازم أول، والثانى محاسب فى أحد البنوك، ومعاى كمان بنتين متجوزين والحمد لله ... ".

تقول الحالة رقم (١٤) : " أنا معاى ولد خلص كلية طب، والبنت أخت صيدلة، وأنا كنت حريص على أنى مدخلش فى تعليمهم خالص ... ".

تقول الحالة رقم (١٥) : " معاى ابن واحد خد ثانوية عامة بمجموع ٩٢٪ ودخل الكلية الحربية وخلص الحمد لله ... البداية عمرو كان عاوز هندسة ... أنا أشعر بإحراج أنى أكلم حد فى حاجة ليا أنا، ومع ذلك كانت الناس اللى أعرفها بتتصل بية وتقولى أنت مقدمة لابنك فى الحربية طيب ليه متقوليش ... طيب إدينا بياناته الناس كلها خدمتنى فى الموضوع ده رغم أنى معملتش حاجة للمسئولين دول ... ".

تكشف النصوص السابقة حرص أغلب حالات الدراسة على تسكين أبنائهم فى مكانات اجتماعية ذات سلطة ونفوذ، وبمعنى آخر هي محاولة الاستفادة من أرصدتهم من رأس المال السياسي وشبكات علاقاتهم الاجتماعية فى المجال السياسي، فى إعادة إنتاج مكاناتهم العُليا فى صورة مكانات وظيفية للأبناء، بشرط أن تكون هذه المكانات الوظيفية ذات رصيد عالي من النفوذ والسلطة، ويطلق "بورديو" على هذه الحالة توصيف مؤداه أن هناك ميل أبوي للاستمرار من خلال الإنسان[١٧]. والذي هو فى هذا السياق عبارة عن الابن.

وفكرة ميل النُخْبة إلى استخدام أرصدتها من رأس المال السياسي فى تحقيق أهدافها الخاصة، أكدها "أحمد زايد" واعتبرها سمة من سمات النُخَب فى العالم الثالث، خاصة وأن تحقيق هذه الأهداف الخاصة تكون عملية ميسورة[١٨].

(٣) النُخْبة السياسية ورأس المال الجمعي :-

يكشف خطاب حالات الدراسة عن حيازة أصحاب هذه الحالات لرصيد كبير من رأس المال الجمعي، والذي تختلف مكوناته من حالة إلى أخرى، إلا أن هُناك تشابه ما بين حالات الدراسة

فيما يتصل بفاعلية هذا الرصيد، والقدرة على استخدامه فى تحقيق الأهداف التي يرمون إليها، وسوف يتضمن الحديث عن رصيد حالات الدراسة من رأس المال الجمعي، الإشارة إلى تبدلات أرصدة رأس المال المختلفة لدى حالات الدراسة من شكل إلى آخر.

ويشتمل هذا الرصيد من رأس المال الجمعي على رصيد من رأس المال الاقتصادى، وعلى الرغم من امتناع جميع حالات الدراسة عن الحديث عن أرصدتهم من رأس المال الاقتصادى(*). إلا أن إلقاء نظرة سريعة على العديد من المظاهر المقترنة بحالات الدراسة يكشف عن أرصدة عالية من رأس المال الاقتصادى، ومن هذه المظاهر موديلات السيارات الخاصة بهم وماركاتها العالمية، والأماكن التي يقيمون فيها والشقق التي يسكن فيها أبنائهم والتي قد يصل سعر الواحدة منها ما بين ٢٥٠ ألف جنية و٣٠٠ ألف جنية، بل أن هناك من الحالات من يمتلك إحدى الشقق فى أرقى الأماكن وأغلى الأبراج السكنية سعراً ويستخدمها كمكتب لخدمة المواطنين.

ويعتقد الباحث أن الحديث عن عملية تحويل رأس المال السياسي إلى رأس المال الاقتصادى لدى أفراد النُخْبة بشكل عام هو حديث غير مفضل، والهروب منه آلية تلقائية، إلا أنه من العمليات التي تحدث –أحياناً– داخل المجتمع المصرى، ولقد أشار "ابن خلدون" إلى ذلك بقوله "أن صاحب الجاه مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه فى سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه، فالناس معينون له بأعمالهم فى جميع حاجاته من ضروري أو حاجى أو كمالي، فتحصل قيم تلك الأعمال كلها من كسبه وجميع معاشاته ... ولهذا المعنى كانت الإمارة أحد أسباب المعاش"(١٩).

وتحوز بعض حالات الدراسة رصيداً من رأس المال الثقافى، ولقد كان لهذا الرصيد دوراً مهماً فى تحقيق النُخْبوية فى المجال السياسي، ومن الحالات من استفاد من هذا الرصيد فى تحقيق العديد من الفوائد داخل المجال السياسي وخارجه، وقد يتضح ذلك من النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا كنت فاهمة قانون كويس ودى حاجة أنا كررتها لك لأنى هي حاجة أنا أعتز بها، لأن تفوقى فى كلية الحقوق، وحبى للقانون خاصة وأن الوالد كان رجل

(*) ونظراً لامتناع حالات الدراسة بشكل مباشر أو غير مباشر عن الحديث فى هذه الفكرة، حاول الباحث استخدام الملاحظة المباشرة للوصول لبيانات حول هذه الفكرة، ومن ناحية ثانية استخدم الإخباريين فى جمع بيانات ترتبط بهذه الفكرة.

قانون، وحبى لشغلى من ناحية تانية ساعدنى كتير على أنى أكسب ثقة كل المحافظين اللى اشتغلوا فى سوهاج، ودايماً كانوا بيسألونى عن رأى القانون فى أمور كتيرة ولأنى كنت أدلهم على الحاجة اللى صعب أن يحصل فيها تانى كلام كانت علاقتى بيهم قوية، خاصة أنهم كانوا مع الوقت يعرفوا والدى مين وأخواتى مين وده كان يخيلهم يتعاملوا معاى بشئ من المودة، ودى كلها حاجات يمكن تكون فادتنى قوى فى حاجات كتيرة كويسة حصلت لية من خلال شغلى...".

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا بعد ما خلصت رسالة الدكتوراه، قدرت بعد كدة أمسك أمين الحزب، ومسكت رئاسة المجلس المحلى، وبعدها بفترة عملت معهد الكمبيوتر اللى أنا دلوقتى العميد بتاعه، والدكتوراه بالنسبة لية كان حاجة أنا مصر عليها وبعد كدة حسيت أنها كانت من الأشياء الهامة اللى أنا عملتها ... كسبت فوايد كتيرة من المعهد أهمها أنى خدمت محافظة سوهاج فى وجود معهد زى كدة ... ".

كشفت البيانات الميدانية عن أن رصيد حالات الدراسة من رأس المال الاجتماعي يُعد من أقوى مكونات رأس المال الجمعي، خاصة أن هذا الرصيد تضمن شبكات علاقات اجتماعية قوية، يتنوع أطرافها ما بين نُخَب المجالات الأخرى فى مدينة سوهاج، وبعض أفراد من النُخْبة المركزية، والتي أورد بعض حالات الدراسة أسمائهم خلال المقابلات، وأشاروا إلى طبيعة الدور الذي لعبه هؤلاء الأفراد معهم، كما كانت هناك إشارت ضمنية عن أفراد ينتمون للنُخْبة المركزية ولكن دون الإشارة إلى الأسماء، وفيما يلي عدد من النصوص التي توضح ذلك :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا بعد ما توفى جوزى وهو كان العمدة فى البلد، قررت أنى محدش يبقى عمدة بعده، وسعيت بكل علاقاتى علشان ألغى العمدية فى البلد وأخليها نقطة شرطة، ...وفعلاً نجحت فى كدة واتبرعت بمساحة أرض واسعة اللى هي كانت الدوار علشان يعملوا فيها نقطة شرطة، وكمان شقة علشان سكن الضباط ... تجمعنى علاقة قوية بالدكتورة "فرخندة حسن" وأنا قريبة منها واستفدت منها كثيراً جداً..".

تقول الحالة رقم (١٢) : " أنا بحكم أنى عضو فى الأمانة العامة، وقبل كدة نائب لمحافظ القاهرة فى المنطقة الجنوبية، كونت شبكة علاقات كويسة أعرف أشخاص كتير من الناس الكبار..، والمعرفة دى أنا بستفيد منها فى تحقيق مهام وظيفتى والمهام اللى بتكلف بيها، عمرى ما حاولت أستفيد بشكل شخصى ... لكن العلاقات دى كلها مهمة ... وداخل سوهاج أعرف كل القيادات داخل المؤسسات المختلفة، وكل أعضاء مجلس الشعب والشورى أعرفهم جيداً

وفيه تعاون بينى وبينهم وأنا بشكل دائم مدعو فى كل الاحتفاليات التي تتم داخل سوهاج بشكل رسمى بحكم منصبى ".

تقول الحالة رقم (١٣) : " أنا من ضمن الناس اللى اتعرضت للعزل السياسي عام ١٩٧١م، لكن بعد كدة التقيت بالدكتور أحمد كمال أبو المجد وتم رد الاعتبار فى نفس العام ... كانت تجمعنى علاقة طيبة جداً بمنصور حسن وكان له دور كبير معى، وساندنى دائماً خلال فترة عملى داخل الحزب ... هناك أشياء كتيرة فى هذا الموضوع وخلاصتها أن كل مرحلة من مراحل عملى داخل المجال السياسي كان لها علاقاتها القوية والمساندة ... ".

ثالثاً : نُخْبة المجال السياسي والمجتمع المدني ... وصايةٌ أم اتصال :-

تكشف البيانات الميدانية التي جمعها الباحث من خلال الدراسة عن علاقات متبادلة ما بين حالات الدراسة من النُخْبة السياسية والمجال المدنى، وبمعنى آخر تُؤكد البيانات على أن حالات النُخْبة السياسية لها طابعٌ مدني، ولكنها ليست نُخْباً مدنية خالصة، كما أن النُخْبة السياسية ترتبط بالدولة، ولكنها ليست مقطوعة الصلة بالحياة المدنية، حيث أن هناك عدداً من حالات الدراسة يشرف على عدد من المؤسسات والجمعيات المدنية، ويمكن توضيح ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١١) : " أنا رئيس مجلس إدارة جمعية تحسين الصحة، وعضوة فى عدد من الجمعيات الأخرى، وأنا سعيدة بذلك العمل الاجتماعي، على الرغم من أن هذا العمل فى البداية اتفرض على من قبل المحافظ، وأنا فى الأصل كنت جاية لفترة مؤقتة، لكن لما اشتغلت فيها تمسكت بيها جداً، ولقيت انها عمل هيضفلى حاجات كتير مكنتش موجودة عندى ... ".

تقول الحالة رقم (١٤) : " أنا كمان رئيس مجلس إدارة جمعية تنمية المشروعات الصغيرة والحرفية، ورئيس الغرفة التجارية بسوهاج ... ".

تقول الحالة رقم (١٥) : " كانت بداية شغلى فى العمل الاجتماعي من اتحاد العمال، ولما حس رؤساء جمعيات أخرى بدورى ابتدوا يدعونى لمجلس إدارة جمعياتهم، وفعلاً التحقت بأكثر من جمعية، وأديت فيها أدوار مهمة كانت لها تأثير فى أن الناس تعرف دورى وأنى مؤثرة داخل هذا المجال ... ".

وتأمُل هذه النتيجة والنصوص التي تُؤكدها يُفضى إلى ضرورة مراجعة التُراث النظري الخاص بالدولة (المجال السياسي)، والمجتمع المدني، حيث أن تراث دراسة الدولة قدم الكثير حول استقلال ما هو سياسى، كما قدم تُراث دراسة المجتمع المدنى الكثير حول استقلالية

المجال المدنى عن المجال السياسي، إلى درجة أن هذه الاستقلالية أصبحت أحد المعايير الأساسية فى تعريف ما يُطلق عليه المجتمع المدنى.

ويُؤكد "أحمد زايد" فى هذا السياق على أن المجال السياسي لا يسمح –ولا يُمكن أن يسمح– للمجال الاجتماعي أن يستقل استقلالاً كاملاً، وأن المجتمعات ذات الحزب الواحد تُقدم بعض الشواهد على مبدأ قيام الدولة أو المجال السياسي بالرعاية أو الوصاية، حيث يصبح المجال الاجتماعي ربيباً للسياسي فيتكفل هذا الأخير بتربيته ورعايته والإنابة عنه والتحدث بصوته ولا تقتصر سيطرة المجال السياسي على المجال الاجتماعي أو المدني على مجرد السيطرة التشريعية، أو التدخل فى شئونه، ولكنها تشتمل أيضاً على تواجد مستمر داخل المجال الاجتماعي، فالمجال السياسي لا يكف عن أن يبث رجاله ونسائه عبر المجال الاجتماعي المدني من خلال عضوية الجمعيات الأهلية أو رئاسة مجالس إدارتها، بحيث نرى الرجل (المرأة) من هؤلاء يقف بقدم داخل المجال الاجتماعي وبأخرى داخل المجال السياسي، يأخذ من هنا ومن هناك، ويجمع مكاسب وسلطات حيثما كان، وقد يسعى بعض هؤلاء –وبتوجيه من المجال السياسي– إلى تأسيس مؤسسات غير حكومية، وإلى العمل على ربط هذه المؤسسات ربطاً وثيقاً بمؤسسات الدولة، بل أن الدولة نفسها قد تنشأ بعض التنظيمات التي تبدو وكأنها جزء من المجتمع المدنى[٢٠]. قد ينسحب ذلك على المجلس القومي للمرأة والذي ترأس فرعه بسوهاج إحدى حالات الدراسة من النُخَب السياسية.

ومن ناحية أخرى فإن هناك العديد من الأفراد من يتخذ من عمله داخل المجال المدنى وسيلة للهرولة إلى المجال السياسي، وينطبق هذا على الحالة (١٥) من حالات النُخْبة السياسية.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أشار إليه "حسنين توفيق إبراهيم" فى هذا السياق بقوله: أنه على الرغم من التمدد الكبير الذي حدث في عدد تنظيمات المجتمع المدنى منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، إلا أن نمط علاقة الدولة بهذا المجتمع لم يتغير كثيراً عما كان عليه الوضع فى ظل التنظيم السياسي الواحد؛ حيث استمرت الدولة على نهجها الرامي إلى فرض نوع من السيطرة على مؤسسات المجتمع المدنى، ولهذا فإن العلاقة بين الدولة والمجتمع المدنى هي علاقة غير صحية[٢١].

وهذا أيضاً أكدته "أميمة أبو الخير" فى دراستها عن النُخْبة النسوية من خلال إشارتها إلى وصاية الدولة على مؤسسات المجتمع المدنى من ناحية، وقيامها بإنشاء مؤسسات مدنية خاصة بقضايا المرأة، مع عدم التخلي عن الوصاية عليها من ناحية ثانية[٢٢].

التعقيب :

تؤكد مُجمل البيانات التي تم عرضها خلال هذا الفصل على حقيقة هامة، مؤداها ليس من الضروري أن يكون لدى الفرد رصيد سابق من رأس المال السياسى حتى يصبح من نُخْبة المجال السياسى.

ويمكن التدليل على هذه الحقيقة من خلال الإشارة إلى أهم إستراتيجيات تحقيق النخبوية لدى حالات الدراسة فى المجال السياسى، والتي منها التعبئة والتعيين، والفرصة السياسية، ورصيد رأس المال الاجتماعى، وأخيراً الوراثة.

ويضاف لما سبق أن معظم حالات الدراسة لم يكن لدى أصحابها رصيد سابق من رأس المال السياسى، ولكنه بدأ فى تكوين رأس المال السياسى بعد دخوله إلى المجال السياسى من خلال إحدى الإستراتيجيات السابقة.

وقد جاء استخدام حالات الدراسة لرصيدها من رأس المال السياسى فى ناحيتين، تتصل الناحية الأولى بالحفاظ على المكانة التى وصلت إليها، وتتصل الناحية الثانية بتعبئة رصيد رأس المال السياسى نحو تحقيق الأهداف الخاصة.

ويعكس ما سبق سمة مهمة للمجال السياسى وهى أنه مجال مغلق، ولا يتحرك الفرد داخله بحرية، ولكن هناك العديد من القيود التى قد تضعها النُخْبة المركزية للحفاظ على استمراريتها.

ويشير الباحث هنا إلى أنه إذا كان المجال السياسى لا يسمح للمجال الاجتماعى أن يستقل استقلالاً كاملاً، فإن النُخْبة المركزية لا يمكن أن تسمح للنُخَب السياسية فى السياقات المختلفة أن تتحرك بحرية، ولعل مثال هذه الفكرة تقلل من فاعلية رأس المال السياسى وقدراته بالنسبة لحالات الدراسة.

هوامش الفصل السادس

(١) انظر فى ذلك :

- أحمد زايد، نُخْبة ما بعد الاستعمار، مجلة الديمقراطية، العدد ٢٥، مرجع سابق، ص٤٣.
- عبد الباسط عبد المعطى، الطبقة الوسطى المصرية، مرجع سابق، ص ٧٩.

(٢) مايسة الجمل، النُخْبة السياسية في مصر، مرجع سابق، ص ٢١١.

(٣) مديحة أحمد عبادة، المرأة فى مواقع القيادة فى القطاع الحكومي، المجلس القومي للمرأة، سوهاج، ٢٠٠٨م، ص ٣.

(٤) سامية سعيد، من يملك مصر، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٥) مايسة الجمل، النُخْبة السياسية في مصر، مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٦) بورديو، بؤس العالم، الجزء الثالث، ترجمة رندة بعث، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠١م، ص٤٢٧.

(٧) أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٥٢٨.

والملفت للنظر فى مدينة سوهاج أن التلوين الأيديولوجي لم يكن قاصراً على أفراد النُخْبة، حيث أن المبنى الذي يتضمن الآن مقر الحزب الوطني هو ذاته كان فى مراحل سابقة مقر للاتحاد القومي، وللاتحاد الاشتراكي.

(٨) أميمة أبو الخير، النُخْبة النسوية ... دراسة سوسيولوجية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم علم الاجتماع بجامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٣٧.

(٩) انظر فى ذلك :

- المرجع السابق، ص ٣٨.
- محمد بن صنيتان، النُخَب السعودية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٤٤.

(10) Hein – Anton, Van Der – Heijden, Globalization,Environmental Movements, and International Political Opportunity Structures, Organization Environment, Vol. 19, No. 1, March 2006, P. 28.

(١١) مايسة الجمل، النُخْبة السياسية فى مصر، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(12) Robert Springborg, Patterns of Association in the Egyptian Political Elite, in Political Elites in the Middle East, Edited by

George Lenczowski, American Enterprise Institute for Public Policy Research, Washington, 1975, PP. 97- 99.

(١٣) أميمة أبو الخير، النُخْبة النسوية، مرجع سابق، ص ٣٣.

(١٤) أحمد زايد، البناء السياسي فى الريف المصرى، مرجع سابق، ص ٤٧٤.

(15) Dwaine Marvick, Elite Politics: Values and Institutions, American Behavioral Scientist, Vol. 21, No.1, 1977, P. 126.

(١٦) على ليلة، النظام العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ٩٨.

(١٧) بورديو، بؤس العالم، مرجع سابق، ص ١٨٥.

(١٨) أحمد زايد، نُخَب ما بعد الاستعمار، مرجع سابق، ص ٤٤.

(١٩) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٤٣١.

(٢٠) أحمد زايد، تناقضات الحداثة فى مصر، مرجع سابق، ص ص ١٧٧-١٧٨.

(٢١) حسنين توفيق إبراهيم، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦من ص ص ١٧٠-١٧٣.

(٢٢) أميمة أبو الخير، النُخْبة النسوية، مرجع سابق، ص ص ٢٩-٣٠

الفصل السابع

رأس المـال الدينـــى وتشكيل النُخْبة الدينية

- تمهيـــد.
- أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية.
  - ١ - أسرة النشأة ... الأصول والخصائص.
  - ٢ - أسرة النشأة ... جذور رأس المال الديني.
  - ٣ - الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الدينية.
  - ٤- النُخْبة الدينية ... الأنشطة الرئيسية والمضافة.
- ثانياً : تشكيل النُخْبة الدينية.
  - ١ - فاعلية رأس المال الديني.
  - ٢ - تبدلات رأس المال الديني ومردوداتها.
    - أ - رأس المال الثقافى.
    - ب- رأس المال الاجتماعى.
    - جـ- مردودات رأس المال الديني ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.
- ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الديني.
  - ١ - الوراثـــة.
  - ٢ - التعليم الديني.
  - ٣ - رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الديني.
- التعقيـــب.

تمهيـد :

يختص هذا الفصل بالكشف عن دور رأس المال الديني فى تشكيل النُخْبة الدينية فى مدينة سوهاج، وذلك من خلال البيانات والمعطيات الميدانية التي تم جمعها من أربع حالات من نُخْبة المجال الديني.

ويتضمن الفصل عرض لظروف نشأة حالات الدراسة، وخصائصهم الاجتماعية، وذلك من خلال التعرض لأسرة النشأة من ناحية الطبقة التي تنتمي إليها، وعلاقة هذه الأسرة بتكوين رأس المال الديني لدى حالات الدراسة، يأتي بعد ذلك عرض لأهم الخصائص الاجتماعية لحالات الدراسة والأنشطة الرئيسية التي يقومون بها داخل المجال الديني، والأنشطة المضافة سواء داخل المجال الديني أم خارج حدوده.

ويكشف هذا الفصل عن تشكيل النُخْبة الدينية، بالاعتماد على فاعلية رأس المال الديني وحركة تبدلاته لدى حالات الدراسة ومردود هذه التبدلات وعلاقتها بعملية تشكيل النُخْبوية فى المجال الديني.

وتمتد عملية متابعة تشكيل النُخْبة الدينية، للكشف عن أهم الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها حالات الدراسة لتحقيق النُخْبوية داخل المجال الديني، وفى هذا السياق سوف يعرض الباحث لعددٍ من الاستراتيجيات التي كشفت عنها البيانات الميدانية وهى؛ الوراثة، والتعليم الديني،و رصيد كل حالة من رأس المال الجمعي، الذي يُعد محصلة لتبدلات رأس المال الديني، ويختتم الباحث هذا الفصل بالتعقيب على ما تم التوصل إليه من نتائج فيما يتصل بنُخْبة المجال الديني.

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية :-

ترصد الدراسة هنا الأصول الطبقية والخصائص الاجتماعية لحالات النُخْبة داخل المجال الديني فى مدينة سوهاج، وذلك بالاعتماد على المعطيات الميدانية التي جمعها الباحث من خلال المقابلات التي أجراها مع عددٍ من الحالات، وذلك من خلال العناصر التالية :

(١) أسرة النشأة ... الأصول والخصائص :-

توضح البيانات الإمبيريقية توافد جميع حالات النُخْبة الدينية من الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، وهذا ما توضحه النصوص التالية التي يتحدث من خلالها أصحاب الحالات عن الأسر التي نشأوا فيها، وذلك على النحو التالي :

تقول الحالة رقم (١٦) : " نشأت فى أسرة، يعنى لا نقول من الأسر اللى هى غنية ولا

هى فقيرة، وإنما هى متوسطة الحال، الحمد لله أسرة متدينة، الوالد كان من رجال الأزهر السابقين، الذين عملوا فيه طوال حياتهم ... ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ولدت فى مدينة ساقلتة، فى أسرة متواضعة، والدى كان تاجر مشهور "منى فاتورة"، وكان محب لعلماء الأزهر ورجال الدين، ولم ينل إلا قدر ضئيل من التعليم، وهو المرحلة الأولى فقط، إلا أنه كان محب لرجال الدين، ويتمنى أن يكون أحد أولاده رجل دين ... ".

تقول الحالة رقم(١٨) : " نشأت فى قرية من قرى سوهاج، ووالدى كان

خريج الأزهر، وأسرتنا كلها نشأت فى التعليم الديني، وكان الوالد مدرس فى إحدى مدارس الأزهر ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " أنا من أسرة عادية جداً، أبويا من رجال الدين فى القرية التي عشنا فيها، ولم يحصل الوالد على قدر من التعليم، لكنه كان حافظ للقرآن، وكان يعمل إمام لأحد المساجد فى القرية، وكان قارئ للقرآن، وقد كان له أكبر الأثر فى تعليمى الأزهرى، وتحفيظى للقرآن فى وقت مبكر ".

تأتى الأصول الطبقية لحالات الدراسة من النُخْبة الدينية متماثلة – إلى حد ما - مع تلك الأصول الطبقية لحالات الدراسة من النُخْبة داخل المجالات المختلفة التي تعرضت لها الدراسة، وليس هذا بالغريب، حيث تتوزع الطبقة الوسطى أو تكاد على مدى اتساع بنية الفضاء الاجتماعى، وبالتالي تتوزع داخل جميع مجالات هذا الفضاء، ولهذا يكون من المنطقي أن يتوافد عدداً لا بأس به من نُخْبة كل مجال من هذه الطبقة.

ويُلخص "حسن حنفي" هذه النتيجة بكلماته الدالة والعميقة، حيث أشار إلى أن أبناء الطبقة الوسطى هم رجال الدولة وأجهزة الحكم، وهم أدوات التحديث، وهم القادرون على البناء والعمران، ومن مصلحتهم الاستقرار والنظام ومراعاة القانون حتى يستمروا فى مناصبهم، فالسلطة السياسية لها الأولوية على السلطة الاقتصادية، فالسلطة جاه وقوة أولاً قبل أن تكون مالاً وثراءً، وتعكس الطبقة الوسطى أخلاق الاعتدال دون التطرف نحو أخلاق الطبقة العليا أو أخلاق الطبقة الدنيا، وبقدر ما تكون الطبقة الوسطى ليبرالية فى رؤية العالم إلا أنها تُمارس أخلاقاً تقليدية محافظة، تتمثل فى أخلاق السيف والقلم، تُبرر سلطة الحكم وتدافع عن أيديولوجية النظام، وقد ينضم إليها رجال الدين ونُخْبته، فأولئك هم الذين يوفرون الشرعية الدينية للنظام، كما يُوفر المثقفون الشرعية الأيديولوجية[١].

(٢) أسرة النشأة ... جذور رأس المال الدينى :-

تكشف نصوص معظم حالات الدراسة من النُخْبة الدينية عن أن جذور تكوين رأس المال الديني لديهم، تمتد داخل الأسر التي توافدوا منها، سواء كان ذلك عبر الوراثة أو إعادة إنتاج الأب فى صورة الذات، أو من خلال توجيهات الآباء، وتحقيق طموحاتهم فى أن يكون الابن رجل دين، لما لهذا الرجل – أي رجل الدين – من رصيد مرتفع من الاحترام والتقدير، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١٦) : " ... الوالد كان من رجال الأزهر السابقين، لذلك نشأت على التربية الإسلامية الصحيحة، وكان هم والدى الأوحد أن أكون من طلاب العلم بالأزهر الشريف، بعد أن حفظت القرآن على يد الوالد عليه رحمة الله ... ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ... والدى كان تاجر مشهور "منى فاتورة"، وكان محب لعلماء الأزهر ورجال الدين، ... ويتمنى أن يكون أحد أولاده رجل دين ... لما كان أى واعظ يأتى للبلد، يحتفى به والدى تماماً، ويفتح معه حواراً حول أمانيه بأن يكون أحد أولاده رجل دين ... ".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... قريتى التي نحن بصددها مشهورة بالتعليم الأزهرى، أكثر من ٩٨٪ منها يتجهون للأزهر، ووالدى كان أيضاً خريج الأزهر ... تعلمت منه الكثير، فقد كان محب ومولع بالأزهر ... لى أخ إمام مسجد ... وكان والدى مهتم بحفظنا للقرآن وإحنا فى سن صغيرة ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... أبويا من رجال الدين فى القرية التي عشنا فيها، ... كان حافظ للقرآن، وكان يعمل إمام لأحد المساجد، وكان قارئ للقرآن، وقد كان له أكبر الأثر فى تعليمى الأزهرى، وتحفيظى للقرآن فى وقت مبكر ... ".

ومن خلال النصوص السابقة، يمكن التأكيد على دور الأسرة فى تهيئة حالات الدراسة منذ الطفولة للاهتمام بالدين وما يرتبط به من ثقافة وتعاليم، فإليها يرجع بداية تكوين رأس المال الديني وجذوره.

وتدعم هذه النتيجة مُجمل التراث النظري فى علم الاجتماع الخاص بالأسرة، والذي أكد على أهمية وفاعلية الأسرة فى تشكيل أبنائها وتحديد توجهاتهم، وذلك من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية، وفى نفس هذا السياق، ذهب أحد الباحثين إلى أن وجود الأسرة يعتمد على دورها التربوي والرمزي، ذلك الدور الذي يُحول الإجبار والالتزام إلى "حب"، وإلى استعداد، وميل لحب الأشياء التي تتضمن هذا الجبر، وينبع هذا الحب من خلال خلق الأسرة

لحالة من التعود والألفة ما بين أطفالها والأذواق والاتجاهات التي تم تحديدها[٢].

وفى نفس هذا السياق، يذهب "أحمد عمر هاشم" إلى أن الأسرة يمكنها القيام بالخطاب الديني العملي والتطبيقي فيما تُمارسه مع أفرادها وأبنائها فى معاملاتهم ومحادثتهم والتعامل معهم، فالأسرة هي المحصن الأول والمدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء من آبائهم وأمهاتهم الخطاب الديني، بالتوجيه والحديث مرة، وبالفعل والسلوك مرة، وبالممارسة قولاً وفعلاً، وكما يقول الشاعر[٣]:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوّده أبوه

(٣) الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الدينية :-

(أ) الحالة العُمرية :-

توضح البيانات الميدانية ارتفاع أعمار حالات النُخْبة الدينية، وتأتى هذه النتيجة متفقة إلى حد كبير مع مثيلاتها داخل المجالات المختلفة التي تعرضت لها الدراسة، ولعل هذا فى مُجمله يأتي متفقاً مع عدد من الدراسات التي أشارت فى نتائجها إلى صعوبة الحراك داخل المجتمع المصري، وارتفاع الحالات العُمرية لأصحاب النُخْبوية والمراكز القيادية داخل المؤسسات المختلفة فى المجتمع المصري.

(ب) الحالة التعليمية :-

تكشف البيانات الخاصة بالحالة التعليمية لحالات الدراسة عن حصول جميع حالات الدراسة على مؤهل جامعي يتمثل فى ليسانس أصول الدين من جامعة الأزهر، وتؤشر هذه النتيجة على سيطرة الأزهر ورجاله على المجال الديني، وهذه النتيجة تتفق مع عدد من الدراسات التي اهتمت بدراسة الجماعة الدينية ودورها فى المجتمع المصري[٤].

(جـ) الحالة الاجتماعية :-

تشير بيانات الحالة الاجتماعية إلى أن جميع الحالات من المتزوجين، ولعل هذه النتيجة تأتى مُتسقة مع مبادئ الدين الإسلامي وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة إذا ما أشار الباحث إلى أن جميع حالات الدراسة تزوجوا بمجرد إستلامهم العمل، أي أن الزواج جاء فى مرحلة مبكرة، وفى هذا السياق أشارت أكثر من حالة من حالات الدراسة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي قال فيه (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءً فليتزوج) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(د) النُخْبة الدينية ... الأنشطة الرئيسة والمُضافة :-

يعرض الباحث فيما يلي المكانات الوظيفية التي تشغلها حالات النُخْبة الدينية، وما يرتبط بهذه المكانات من الأنشطة الرئيسة الرسمية داخل وزارة الأوقاف بسوهاج، ومجمل هذه الأنشطة ترتبط بتنظيم حركة الدعوة الدينية، وتنظيم العمل داخل المؤسسات الدينية ورجال الدين داخل المجتمع، وتنفيذ ما يصدر إليهم من تعليمات من خلال مقر الوزارة بالقاهرة.

كما تقوم حالات الدراسة بالعديد من الأنشطة المُضافة داخل المجال العام لمدينة سوهاج، ومن هذه الأنشطة؛ المشاركة فى إلقاء الندوات الدينية، المشاركة فى الاحتفالات الدينية وغير الدينية التي يتم دعوتهم إليها، والمشاركة فى عدد من الأنشطة الاجتماعية التي يتم إضفاء البُعد الديني عليها، وتتواجد فيها جماعات النُخْبة الدينية؛ مثال إنهاء الخصومات الثأرية وغير ذلك.

ثانياً : تشكيل النُخْبة الدينية :-

أكدت الدراسة من خلالها إطارها النظري على أن رأس المال الديني لا يختلف عن أي شكل من أشكال رأس المال الأخرى من حيث القوة والفاعلية، وقد تعمل حركة رأس المال الديني داخل المجال الديني على تشكيل نُخْبوية دينية لها سماتها وأهدافها واستراتيجياتها.

وتأتى الدراسة الراهنة من خلال هذا الموضع للكشف عن ما تحدثت به المعطيات الميدانية حول تشكيل النُخْبة الدينية، ومدى فاعلية رأس المال الديني فى هذه العملية، وأهم تبدلات ومردودات رأس المال الديني على حالات الدراسة من نُخْبة المجال الديني فى مدينة سوهاج، وذلك على النحو التالي :

(١) فاعلية رأس المال الدينى :-

تكشف البيانات الميدانية عن إيمان واضح لدى حالات الدراسة بأهمية رأس المال الديني وفاعليته داخل المجال الديني، بل وقد تمتد هذه الفاعلية داخل المجالات الأخرى، وذلك بالاستناد على القبول الاجتماعى والاحترام العام لرجال الدين خلال حركتهم داخل المجتمع، وكل هذا نابع من الاتفاق الجمعي على القيمة التي تكمن فى رجال الدين داخل السياقات الاجتماعية المختلفة، ويمكن التدليل على هذه النتيجة من خلال النصوص التالية لحالات الدراسة داخل المجال الديني:

تقول الحالة رقم (١٦) : " ... لا يزال بلدنا بخير، تتعامل الناس مع الدين بكل قدسية واحترام، وشعبنا شعب متدين، ويمنح رجال الدين كل احترام وقدسية، إيماناً منهم بأن هؤلاء

الرجال يدعون إلى دين الله، الدين ما زال قوى، وسبب قبول الناس لنا هو إيمانهم القوى بإسلامهم ودينهم، ومن الصعب أن تجد رجل عادى يقلل من شأن رجال الدين، على الرغم من أن هناك رجال دين ليسوا على قدر المسئولية، ومع ذلك تعامل الناس معنا يشعرنا بأهمية الرسالة التي نحملها ... ليس هذا فقط بل أن هناك قوة للزى الديني الذي يرتديه رجال الدين، وهناك احترام له، كم من المؤسسات دخلت ولقيت فيها كل احترام وتقدير، ولا أخشى أبداً أى مكان أدخل إليه لأنى لم ألاقى إلا كل الاحترام والتقدير ... ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ... قوتنا تكمن فى أننا نعتلى المنبر الذى اعتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا يمنحنا إجلال الناس وتقديرهم، أننا نحمل أمانة الدين والويل لمن يخون هذه الأمانة ... لأنه إذا كان المجتمع يحترمك ويقدرك لأنك رجل دين، فعليك أن تحترم رسالة هذا الدين وأمانته وأن تؤدى هذه الأمانة على النحو الصحيح ... لم أتمنى قط إلا أن أكون رجل دين لما شهدته من حب أبى وتقديره لرجال الدين،

ليس أبى فقط بل أن كل الأهالى فى بلدتى والبلاد التي عملت بها لقيت منهم كل حب وتقدير لدورى ... ".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... يكفى أن أقول لك أنه يشاء القدر أنى ساكن جنب جماعة من إخواننا المسيحيين، وأنا أتعامل معاهم عادى جداً، إلا أنهم دائماً هم حريصين على احترامى بشكل أكبر وإظهار حبهم ومودتهم لى ... فما بالك فى المسلمين وهم بطبيعتهم يميلون لرجال الدين ويقدروهم بشكل واضح والكلام ده مفيهوش مبالغة لكن هو الواقع ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... لو قدر لى بعد هذا العمر أن أختار عمل

لى لن أختار إلا أن أكون خطيب أو داعية فهى مهنة لها تقديرها دون اعتبار لأى حاجة تانى ... ".

وتوضح النصوص السابقة لحالات الدراسة مدى قناعتهم بأهمية رصيد رأس المال الديني الذي بحوزتهم وفاعلية هذا الرصيد، وتبنى حالات الدراسة هذه القناعة من خلال أن رأس المال الديني فى حد ذاته لصيق بالبنية الاجتماعية فى المجتمع المصري، وهذه الفكرة تؤكدها العديد من الدراسات، منها الدراسة التي أجراها الباحث عن رأس المال الديني وتبدلاته داخل المجال العام لمدينة سوهاج، والتي خلص فيها إلى أنه على الرغم من التحولات التي يشهدها مجتمع الصعيد، ظل الدين لصيقاً حاضراً كموضوع داخل المجال العام لا يغادره، بل يحاول أن يسيطر عليه وأن يسيره، ليس هذا فحسب بل تم إعادة إنتاج رأس المال الديني بأشكال مختلفة فى حياة الأفراد، ومحاولة الاستثمار فيه وتحقيق الفوائد المختلفة[٥].

ويمكن التدليل أيضاً على فاعلية رأس المال الديني من خلال تأمل الفوائد التي يجنيها ما يُعرف باسم "الدُعاة الجُدد"، وهناك العديد من الدراسات التي أشارت إلى ذلك وأفاضت فى دراسة مكاسب هؤلاء الدُعاة[٦].

ويمكن ألقاء الضوء بشكل أكبر على فاعلية رأس المال الديني لدى حالات الدراسة من النُخْبة الدينية من خلال الكشف عن تبدلات أرصدتهم من رأس المال الديني ومردودها، وهذا ما يتناوله الباحث فى العنصر التالي :

(٢) تبدلات رأس المال الديني ومردوداتها :-

توضح نصوص حالات الدراسة أن رصيد حالات النُخْبة الدينية من رأس المال الديني تعرض لصور من التبدل وإنتاج أرصدة أخرى من رأس المال، وذلك على النحو التالي :

(أ) رأس المال الاقتصادى :-

تُوضح البيانات الميدانية نجاح حالات الدراسة فى استخدام أرصدتهم من رأس المال الديني فى إنتاج رصيد من رأس المال الاقتصادى – وإن كان محدود، وذلك من خلال العديد من الآليات؛ أهمها الحراك الأفقي، ومهمات الدعوة التي يُكلفون بها فى بعض البلاد الأوربية والأفريقية، والتي تعود عليهم بالعديد من الفوائد أهمها أرصدة من رأس المال الاقتصادى، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١٦) : "...عملى فى الأوقاف وداخل المجال الديني وفر لى حياة كريمة، وكانت السفريات التي كلفت بها منها إلى السودان، والسعودية، وفنزويلا، ذات عائد كويس أحسن من هنا، ودلوقتى الندوات التي أحضرها ذات عائد، دى مهنة على قدر الاجتهاد فيها على قدر ما سوف تعطيك، لكن الواحد منا بيكون حريص على العمل أكتر من العائد اللى جاى من وراه، لأن هذا العمل رسالة، والمولى عز وجل يقول ((لئن شكرتم لأزيدنكم)) والحمد لله أن حالى ميسور وفضل من الله أحسن من كتير غيرى، لأنى أخلصت لعملى، ومازالت على نفس هذا الإخلاص، وبقدر اجتهادك يكون نصيبك من المال والجاه".

تقول الحالة رقم (١٧): "... كل ما أتيت به كان أشياء بسيطة أصرفت على الأولاد ومطالب الحياة، لكن الحمد لله قدرت أبنى بيت كويس من خلال عملى فى المجال الديني، وربنا أكرمنى بعدد من السفريات إلى العديد من البلاد الخارجية فى أوربا وأفريقيا وآسيا، وكلها سفريات أتت ثمارها سواء من ناحية الدعوة، أو على مستوى الماديات لأنها كانت سفريات ناجحة وموفقة بإذن الله ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... نحمد الله وفر لى العمل الديني العديد من موارد الرزق، وأهم مورد هو السفر خارج مصر، وأحياناً الندوات بتكون مورد رزق كويس غير المرتب والبدلات ... ".

وتأمُل النصوص السابقة يُفضى إلى أن عملية إنتاج رصيد من رأس المال الاقتصادى كانت ضعيفة إلى حد ما، وذلك باستثناء رحلات العمل خارج مصر، والتي تعود على حالات الدراسة برصيد جيد من رأس المال الاقتصادى، إلا أن مردود رأس المال الديني بعيداً عن هذه الرحلات هو مردود ضعيف ويمكن التأكيد على ذلك من خلال الحالة (١٨) والتي لم يقوم صاحبها بأي رحلات خارجية، وتحدث عن ضعف المردود المادي داخل المجال الديني، وذلك من خلال النص التالي :

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... المردود المادى ضعيف جداً داخل المجال الديني، ويمكن مفيش غير وكيل الوزارة اللى له بدلات كويسة، ويمكن له تحقيق مردود مادى أحسن، حتى الندوات الواحد على أوقات طويلة يلقى ندوة أو محاضرة، لأنها بتتوزع بشكل فيه مجاملة وعلاقات، والواحد يوم ما يكلف بندوة يروح ويصطدم بأنها فى حدود ٤٧ جنية لا غير، لكن مع ذلك الأيام دى أحسن بكتير من زمان، الوضع يسير للأحسن ... ".

ويلفت الباحث النظر هنا إلى أن حديث حالات الدراسة عن رأس المال الاقتصادى الناتج عن الاشتغال بالدين، لم يكن من السهولة، ولعل مثل هذه الملاحظة تلفت النظر إلى إشارة "بورديو" إلى أن المشروع الديني مشروع ذو بعد اقتصادي، ولكنه لا يعترف لنفسه بذلك، وهو يعمل بنوع من الإنكار الدائم لبعده الاقتصادى[٧]. بل قد يصل الإنكار إلى أي منفعة من وراء العمل الديني، على أساس من الإقرار بأنه عملٌ لوجه الله لا غير.

(ب) رأس المال الاجتماعى :-

توضح البيانات الميدانية، نجاح حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الاجتماعى، وأن رصيدهم من رأس المال الديني ساعدهم كثيراً على الانتفاع من هذا الرصيد الكامن فى العلاقات الاجتماعية المتعددة، والتي عادت عليهم بالكثير من المنافع، ويمكن توضيح ذلك من خلال النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (١٦) : " من خلال أنى رجل دين، امتلكت شبكة علاقات قوية، ولية علاقات مع القيادات السياسية، والعلمية، وعلى رأس القيادات معالى الوزير المحافظ وهو شخصية فريدة، ولى علاقات طيبة مع القيادات الأمنية والحزبية، ومن خلال علاقاتى دى

لا أتأخر فى أى طلب من أى واحد، وأحب دائماً أقضى طلبات كل الناس، ومفيش هدف من وراء ذلك، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بلغونى عن حاجة من لا يستطيع) صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتراكى الدائم فى المناسبات العامة فى سوهاج، وفر لى علاقات مع العديد من الشخصيات، وداخل الأوقاف امتلك معارف وعلاقات قوية بكل القيادات داخل الأوقاف وده فى الأساس فضل من الله، ولأنى أتعامل مع كل الناس وفقاً لما يمليه علينا الدين والرسول صلى الله عليه وسلم ... أنا لغاية النهاردة، الأماكن اللى اشتغلت فيها ليه فيها أصدقاء، وأكن لهم كل الحب والاحترام، والله ما من مسجد اشتغلت فيه، ما من إنسان التقيت معه إلا وأحبه لله ولأجل الله ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " أنا كنت إمام مسجد فى ساقلتة، كانت علاقاتى بالهيئات والمصالح هناك كويسة جداً، ومع كل القيادات هناك، كنت أروح أى مصلحة أقضى فيها كل حاجة أنا عاوزها وأنا مرتاح، وكل حاجة تخصنى أعملها فى ثوانى من غير أى متاعب، علشان كل المسئولين يعرفونى واللى يجهلنى يخدمنى علشان شايف أنى رجل دين، وبعد كدة كل مكان اشتغلت فيه كان لى فيه علاقات قوية ومفيدة طبعاً، يعنى حتى رحلاتى فى الخارج طلعت منها بعلاقات كويسة ومفيدة إلى حد ما، وبعد كدة كونك رجل الدين بتحظى مع هذه المهنة بحب الناس وتقربهم منك ودى حقيقة، علشان كدة علاقات رجال الدين بتكون كويسة، أحياناً ناس كتير تخدمك علشان مجرد أنك ترتدى زى المشايخ ... ".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... تعاملت مع كثير من القيادات رجال شرطة وسياسيين والجميع بتتعامل معانا بشكل طيب ومخالف عن أى حد تانى، الناس بتنظر لنا نظرة طيبة ويستقبلوا رجال الدين استقبال مختلف، لما أكون لابس عادى مش الزى الديني بتاعى يعاملوك ممكن بصعوبة شوية، لكن الزى الديني بيدفع الناس لقبولك واحترامك بما يتماشى مع احترامهم للدين، أنا عندى الدولاب بتاعى ملئ بأوراق وأمانات الناس والناس الفقيرة فى قريتى بالذات، أى واحد معاه ورقة مهمة وخايف عليها يعطيها لى علشان أحفظها له، وأمانات فلوس، كل ده ثقة من الناس فى رجل دين ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... بالنسبة للعلاقات نحمد الله الذى وهبنى العديد من المعارف والأصدقاء فى معظم الأماكن داخل سوهاج، وعلاقاتى فى الأوقاف طيبة والحمد لله، والواحد دائماً فى عون أخيه، وجميع أطراف هذه العلاقات بالتالي دائماً هم فى عونى، إحنا نؤمن بتعاليم الدين ونطبقها على أنفسنا فى الأول، علشان كدة كل ما يجنى من ورائها هو

خير، وربنا يبارك لنا ولهم، وهذه المعرفة هى لوجه الله لا أكثر، وعند طلب المساعدة من أحد لا يتأخر أبداً عن مد يد العون والمساعدة ".

من خلال تأمُل هذه النصوص وغيرها من خطاب حالات الدراسة من النُخْبة الدينية، يمكن التأكيد على أن هناك رأس مال اجتماعي قائم على تعاليم الدين، ويتم اكتسابه من خلال أن الفرد رجل دين، فعلى سبيل المثال تمثل ملابس رجال الدين وهى شكل من أشكال رأس المال الديني، آلية من آليات تحقيق القبول الاجتماعى لدى الآخرين، وهذا القبول يسهل لرجل الدين الفعل الاجتماعى، ويحقق له أهدافه المقصودة وغير المقصودة من هذا الفعل، ولذلك فإن حالات الدراسة تشير إلى أن الآخرين يقضون لهم حوائجهم دون حاجة إلى أن يكون هناك معرفة مسبقة، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النص التالى:

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... عملت مرة شهادة ميلاد لابنى فى المركز، وكان هناك زحام رهيب، لكن أول ما شافنى العسكرى الواقف على الباب، قال لى تعالى يا فضيلة الشيخ اتفضل ودخلنى جوة، وأحضر لى كرسى وخلص لية الشهادة وقال لى اتفضل يا مولانا ودعواتك معانا... ".

وتكشف نصوص حالات الدراسة عن أن علاقاتهم الاجتماعية ليست مُكلفة لاعتمادهم على قيم الدين الإسلامي، وهى قيمٌ لا خلاف عليها، بل هي قيمٌ تحظى بالاتفاق الجمعي، ويمكن التدليل على ذلك من خلال كلماتهم التي تحمل مضامين دينية مثال: "أنا أعرفه لله فى لله" "الواحد لازم يكون فى عون أخيه" ، "جارك له حق عليك" ، ومن ناحية أخرى فإن مثل هذه الأفكار تُدلل على مدى التصاق رأس المال الديني بالبنية الاجتماعية، وهذه الأخيرة تدعم هذا الشكل من رأس المال.

وهذا يتفق مع ما يطرحه "أبو الحسن فاروق" فى دراساته حول رأس المال الاجتماعى الإسلامي وبناء الشبكات الاجتماعية، حيث أشار إلى أهمية رصيد رأس المال الاجتماعى القائم على التعاليم الإسلامية، بالنسبة لعمليات التبادل الاجتماعى، وذلك من خلال أن هذا الشكل من رأس المال يدعم علاقات الثقة والتعاون بين أفراد المجتمع، مما يُساهم فى تحقيق التلاحم بين الأفراد، ولو تم الاستفادة من هذا الشكل من رأس الاجتماعى، يُمكن تحقيق تنمية قائمة على الاتفاق على القيم الدينية[٨]. وبمعنى آخر يطرحه "على ليلة" أن تُصبح القيم والمعاني الدينية قوةٌ مضافةٌ إلى الفعل الإنساني[٩].

ولقد انتهى "إيريك" Eric من خلال أطروحته عن الدين ورأس المال الاجتماعى فى

المجتمع الكندي، إلى أن الاعتقاد والممارسات الدينية ترتبط إيجابياً بعمليات إنتاج رأس المال الاجتماعى[١٠].

(جـ) مردودات رأس المال الدينى ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء :-

من المؤكد أن أشكال تدوير رأس المال الديني إلى رصيد من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، هي فى حد ذاتها عملية تعُود بالمردودات الإيجابية على الفرد، فمثال هذه التحويلات تعمل على تسهيل الفعل الاجتماعى لدى حالات الدراسة، وإنجاز الأهداف المقصودة من وراء هذا الفعل.

ويتجسد لدى حالات الدراسة شكلٌ آخر من المردودات والتي ترتبط بالاعتماد على أرصدة رأس المال الديني فى تشكيل الأسرة على نحو معين، ويُمكن إجمال هذه المردودات فيما يلي:

١- الاعتماد على مخزون رأس المال الديني فى عمليات التنشئة الاجتماعية، والاهتمام بتجذير القيم الدينية لدى جميع أفراد الأسرة، ومن هذه القيم على وجه الخصوص، التسامح، والثقة، والتصالح مع النفس، والقناعة ...الخ، إيماناً من حالات الدراسة بأن مثل هذه القيم تخلق معها حياةً هادئةً ومُطمئنة.

٢- توجيه الأبناء نحو التعليم الديني، خاصة وأن هناك قناعة لدى حالات الدراسة بأن هذا التعليم غير مرغوب فيه للأغلبية من الشباب، ولعل هذه القناعة تدعم الفُرص المُتاحة أمام أبنائهم فى حال وصولهم إلى تكوين رصيد جيد من رأس المال الديني عبر التعليم داخل المؤسسات الرسمية المسئولة عن هذا النوع من التعليم.

٣- تأمُل وظائف الأبناء، يفضى إلى استخدام بعض حالات الدراسة لبعض من نفوذهم داخل المجال الديني بهدف تعيين أبنائهم داخل المؤسسات الدينية، حتى وإن لم يكن مؤهلهم التعليمي مُعتمد من مؤسسات التعليم الديني، وبمعنى آخر حتى وإن كان تعليمهم مدني خالص.

٤- هُناك حرص من بعض حالات الدراسة على إعادة إنتاج ذواتهم من خلال توجيه أبنائهم إلى العمل كرجال دين، وهى نفس المهنة التي يعملون بها، ومثال هذا التوجه يعكس مدى قناعة هذه الحالات بمهنة رجل الدين، ومدى ما يمكن أن تحققه للفرد من أهداف وغايات.

ويمكن التدليل على ما سبق من خلال النصوص التالية لحالات الدراسة.

تقول الحالة رقم (١٦) : " الحمد لله أسرتى الصغيرة أسرة متدينة، تحافظ على القيم

الدينية، الكبير فيها مثل الصغير، وأولادى منهم من هو تعليم أزهرى ومنهم من هو تعليم جامعى، عندى الكبير ماسك قسم المعلومات فى مديرية الأوقاف، واللى بعده إمام مسجد، وابنتى متزوجة وتعمل مدرسة علوم شرعية فى معهد الفتيات الأزهرى ... ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ... لم أدخل أحد من أولادى التعليم الأزهرى، لأنى شايف أنه أصيب بالعديد من مظاهر التدهور، ابنى الكبير كلية علوم تخصص تحاليل، ومن خلال إحدى سفرياتى قدرت أخلى واحد اتعرفت عليه يعينه فى قناة الجزيرة، وابنى التانى ليسانس آداب، وشغال فى مشروع استثمارى خاص به، والثالث حصل على خدمة اجتماعية وبيشتغل مدرس فى إحدى المدارس الخاصة، وعندى ابنتى الوحيدة فى معهد قراءات، وأبنائى الحمد لله منهم من هو حافظ للقرآن كاملاً ومنهم من يحفظ أغلبه، وهذا ما كنت حريص عليه معاهم، حتى تكون قلوبهم مطمئنة بما هو محفوظ فى صدورهم وعقولهم".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... من أهم مردودات الثقافة الدينية عندى، توجيه أولادى وزوجتى وتقديم النصيحة الدينية لهم، وعاشروهن بالمعروف للزوجة، ... ووجهت أولادى للثقافة والتعليم الديني، ولدى الأكبر مازلت خلفه حتى حفظ القرآن الكريم، ودخل شريعة وقانون وتخرج منها، وابنتى فى كلية الدراسات الإسلامية وهى حافظة لكتاب الله، وجميع أفراد الأسرة حريصون على قراءة كتب السيرة ومعرفة تاريخ الصحابة ... وهذا واجب على داخل أسرتى، والحمد لله أبنائى لى عندهم كل الطاعة فى هذا الأمر، وهم جميعاً الآن حريصون على كل أمور الدين من صلاة وصيام وزكاة، وقراءة لكتاب الله بشكل يومى ..".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... أبنائى جميعهم أنهوا تعليمهم، وهم مؤهلات عليا من جامعة الأزهر، منهم من يعمل كإمام مسجد، ومنهم الثانى يعمل فى مديرية الأوقاف، وابنتى الوحيدة هى من خريجات جامعة الأزهر أيضاً ... الحمد لله أسرتى نشأت على تعاليم الدين، نحن نتسابق فى القدرة على حفظ القرآن والأحاديث النبوية، والالتزام اليومى بهذه التعاليم ... نحن نراعى حق الله فى كل شئ، علاقاتنا وتعاملاتنا جميعاً محكومة بأحكام الدين ... هذا فضل من الله والحمد لله ... شكل الحياة يكون مختلف من ناحية الراحة والطمأنينة مع التزامك الديني ... ".

وتعكس الاستخلاصات السابقة وما يتبعها من نصوص، حرص حالات الدراسة من النُخْبة الدينية – مُلاك رأس المال الديني- على إنتاج رصيد جديد من رأس المال الديني عبر أسرهم، ويتضمن ذلك تجذير القيم الدينية داخل الأسرة، وتوجيه الأبناء إلى التعليم الديني، وقد يرجع

ذلك إلى حرص حالات الدراسة على عدم خروج أبنائهم عن حدود المجال الديني، خاصة وأن هذا المجال هو الذي تتركز فيه سلطاتهم ونفوذهم، وهذا يسر إلى حد كبير توظيف عدد من حالات الدراسة لأبنائهم داخل المؤسسات الدينية، وهذه تُعد استفادة مباشرة من نُخْبويتهم داخل المجال الديني، ويتفق هذا مع إشارات "بورديو" إلى حرص رجال الدين على احتكار رأس المال الديني، وإعادة إنتاجه بالشكل الذي يُحقق أهدافهم من وراء هذا الاحتكار[١١]. وبمعنى آخر عندما تتحدث بعض حالات الدراسة عن التعليم الأزهري أو الديني بشكل عام، يُعددون مساوئه وأنه أصيب بالتدهور، ومن ناحية أخرى تجد حرصهم على أن يلتحق أبنائهم بهذا النوع من التعليم.

ويؤكد "جيفريس" Jeffries بشكل مباشر على أن هناك ارتباط مميز بين واجبات رجل الدين، وتحقيق المنافع الخاصة، فإذا كان الإله فى كل الأديان يخلق البشر ويتحكم فى مصائرهم على نحو نهائي، فإن ممثله فى الأرض، والذي عبره يتم الاتصال، أو يتم تعلم سبل وتعاليم هذا الاتصال، ينبغي أن يكون فرد حائز للقوة والمكانة والهيبة، إن هيئته كرجل دين تدفع الأفراد إلى الاعتقاد فى أنه يحوز قدراً عظيماً من صفات الدين وسماته[١٢].

ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الدينى :-

يستعرض الباحث هنا أهم الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الديني، يُحقق لهم النُخْبوية داخل المجال الديني، وذلك من خلال المعطيات الميدانية التي تم التوصل إليها عبر المقابلات التي أجراها الباحث مع حالات الدراسة.

(١) الوراثـــة :-

أكدت الدراسة فيما سبق على أن جذور تكوين رصيد حالات الدراسة من رأس المال الديني يمكن تلمسها فى أسرة النشأة، حيث أن هذه الأسرة لعبت دوراً محورياً فى توجيه حالات الدراسة نحو اكتساب الثقافة الدينية، والالتحاق بالتعليم الأزهري، الذي يُعد أهم قنوات الثقافة الدينية فى المجتمع المصري، والبوابة الرئيسة لدخول المجال الديني[*].

وتشير "مارجريت ميللر" Margaret A. Miller فى هذا السياق إلى أن الأسرة التي يولد فيها الفرد تكون أهم متغير فى تحديد فرص حياته، إضافة إلى أن مهنة الأب تؤثر بشكل بالغ –على الأقل– على أحد الأبناء[١٣]. بمعنى أن أبناً واحداً على الأقل يمكن أن يرث مهنة أباه، ولعل هذا هو ما حدث مع معظم حالات الدراسة، يضاف إلى ما سبق أن التنشئة

(*) يمكن فى هذا السياق مراجعة نصوص الحالات فيما يتصل بأسرة النشأة وجذور رأس المال الديني.

الاجتماعية القائمة على القيم الدينية تُدعم الرصيد الذي يبدأ الطفل مراكمته منذ سنوات عمره الأولى، مما يعد آلية من آليات تحقيق التميز فيما يتصل بالثقافة الدينية التي يبدأ فى اكتسابها وممارستها يومياً منذ وقت مبكر.

(٢) التعليم الدينـي :-

يُفضى تأمُّل المؤهلات التعليمية لحالات الدراسة إلى التأكيد على أن التعليم الديني يمثل إستراتيجية مهمة أولاً لدخول المجال الديني، وثانياً الوصول لمكانة متميزة داخل هذا المجال، خاصة إذا حافظ الفرد على الاكتساب الدائم لهذه الثقافة الدينية، والمداومة على القراءة والإطلاع، إضافة إلى حيازة بعض المهارات التي يحتاجها العمل الديني، مثال الخطابة، وفصاحة اللسان، والقدرة على الإقناع، وفيما يلي بعض النصوص التي تؤكد على ذلك :

تقول الحالة رقم (١٦) : " ... أحمد الله تعلمت على أيدى قمم من المشايخ، كان لهم الأثر فى تكوينى، فى كل مراحل التعليم كان هناك واحد أو اثنين من مشايخنا أثروا فينا بشكل واضح ... القراءة والإطلاع على كتب التراث القديمة، وكتب التفاسير، مثال صحيح مسلم، والبخارى ... لازم رجل الدين يكون مُطلع بشكل مستمر، حتى القرآن الكريم يحتاج للمراجعة الدائمة ... الاستمرار فى القراءة شئ مهم علشان تكون كفئ فى الدعوة ... ".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ... كان داخلى حب للدين وتعاليمه، وبسبب الحب كنت دائم القراءة والإطلاع، وتعليمى الأزهرى حقق لى إشباع لحب الدين، والحمد لله كنت أمتلك مهارات الخطيب الجيد، فأعطانى الله القدرة على إلقاء الدروس والخطب المنبرية، وكان هذا الفن فناً دعوياً، وأصبح محبب لى تماماً، وكنت دائم الدراسة والقراءة، وتقدمت للدراسات العليا، واجتزت العام الأول بنجاح، إلا أن ظروفى وقفت حائلاً لاستكمال هذه الدراسات العليا، الإطلاع المستمر يجعلك تجتاز امتحانات الترقى من درجة لأخرى ... ".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... لو أمتلك ميزة فهى راجعة للقرآن الكريم، فهو المدد الأول والأخير، وحفظى له وللسنة النبوية، وجملة التفاسير والفقه، كل هذه الأشياء درسناها فى الأزهر، ومازلت أدرسها حتى الآن، ولدى مكتبة عظيمة بها مجموعة كتب فى الدين ذات قيمة عالية ... استفدنا من كبار الشيوخ الذين تعلمنا على أيديهم الإخلاص وحب الدين ومعرفة تعاليمه وأحكامه ... ".

تقول الحالة رقم (١٩) : " ... لن تستطيع أن تقول كلمة فى الدين إلا عن علم ومعرفة، فالقراءة وحفظ القرآن والأحاديث، وحوارات الصحابة كلها أسباب للتميز، هناك كتب نحفظها

عن ظهر قلب بجانب القرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقدر الإخلاص وإنفاق العلم، تكون مكانتك فى الدعوة ... لابد لأى رجل دين من التركيز على القراءة والإطلاع خاصة إننا فى عصر تصدر فيه الفتاوى عن علم وغير علم، فأصبحت مهمة رجل الدين صعبة، ولا يمكن القيام بها إلا من خلال القراءة والإطلاع ومراجعة ما يتم حفظه باستمرار ... ".

مما سبق، يُمكن الإشارة إلى أن التعليم والتدريب الديني، يعد مورد مهم من موارد مراكمة رأس المال الديني، الذي يتمثل فى درجة حيازة الفرد للثقافة الدينية، ومثال هذه العملية هي تراكمية، تعتمد على قدرة الفرد على مراكمة وتجميع مجموعة المعلومات والمهارات والمعارف والخبرات المرتبطة بدين ما.

وكلما نجح الفرد فى مراكمة وتجميع متطلبات الثقافة الدينية، كلما زادت إمكانية تحقيقه المكانة المتميزة داخل المجال الديني، ويعد الأزهر ومؤسساته التعليمية هي المؤسسات الرسمية المسئولة عن تلقين الثقافة الدينية فى المجتمع المصري.

ولقد أكد "روجر فينك" Roger Finke على أهمية التعليم الديني فى تكوين رأس المال الديني ومراكمته، من خلال دراسته حول تأثيرات التدريب المهني على كلٍّ من رأس المال الديني، ورأس المال الاجتماعى[١٤].

(٣) رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الديني :-

نجحت حالات الدراسة فى الاستفادة من حركة تبدلات رأس المال الديني، فى تكوين أرصدة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، وبعيداً عن فكرة التقييم الكمي لهذه الأرصدة، تُمثل هذه الأرصدة مُكونات ضرورية لرأس المال الجمعي لدى حالات الدراسة، إلا أن نصوص الحالات تُؤشر على أن هناك مكون آخر فى رصيدهم من رأس المال الجمعي، وقد يمثل هذا المكون بالإضافة إلى رأس المال الاجتماعى، آلية مهمة من آليات تشكيل نُخْبوية هذه الحالات.

ويتضمن هذا المكون بعدين أساسيين، البعد الأول يتعلق بصورة الذات لدى الأجهزة الأمنية، وهذه الأخيرة لا تترك المجال الديني، بل تحاول التدخل فيه والسيطرة عليه، وعدم إهمال الرقابة المستمرة لكل ما يحدث من أفعال أو يصدر من خطاب ديني داخل هذا المجال، وفيما يرتبط بهذا البعد لاحظ الباحث من خطاب حالات الدراسة الحرص على تحقيق صورة ذاتية طيبة لدى هذه الأجهزة، وفيما يلي النصوص التي تدلل على ذلك :

تقول الحالة رقم (١٦) : " ... نتعامل مع القضايا من خلال تعاليم الدين، ونستعين أيضاً

بأفكار علماء الثقة أمثال فضيلة الشيخ حمدى زقزوق ... إحنا بنتعامل مع القضايا الشائكة وفق تعاليم الإسلام، ووفق ما يقول علمائنا الأجلاء علماء الثقة، مش كل واحد دلوقتى عايز يفتى ... بشترك فى مؤتمرات الصلح والندوات الدينية، والثقافية التي تقيمها الجمعيات الأهلية، وأشارك الأمن فى مؤتمرات الصلح، وأؤدى ما يطلبوه منى، فهم يثقون فى وأنا أديتهم الثقة ... ودليل الثقة كان الأمن يطلب منى أن أصلى صلاة العيد بالجماعات الإسلامية علشان نبتعد بالخطب عن الهجوم والحماس الزائد... الحمد لله أن لى قبول لدى الأمن والقيادات السياسية ..".

تقول الحالة رقم (١٧) : " ... كانت هذه الجمعة مميزة، وهذه الخطبة التي ألقيتها كانت واقعية حتى الأمن كان سعيد بها ... لأنى معتدل وأحافظ على الوسطية، أنا مكلف بأنى أصلى الجمعة فى المسجد اللى بيصلى فيه السيد المحافظ ... ".

تقول الحالة رقم (١٨) : " ... حاجات كتير بتحددها وزارة الأوقاف، زى يعنى وقت الخطبة لا يزيد على تلت ساعة، وفى موضوعات بعينها نبتعد عن الحديث فيها، ولو هناك مخالف يتم تحويله للتحقيق، ... فيه جوابات الأمن عن كل اللى بيشتغلوا فى الأوقاف العمل الفنى، عند الترقية ... ".

ويتصل البعد الثاني باشتراك رجل الدين فى الاستخدام السياسي للدين،

أو مشاركة رجل الدين من خلال خطابه الديني فى تدعيم بعض القضايا الاجتماعية المطروحة، وتقديم التبرير الديني لها مثال قضايا الختان، وتنظيم الأسرة ...الخ، واشتراك حالات الدراسة فى مثل هذا الاستخدام السياسي أو الاجتماعي للخطاب الديني، يُحقق لهم مزيد من التواجد والشهرة، إضافة إلى القبول السياسي بما يحمله من أبعاد تتصل بالأجهزة الأمنية، أو القيادات السياسية، ولا شك فى أن مثل هذا القبول يعود على رجل الدين بالعديد من المنافع، ومن ناحية أخرى يُعد إستراتيجية لتحقيق مكانة مرموقة فى المجال الديني، وقد تمتد هذه المكانة إلى المجال العام.

و تؤشر مثل هذه الاستخلاصات على علاقة الاتصال والوصاية بين المجال السياسي والمجال الديني، ويعد هذا الاتصال وتلك الوصاية إعادة إنتاج للعلاقة بين رجال الدين ورجال السياسة فى النظام الإمبراطوري، والتي أشار "أحمد زايد" إلى أنها علاقة تقوم على الانسجام، فرجال الدين يُشكلون عنصراً لا غنى عنه فى جماعة الرأي، كما أن خطابهم يلعب دوراً فى شرعية النظام السياسي[١٥].

التعقيب :

عرض الباحث من خلال هذا الفصل البيانات الميدانية التى تم جمعها من حالات الدراسة داخل المجال الدينى، وقد بلغ عددها أربع حالات.

وقد كشفت الدراسة فى هذا السياق عن توافد حالات الدراسة من أسر تنتمي إلى الطبقة الوسطى، ولقد كان لهذه الأسر دور مهم فى تزويد أبنائها برصيد من رأس المال الدينى، وتوجيههم نحو المجال الدينى.

وتدلل البيانات الميدانية على فاعلية رأس المال الدينى لدى حالات الدراسة، وتعزى هذه الفاعلية إلى القبول الاجتماعى والاحترام العام لرجال الدين خلال حركتهم داخل المجال الدينى أو خارجه، وهذا نابع من الاتفاق الجمعي على القيمة الكامنة فى الدين.

وتضمن رصيد حالات النُخْبة الدينية من رأس المال الجمعي، أرصدة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، وقد قامت حالات الدراسة بتعبئة هذا الرصيد لإعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.

واعتمدت حالات الدراسة على عدد من الاستراتيجيات للوصول إلى عالم النخبة فى المجال الدينى، منها التعليم الدينى الذي يمثل إستراتيجية مهمة لدخول المجال الدينى، إضافة إلى الوراثة، التى تشير إلى دور أسرة النشأة فى توجيه حالات الدراسة نحو اكتساب الثقافة الدينية والالتحاق بالتعليم الأزهري.

وقد كشفت المعطيات الميدانية عن علاقة الاتصال والوصاية بين المجال السياسى والمجال الدينى، وبهذا فإن رجال الدين يشكلون عنصراً لا غنى عنه بالنسبة للنُخْبة السياسية، كما أنه لا غنى عن خطاب النُخْبة الدينية فى إضافة الشرعية على النظام السياسى.

هوامش الفصل السابع

(١) حسن حنفي، أخلاقيات الطبقة الوسطى، مجلة الديمقراطية، العدد (١٦)، الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ص ٣٣-٣٤.

(2) Elizabeth B. Silva, Gender, Home and Family in Cultural Capital Theory, The British Journal of Sociology, Vol. 56, 2005, P. 88.

(٣) أحمد عمر هاشم، الخطاب الديني وظاهرة الدعاة الجدد، سلسلة قضايا، العدد (١٥)، السنة الثانية، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، مارس ٢٠٠٦م، ص٢٦.

(٤) من هذه الدراسات :

- أحمد زايد، الإسلام وتناقضات الحداثة،في تناقضات الحداثة فى مصر،مرجع سابق،ص ٧٩.
- عماد صيام، نُخْبة تيار الإسلام السياسي ... محددات التشكل والصعود وتحديات البقاء، فى النُخَب الاجتماعية ... حالة الجزائر ومصر، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

(٥) خالد كاظم أبو دوح، تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الدينى، مرجع سابق، ص ١٧.

(٦) انظر فى ذلك :

- أسماء فريد، الخطاب الديني للدعاة الجدد، مرجع سابق، ص ص ١١٦-١٢٢.

(٧) بورديو، العقلانية العملية، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(8) Abul Hassan Farooqi, Islamic Social Capital and Networking, Humanomics, Vol. 22, No.2, 2006, PP. 116 -117.

(٩) على ليلة، رأس المال الديني والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مرجع سابق، ص ص ٤٢-٤٣.

« ومثال هذه النتيجة يمكن أن تدفع العلماء نحو مراجعة الأفكار المرتبطة بوضع الدين فى المجال العام، حيث هناك أفكار عديدة بدأت تظهر وتؤكد على أهمية الاستفادة من الدين فى تحقيق السعادة البشرية، فتعاليم الدين تدعم قيم الثقة والتعاون ما بين الأفراد، ومثال هذه الفضائل وتوافرها فى حياة الأفراد قد يحقق حياة أكثر سهولة وسعادة».

(10) Eric F. Piche, Religion and Social Capital in Canada, Op. Cit., P. 125.

(11) Michele Dillon, Pierre Bourdieu, Religion, and Cultural Production, Cultural Studies, Vol.1, No.4, 2001, P. 414.

(12) Vincent Jelfries, Edword Ransford, Social Stratification, Op. Cit., P. 101.

(13) Margaret A. Miller, Life Chances› Exercise, Teaching Sociology, Vol.20, No.4, Oct 1992, P. 317.

(14) Roger Finke, Kevin D. Dougherty, The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries, Op. Cit., P. 106.

(١٥) أحمد زايد، تناقضات الحداثة فى مصر، مرجع سابق، ص ١٠٤.

الفصل الثامن

أشكال رأس المال وتشكيل النُخْب الاجتماعية

تأملات فى نتائج الدراسة

- تمهيـد.
- أولاً : النُخْب الاجتماعية على خلفية الأصول الطبقية.
- ثانياً : فاعلية أشكال رأس المال فى تشكيل النُخْبة.
  - أ – حركة أشكال رأس المال وتبدلاتها.
  - ب- تقاطعات أشكال رأس المال عبر المجالات الاجتماعية.
- ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية وإعادة إنتاجها.
- التعقيـب.

تمهيـد :

ليس هناك نهاية للفهم الإنساني، حيث أنه يبقى دائماً مفتوحاً، ويخضع للتحسين المتواصل فيما يرتبط بمعرفة العالم الاجتماعى وما يحدث فيه، ويستوجب ذلك تعدد التفسيرات، وعدم الوقوف عند حدود التفسير الكلى الواحد، وهذا ما يسعى إليه الباحث خلال هذا الفصل، أنه السعي نحو الفهم المتعمق للنخبوية، والتي تُعد بطبيعتها عملية قابلة للفهم، ويعتقد الباحث فى أن تحقيق ذلك يُمكن أن يتم من خلال اكتشاف المعاني الكامنة خلف ما طرحته الدراسة من نتائج فى فصولها السابقة.

وتزداد أهمية الفكرة السابقة من خلال التأكيد على أن مفهوم النُخْبة لم يُعد أداة تحليلية لفهم البناء السياسى فحسب، بل إنه أداة تحليلية لفهم المجتمع برمته، إنه مفهوم يكشف عن حركة القوة والنفوذ وانتشارهما عبر المجالات الاجتماعية، فلم يُعد هناك حديث عن نُخْبة سياسية أو مركزية فحسب، بل هناك نُخْب اجتماعية متعددة، بتعدد المجالات، وتتشكل النُخْب عبر المجالات الاجتماعية من خلال رأس المال النوعي الخاص بالمجال، والرصيد الذي يُمكن أن يُضيفه الفرد من الأشكال الأخرى من رأس المال.

فلم تعد النُخْبة مجرد مجموعة من الأفراد يمتلكون صناعة القرار، أو يحتلون المناصب العُليا فى المجتمع، بل أصبحت جماعات من الأفراد، ينتشرون فى المجالات الاجتماعية، وينجحون فى حيازة أكبر رصيد من رأس المال الجمعي، ويسيطرون على الموارد القيمة داخل المجال، ويعبئون هذا الرصيد من خلال العديد من الإستراتيجيات نحو الوصول للمكانات العُليا داخل المجال الخاص بهم، أو داخل المجال الاجتماعى العام.

ويستهدف هذا الفصل عرض نتائج الدراسة، والتأكيد على عددٍ من الاستخلاصات العامة التى يُمكن مُلاحظتها من خلال القراءة العميقة لما تم عرضه من نتائج عبر الفصول السابقة، وسوف يُؤكد الباحث من خلال هذا الفصل على عددٍ من القضايا النظرية التى تم طرحها فى الإطار النظري للدراسة، وتعديل بعض القضايا الأُخرى، وذلك على ضوء قراءة المعطيات الميدانية وتأويلها.

أولاً : النُخْب الاجتماعية على خلفية الأصول الطبقية :-

أكدت المعطيات الميدانية على أن معظم حالات الدراسة من النُخْب الاجتماعية توافدت من أسر تنتمي إلى الشرائح المختلفة من الطبقة الوسطى، وذلك بواقع (١٥ حالة) من إجمالي حالات الدراسة، وينتمي باقي حالات الدراسة إلى أسر من الطبقة العليا.

وتتفق هذه النتيجة مع ما استقر عليه تراث دراسة النُخْبة فى مصر، ومؤداه أن الأصول الاجتماعية للنُخْبة فى مصر استقرت إلى حد كبير من الخمسينات فى الطبقات الوسطى وشبه العُليا، وهى الطبقات التى توفرت لها القدرة المادية لإفراز كوادر علمية ومهنية تستطيع الوصول إلى مناصب الدولة الإدارية والسياسية والعسكرية[١].

ويُؤكد الباحث على أهمية هذه الخلفية الطبقية بالنسبة لحالات الدراسة، خاصةً وأن المعطيات الميدانية أكدت على أن هذه الخلفية وفرت أحياناً لدى معظم حالات الدراسة أرصدة موروثة من الأشكال المختلفة من رأس المال، وتلك الأرصدة كانت بمثابة النواة التى نشأت منها نُخْبوية حالات الدراسة فى المجالات المختلفة.

ويُؤكد التراث النظري فيما يتصل بهذه النتيجة على أن كل نُخْبة تعمل على ترسيخ مصالح الشرائح الاجتماعية التى تنتمي إليها وحمايتها، وذلك بالاعتماد على سيطرتها على مناصب الدولة العُليا، وعلى هذا فإنه من المفترض على ضوء النتيجة السابقة التى انتهت إليها الدراسة الراهنة أن تعمل حالات النُخْبة على حماية مصالح الطبقة التى توافدوا منها.

إلا أنه على النقيض من ذلك، يُمكن ملاحظة أن ممارسات حالات الدراسة وأساليب معيشتها لا تنتمي إلى الطبقة الوسطى، ليس هذا فحسب بل أن ممارسات معظم حالات الدراسة من أبناء الطبقة الوسطى عبر الوظائف والمناصب القيادية التى تتولاها لا تُعبر عن هذه الخلفية الطبقية.

وتتفق هذه النتيجة مع ما طرحه "على ليلة" بقوله : اندفع أبناء الطبقة الوسطى فى سلوكيات متنوعة ومتناقضة، بعضها أخذ يُقلد البرجوازية العُليا فى نمط حياتها وثقافتها الاستهلاكية، بينما البعض الآخر بدأ يُقدم نفسه لسوق القطاع الخاص، ومن لم ينجح فى ذلك طرق سلوكيات الفساد والجريمة والانهيار، وانفصلت نُخْبة الطبقة عن قاعدتها، ولم يعد هناك وجود لتيارات أيديولوجية وسياسية متماسكة، تُمثل رؤى ومصالح الطبقة فى إجمالها، ويُعزى ذلك للعديد من التحولات العالمية والمحلية، ونزوع معظم الطلائع المثقفة من هذه الطبقة إلى محاولة تحقيق مصالحهم الآنية، ووفقاً لمنطلقات براجماتية، لقد تراجع –تقريباً– عصر الخطابات الكبير، ولم يُعد يحفل بها سوى القلة[٢].

ويعتقد الباحث أن تفسير هذه النتيجة وتأويلها يعتمد على عامل أو أكثر من العوامل التالية:-

(١) عدم ملائمة مؤشرات تحديد الطبقة لواقع الطبقات الاجتماعية فى الوقت الراهن، وتتمثل هذه المؤشرات فى المستوى التعليمي، والمهنة، والمستوى الاقتصادى ...إلخ.

ويتأكد هذا العامل من خلال التحولات التى شهدها التراث النظري المرتبط بدراسة الطبقة داخل علم الاجتماع، تلك التحولات التى وصلت ذروتها فى التسعينيات من القرن العشرين، عندما أعلن كلٌ من "كلارك" Clark و"ليبست" Lipset تدهور أهمية مفهوم الطبقات الاجتماعية ومؤشرات تحديدها فى المجتمعات المعاصرة[٣].

وتجسد هذا الإعلان فى رؤية "بورديو" عن الطبقة، حيث لم يعتمد فى تحليله للطبقة على المعايير الاقتصادية، أو السياسية، وبمعنى آخر هو تجاوز عن الطرح الخاص "بكارل ماركس" والذي يربط الطبقة بأسلوب الإنتاج. وكذلك طرح "ماكس فيبر" الذي ميز ما بين الطبقة والمكانة، فلقد وسع "بورديو" من معايير تحديد الطبقة على ضوء تعريفه لهذا المفهوم الذي ذهب فيه إلى أن الطبقة تجمعات من الفاعلين الأفراد الذين يتواجدون فى ظروف وجود أو مكانات متشابهة، وينتج عن هذا أنظمة متشابهة من الهابتوس أو الميول والاستعدادات والممارسات[٤].

(٢) ملائمة المؤشرات التى اعتمد عليها الباحث فى تحديد الأصول الطبقية للأسر التى توافدت منها حالات النُخْبة، وعلى هذا يمكن تفسير ممارسات حالات الدراسة وأساليب معيشتها التى لا تنتمي للطبقة الوسطى، على ضوء أن هناك تحولات عديدة خضعت لها هذه الحالات، دفعتها إلى منطقة رخوة تقع أسفل الطبقة العُليا مباشرة، تلك المنطقة التى تتسم بتميع فى البنية القيمية المرتبطة بها.

وبمعنى آخر لم يعد هناك نظام عام للمعايير والقيم، بل هناك تنوع للمصادر التى يستقى منها الأفراد قيمهم، حتى أصبح كل جزء بذاته هو المرشد الأخلاقي لنفسه، وأصبح وجود المعايير والقيم الأخلاقية الصارمة مستحيلاً[٥]. وعلى هذا قد يتخلى الفرد عن قيم الطبقة التى توافد منها ونشأ فيها، خاصةً إذا ما كان يمتلك فرصة للحراك الرأسي.

(٣) يُمكن النظر إلى النتيجة السابقة على ضوء منطق التراث النظري المرتبط بأشكال رأس المال ودورها فى تحقيق المكانة الاجتماعية، وفى هذا السياق يُشير "بورديو" فى سياق تفسيره للعلاقة بين رأس المال الأولى (المملوك لدى أسرة الفاعل الفرد)، ورأس المال الحالي الذي فى حيازة الفاعل، أن هناك إمكانية أن يقوم الفاعل بالبدء من طبقة معينة بما تقدمه له هذه الطبقة من رأس مال معين، وما يرتبط بها من ممارسات وقيم، إلا أن حركته بهذا الرصيد من رأس المال قد تُؤدى به إلى الانحراف عن المسار المتوقع له فى البنية الطبقية، سواءٌ كان هذا الانحراف رأسياً صاعداً، أم

رأسياً هابطاً، وينتج عن مثل هذا الانحراف طمس للعلاقة ما بين الفاعل والطبقة الاجتماعية التى توافد أو انطلق منها، لأن الفاعل فى هذه اللحظة يتمثل المكانة التى وصل إليها، ويستمد وجوده ومعنى هذا الوجود وممارساته من هذه المكانة.

ويذهب "بورديو" إلى أن مثل هذا الطمس أو التلوث الذي يُصيب علاقة الفاعل وطبقته، يظهر بصفة خاصة فى الطبقة الوسطى، خاصةً فى تحولاتها المعاصرة، والتي خلقت منها مناطق رمادية ذات مواقع غامضة فى البناء الطبقي، ويُدلل على ذلك من خلال اختلاف المكانات المهنية لأبناء الأسرة الواحدة(٦).

ولقد جاء خلال الدراسة الراهنة أن هناك تباين أحياناً بين المكانات التى تشغلها بعض حالات الدراسة، وتلك التى يشغلها أخوة لهم(٧).

ثانياً : فاعلية أشكال رأس المال فى تشكيل النُخْبة :-

اعتقد الباحث منذ بداية عمله فى هذه الأطروحة – بالاعتماد على ما أكده التراث السابق – على أهمية أشكال رأس المال وفاعليتها فى تحقيق المكانة والتميز داخل المجتمع، وذلك لأن رأس المال يُعد قوة اجتماعية قد تقود الفرد نحو السيطرة على الموارد القيمة فى أي مجال من مجالات المجتمع.

وأكد عددٌ من الباحثين على أهمية رأس المال الاقتصادى وفاعليته فى تحقيق المكانة والتميز، وذلك من منطلق أنه الأكثر سيولة، والأكثر قابلية للتحويل والتبديل وإنتاج الأشكال الأخرى من رأس المال، بمعنى أن من يحوز رأس المال الاقتصادى يمكن له أن يحوز أشكالاً أخرى من رأس المال.

وأكد فريق آخر من الباحثين على أهمية الأشكال الأخرى من رأس المال، وإن كان ذلك بدرجة أقل مما أعطاه الجميع إلى رأس المال الاقتصادى.

وبناءً على ما سبق طرح الباحث فكرته النظرية فى هذه الدراسة، والتي تدور حول البحث عن دور وفاعلية أشكال رأس المال فى تشكيل النُخَب الاجتماعية، وذلك من منطلق أن جماعات النُخْبة فى أي مجتمع هم الأفراد الأكثر قوةً ونفوذاً.

وفى هذا السياق أكدت نتائج الدراسة على أهمية أشكال رأس المال المختلفة وفاعليتها فى تحقيق التميز لدى حالات الدراسة، إلا أن هذه الفاعلية مرهونة بعددٍ من العوامل يمكن عرضها على النحو التالي :

١- ليس هناك شكل من أشكال رأس المال فاعل بمفرده، خاصة فيما يتصل بتشكيل النُخْبة

داخل المجالات المختلفة، ويتأكد ذلك من خلال الإشارة إلى أن هناك ترابط بين أشكال رأس المال المختلفة، وقد يكون من الصعوبة الفصل بينها أثناء حركتها أو تعبئتها نحو تحقيق أهداف معينة، أو أن يتم تحديدها بواسطة شكلٌ واحد من أشكال رأس المال.

ويُؤكد مفهوم رأس المال الجمعي الفكرة السابقة، حيث أن حالات الدراسة اعتمدت على رصيدها من رأس المال الجمعي فى تحقيق نُخْبويتها.

٢- تتحدد فاعلية أي شكل من أشكال رأس المال على ضوء علاقته بالبنية الاجتماعية وتوجهات المجتمع، وهذه العلاقة نسبية تختلف من مجتمع إلى آخر، كما أنها تختلف داخل المجتمع الواحد من فترة زمنية إلى أخرى.

٣- ترتبط فاعلية كل شكل من أشكال رأس المال، برصيد حائزه من رأس المال البشرى، أي قدراته ومهاراته فى تعامله مع الرصيد الذي بحوزته، وكذلك الإستراتيجيات التى يعتمد عليها فى تعبئة هذا الرصيد نحو تحقيق أهدافه.

وينتهي الباحث من هذا النقاش بالتأكيد على أن النُخْبوية لدى حالات الدراسة لا ترتكز على شكل منفرد من أشكال رأس المال، واحتاج وصول حالات الدراسة للتميز فى أي مجال من المجالات إلى رصيد من رأس المال الجمعي الذي يتضمن رصيد من رأس المال النوعي، بالإضافة إلى أرصدة من الأشكال الأخرى من رأس المال.

وعلى ضوء هذا يُشير مفهوم النُخْبة إلى جماعة الأفراد الذين يحوزون أكبر رصيد من رأس المال الجمعي، الذي يتضمن رصيد من رأس المال النوعي، وأرصدة من الأشكال الأخرى من رأس المال، ولديهم من الإستراتيجيات ما يُمكنهم من تعبئة هذا الرصيد نحو حيازة موارد القوة والنفوذ داخل المجال الذي يرتبطون به أو داخل المجال الاجتماعى العام.

وبناءً على ما سبق يُمكن التأكيد على أن حيازة أي رصيد –مهما كان مقداره- من رأس المال النوعي قد لا يحقق للفرد النُخْبوية داخل المجال، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال العديد من النماذج الواقعية، منها مثلاً عالم الجغرافيا "جمال حمدان" والذي كان بحوزته رصيد مرتفع من رأس المال الثقافى، إلا أنه عاش حياة لا تتناسب مع هذا الرصيد.

ويمكن التدليل أيضاً على فاعلية أشكال رأس المال المختلفة كما أكدتها المعطيات الميدانية من خلال العناصر التالية :

(أ) حركة أشكال رأس المال وتبدلاتها :-

تتسم أشكال رأس المال المختلفة بحركتها داخل المجالات الاجتماعية، وقابليتها إلى التحول والتبديل وإنتاج الأشكال الأخرى من رأس المال، وقد تُؤدى هذه العمليات أيضاً إلى زيادة رصيد

الفرد من رأس المال النوعي، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال نجاح حالات النُخْبة الاقتصادية فى تحويل قدر من رأسمالهم الاقتصادى إلى رأس مال ثقافي، وذلك من خلال تحسين مستوى تعليمهم، أو من خلال توجيه أبنائهم إلى تعليم معين له علاقة بمجال استثماراتهم داخل المجال الاقتصادى، مما عمل على تدعيم رصيدهم من رأس المال الاقتصادى.

ونجحت حالات النُخْبة الثقافية فى استخدام رصيدهم من رأس المال الثقافى فى إنتاج أرصدة من رأس المال الاقتصادى، عبر عمليات الحراك الأفقي، ثم استخدموا رأس المال الاقتصادى فى الحصول على الأدوات المادية التى تدعم رصيدهم من رأس المال الثقافى، مثال شراء المؤلفات العلمية، والاشتراك فى الدوريات، والقدرة على إجراء البحوث العملية، التى يتم من خلال تدعيم مكانتهم داخل المجال الثقافى، إضافة إلى اعتمادهم على رصيدهم من رأس المال الثقافى ومكانتهم المتميزة داخل هذا المجال فى إعادة إنتاج تميزهم عبر الأبناء، سواء من خلال توريثهم نفس المهنة، أو توجيههم إلى نمط التعليم الذي يوفر لهم المهنة والمكانة الوظيفية المناسبة.

وكشفت المُعطيات الميدانية عن مراكمة حالات النُخْبة السياسية لأرصدة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الثقافى، ورأس المال الاجتماعى، واستطاعت بعض الحالات من خلال هذه الأرصدة تحقيق العديد من الأهداف الخاصة، ومنها مساعدتهم أبنائهم وأخوتهم فى الحصول على وظائف مرموقة.

وفيما يتصل بالنُخْبة الدينية، أكدت الدراسة الميدانية على حيازة حالات النُخْبة الدينية لأرصدة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى عبر رصيدهم من رأس المال الدينى، ونجاح معظم الحالات فى تعبئة هذه الأرصدة نحو إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.

وتُؤشر العمليات السابقة على فاعلية أشكال رأس المال وقدرتها على التحول والتبديل وإنتاج الأشكال الأخرى من رأس المال، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات التى أكدت على أن حركة رأس المال ودرجة سيولته وقدرته على التحويل هي مؤشرات على الفاعلية[٨].

وتُشير البيانات الميدانية إلى أن جميع حالات النُخْبة فى المجالات المختلفة نجحت فى إنتاج رصيد من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، بغض النظر عن شكل رأس المال النوعي الذي فى حوزتهم، ولعل هذه النتيجة تعطى كلٌ من الشكلين قدرة أكبر على التحول والسيولة.

وتعتمد عملية تحويل أي شكل من أشكال رأس المال إلى شكلٍ آخر، على بذل الوقت والجهد، كما أنها محكومة بمنطق التبادل وقواعده، ويعتمد التبادل على التفاعل مع الآخر، ويكون الهدف من وراءه تحقيق المنفعة.

ويؤكد "بورديو" على أن عمليات التحويل هي أشكال من الفعل التى يقوم بها الفرد أو الجماعة، بهدف المحافظة على المكانة الاجتماعية، أو تغيير هذه المكانة إلى وضع اجتماعي أفضل[٩].

(ب) تقاطعات أشكال رأس المال عبر المجالات الاجتماعية :-

أكدت الدراسة الراهنة من خلال التراث النظري على أن كل مجال من مجالات الفضاء الاجتماعى له رأس المال النوعي الخاص به، والذي يتنافس الفاعلون ويتصارعون على مراكمة أكبر رصيد من هذا الشكل الخاص بالمجال الذي يعيشون فيه، إلا أن نتائج الدراسة الميدانية أكدت على أن هناك تقاطعات لأشكال رأس المال المختلفة داخل كل مجال من المجالات، وهناك تنافس وصراع ما بين الفاعلين فى كل مجال، بهدف حيازة هذه الأشكال المتقاطعة مع المجال الذي يتواجدون فيه، بمعنى أن التنافس ليس فقط على رأس المال النوعي، بل يمتد للأشكال الأخرى من رأس المال.

ومن أشكال التقاطعات التى كشفت عنها الدراسة الميدانية، تقاطع رأس المال الاجتماعى مع كل المجالات، فحالات الدراسة من النُخَب الاجتماعية والموزعة على المجالات المختلفة نجحت فى تكوين أرصدة متباينة من رأس المال الاجتماعى، وهذه الأرصدة لعبت دوراً فى تحقيق النُخْبوية فى المجال المعنى، وكذلك أرصدة من رأس المال الاقتصادى.

ووفق هذا الطرح يُعدل الباحث الفرضية النظرية، لتصبح أن كل الأفراد يتنافسون على حيازة أكبر رصيد من رأس المال النوعي، المرتبط بالمجال، وكذلك الأشكال الأخرى من رأس المال التى تتقاطع مع هذا المجال، من خلال عمليات التدوير والتحويل التى يقوم بها الأفراد.

ومن خلال تأمُل هذا التعديل، فإن الدراسة تتفق مع رؤية "كريستين فيتشز" Christian Fuchs، والتي أشارت فيها إلى أن أشكال رأس المال المختلفة لا تتحدد بواسطة شكل واحد مثل رأس المال الاقتصادى، لأن هناك ترابط وتقاطع بين أشكال رأس المال المختلفة، وذلك على نحو وثيق، ولا يُمكن رؤية أشكال رأس المال وهى تُؤدى وظائفها بشكلٍ مُنفصل ومستقل عن بعضها البعض[١٠].

ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية وإعادة إنتاجها :-

لا تأتى النُخْبوية مصادفة، ولكنها عملية تحتاج لبذل الوقت والجهد، ووضع الإستراتيجيات وتنفيذها، وقد كشفت المعطيات الميدانية عن عدد من الإستراتيجيات التى اعتمدت عليها حالات الدراسة فى تحقيق مكانتهم الاجتماعية، ومن هذه الإستراتيجيات ما تم عرضه فى

العنصر السابق، وهى عملية تحويل رأس المال النوعي إلى الأشكال الأخرى من رأس المال، بهدف تكوين رصيد من رأس المال الجمعي، وقد تجسدت هذه الإستراتيجية لدى جميع الحالات على اختلاف المجالات التى يتواجدون فيها، ويعرض الباحث فيما يلي لعددٍ من الإستراتيجيات الأخرى.

ظهرت الوراثة كإحدى الإستراتيجيات المهمة فى تحقيق النُخْبوية داخل جميع المجالات، وعلى هذا الأساس يُمكن التأكيد على أن الأصول الاجتماعية التى يتوافد منها الفرد على درجة من الأهمية فى تحديد حركته ووضعه داخل البناء الاجتماعى، وكذلك الفرص الحياتية التى قد تُتاح له، فمثال هذه الأصول قد تُزود الفرد برصيد موروث من أشكال رأس المال المختلفة، ويتميز هذا الرصيد الموروث بأنه غير مُكلف بالنسبة للفرد.

وتأخذ الوراثة لدى حالات الدراسة شكلين أساسيين، يتمثل الأول فى إعادة إنتاج الأب فى صورة الذات، وأما الثاني فإنه يتمثل فى إعادة إنتاج الذات فى صورة جميع الأبناء أو أحدهم، ويتحقق ذلك من خلال ما يمكن أن نطلق عليه الهابتوس – على حد تعبير بورديو- ويشير إلى الميول والتصورات والإدراكات ورؤية العالم أو مبادئ التصنيف، ومُجمل ما يتضمنه الهابتوس هو ناتج عن وجود الفرد فى موضع مُعين داخل البناء الاجتماعى، ويتم اكتساب الهابتوس خلال عملية التنشئة الاجتماعية[١١].

وإضافة للوراثة هناك إستراتيجيات الممارسة داخل كل مجال من المجالات المختلفة، وتزود هذه الإستراتيجيات الفرد بالقدرة على الفعل داخل المجال الذي يتواجد فيه، وتُمكنه من تحقيق أهدافه، وبشكل عام فإن هذه الإستراتيجيات تُحدد بشكلٍ كبير علاقة الفرد ببنية المجال، وقد تنتهي هذه العلاقة بأن يقوم الفرد بإعادة إنتاج هذه البنية، أو قد يستطيع تحويلها.

وتُعد عائلية الاستثمار من إستراتيجيات الممارسة داخل المجال الاقتصادى، وتُشير هذه الإستراتيجية إلى ميل حالات النُخْبة الاقتصادية إلى السيطرة على الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية بشكلٍ عائلي، سواءٌ اقتصرت هذه السيطرة على أفراد الأسرة الواحدة، أو امتدت لتطول علاقات قرابية أخرى داخل الأسرة الممتدة، أو علاقات النسب والمصاهرة.

وتجسدت إستراتيجيات الممارسة داخل المجال الثقافى فى عملية الحراك الأفقي، وهى العملية التى كان تكوين رأس المال الاقتصادى أهم أهدافها لدى حالات الدراسة، إضافةٍ إلى عملية تنمية رأس المال الثقافى وتحديثه.

وتميزت حالات النُخْبة السياسية بعددٍ من الإستراتيجيات عن حالات النُخَب الأخرى، ومن

أهم هذه الإستراتيجيات، التعبئة والتعيين، والفرصة السياسية، ومثال هذه الإستراتيجيات ظهرت داخل المجال السياسى فقط نظراً لأن هذا المجال يختص بوصاية النُخْبة المركزية عليه أكثر من أي مجال آخر.

وتميزت حالات النُخْبة الدينية بإستراتيجية التعليم الديني، والذي يُعد قناةً رئيسية لدخول المجال الدينى بالنسبة لأي فرد.

التعقيـــب :-

يتواجد الأفراد داخل المجالات المختلفة التى تكون المجتمع، ويُكافح كل فرد ويتنافس ويتصارع مع الآخرين داخل هذه المجالات، بهدف حيازة أكبر رصيد من رأس المال النوعي للمجال، والذي يُعد رهان المجال، ويُمكن من خلال هذا الرصيد الوصول لموارد المجال والسيطرة عليها، وعلى أساس هذا الرصيد تتحدد وضعية الفرد ومكانته.

وتحوز نُخْبة المجال الرصيد الأكبر من رأس المال النوعي، ليس هذا فحسب، بل تستطيع نُخْب كل مجال من خلال عدد من الإستراتيجيات الاستثمار فى هذا الرصيد، وتحويله عبر علاقات التبادل إلى أشكال أخرى من رأس المال، فيما يمكن أن نُطلق عليه رأس المال الجمعي.

ويُمكن للفرد من خلال رصيده من رأس المال الجمعي والاستثمار فيه أن يكون من نُخْبة المجال الذي بدأ منه، ويمكن لهذا الرصيد أن يدفعه خارج حدود المجال، ليصبح من نُخْبة مجال آخر، وذلك على أساس أن لكل مجال علاقات بما يحيط به من مجالات أخرى، بعضها يحكمه التجانس، وأحياناً يكون لمجال ما سطوه على مجال آخر، مثال ما كشفت عنه الدراسة الراهنة من علاقات وصاية من المجال السياسى على المجال الدينى.

هوامش الفصل الثامن

(١) انظر فى ذلك :

- أحمد زايد، نُخْبة ما بعد الاستعمار، مرجع سابق، ص ٤٣.
- عبد الباسط عبد المعطى، الطبقة الوسطى المصرية، مرجع سابق، ص ٧٩.
- مايسة الجمل، النُخْبة السياسية فى مصر، المستقبل العربي، العدد (١٦٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤٥.

(٢) على ليلة، قوى واتجاهات التغير الاجتماعى، المؤتمر السنوي الخامس « التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى خلال خمسين عاماً «، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ص ٧٩-٨٠.

(3) Gerry Veenstra, Social Space, Social Class and Bourdieu, Helath & Place, www. Elsevier.com/locate/helathplace, 2005, P.2.

(٤) حول أفكار بورديو عن الطبقة، انظر :

- Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P. 101.
- Helmut K. Anheier and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field, Op. Cit., P. 892.
- Chris Wilkes, Bourdieu's Class. In An Introduction To The Work Of Pierre Bourdieu : The Practice Of Theory, Richard Harker and Others (eds), Micmillan Press, New York, 1990, P. 109.

(٥) محمد عبد المنعم شلبي، العولمة والطبقة الوسطى متعدية الجنسية فى مصر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٨١.

(6) Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P. 111.

(٧) راجع فى ذلك الحالات رقم (١)، (٢)، (١٢)، (١٥).

(٨) انظر فى ذلك :

- Helmut Anheier, and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field, Op. Cit, PP.862 -863.

- Pierre Bourdieu, The Form of Capital, Op. Cit., P. 253.

(9) Pierre Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P. 157.

(10) Christian Fuchs, Implications of Pierre Bourdieu Works for A Theory of Social Self –Organization, Op. Cit., P. 392.

(١١) خالد عبد الفتاح، المتعلمون القرويون ... خصائصهم الاجتماعية ورؤاهم للعالم، مرجع سابق، ص ص ٧٤-٧٦.

المراجع

المراجـــع

أولاً : المعاجم والموسوعات :

١- جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م.

٢- جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثانى، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

ثانياً : الكتب العربية :

٣- أحمد زايد، تناقضات الحداثة فى مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤- أحمد زايد وآخرون، رأس المال الاجتماعى لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٥- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.

٦- أحمد زايد، البناء السياسى فى الريف المصرى .. تحليل لجماعات الصفوة القديمة والجديدة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٧- إسماعيل على سعد، نظرية القوة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

٨- الزواوى بغورة، مفهوم الخطاب فى فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٩- إلياس فرح، تطور الفكر الماركسي، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.

١٠- جلال أمين، مصر والمصريون فى عهد مبارك، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩م.

١١- حامد الهادي، الحرفيون بين التكيف مع الفقر وصناعة رأس المال، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٢- حسنين توفيق إبراهيم، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني في مصر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

١٣- سامية سعيد، من يملك مصر ... دراسة تحليلية للأصول الاجتماعية لنُخْبة الانفتاح الاقتصادى فى المجتمع المصرى ١٩٧٤م-١٩٨٠م، دار مصر المحروسة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٤-سمير نعيم، النظرية فى علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٥- صابر محمد عبد ربه، موقف الصفوة من النظام العالمي الجديد ... دراسة ميدانية، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
١٦- عبد الباسط عبد المعطى، الطبقة الوسطى المصرية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
١٧- عبد الباسط عبد المعطى، الطبقات الاجتماعية ومستقبل مصر، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٨- عبد الحليم سمعان، المال والتحليل النفسي، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٩م.
١٩- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الجيل، بيروت، دون سنة نشر.
٢٠- عبد الغنى عماد، سوسيولوجيا الثقافة ... المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.
٢١- على ليلة، النظام العربي المعاصر، دار الوافى، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٢٢- على ليلة، الفئات الاجتماعية على خريطة التنظير السوسيولوجي، فى دراسات فى علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٣- على ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.
٢٤- مايسة الجمل، النخبة السياسية فى مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م.
٢٥- محمد بن صنيتان، النخب السعودية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤م.
٢٦- محمد سعيد فرج، الصفوة المصرية والشخصية، فى علم الاجتماع والرعاية الاجتماعية، مركز البحوث والدارسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٧- محمد عاطف غيث، تاريخ النظرية فى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤م.
٢٨- محمد عبد المنعم شلبي، العولمة والطبقة الوسطى متعدية الجنسيات فى مصر، شركة نوابغ للفكر، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٢٩- محمد على محمد، أصول علم الاجتماع السياسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

٣٠- محمود جاد، الطبقة العليا فى إحدى مدن الصعيد، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٩٢م.
٣١- محمود عبد الفضيل، نواقيس الإنذار المبكر، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٢- وائل لطفي، ظاهرة الدعاة الجدد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

ثالثاً : الكتب المترجمة :

٣٣- ألفن جولدنر، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، ترجمة: على ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٤- أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية فى علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣٥- بوتومور، علم الاجتماع والنقد الاجتماعى، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.
٣٦- بوتومور، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.
٣٧- بيير بورديو، باسرون، إعادة الإنتاج ... فى سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة: ماهر تريمش، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.
٣٨- بيير بورديو، التليفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة: درويش الحلوجى، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٣٩- بيير بورديو، بؤس العالم، الجزء الثالث، ترجمة: رندة بعث، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠١م.
٤٠- بيير بورديو، بعبارة أخرى .. محاولات باتجاه سوسيولوجية انعكاسية، ترجمة: أحمد حسان، دار العالم الثالث، القاهرة، ٢٠٠١م.
٤١- بيير بورديو، العقلانية العلمية، ترجمة: عادل العوا، دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٠م.
٤٢- بيير بورديو، قواعد الفن، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
٤٣- بيير بورديو، أسئلة علم الاجتماع، ترجمة: إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، ١٩٩٥م.
٤٤- جى روشيه، علم الاجتماع الأمريكي ... دراسة لأعمال بارسونز، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

رابعاً : الدوريـات :

٤٥- أحمد زايد، نخبة ما بعد الاستعمار، مجلة الديمقراطية، العدد (٢٥)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، يناير ٢٠٠٧م.

٤٦- أحمد زايد، آفاق جديدة فى نظرية علم الاجتماع، نظرية تشكيل البنية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد (٢٣)، العددان (١، ٢)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، مايو ١٩٩٦م.

٤٧- أحمد عمر هاشم، الخطاب الدينى وظاهرة الدعاة الجدد، سلسلة قضايا، العدد (١٥)، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، مارس ٢٠٠٦م.

٤٨- أميمة أبو الخير، النخبة النسوية ... رؤية سوسيولوجية، مجلة الديمقراطية، العدد (٢٥)، مركز الدراسات والبحوث السياسية، القاهرة، يناير ٢٠٠٧م.

٤٩- جلال أمين، من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة، مجلة الهلال، يوليو ٢٠٠١م.

٥٠- حسن حنفى، أخلاقيات الطبقة الوسطى، مجلة الديمقراطية، العدد (١٦)، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥١- خالد كاظم أبو دوح، رأس المال الدينى وتنمية المجتمعات العربية، مجلة التسامح، العدد (٢٣)، عمان، صيف ٢٠٠٨م.

٥٢- سعيد المصرى، ثقافة الاستهلاك فى المجتمع المصرى، سلسلة قضايا، العدد (١٩)، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، يوليو ٢٠٠٦م.

٥٣- عزت حجازي، التحليل الكيفي في البحث الاجتماعي، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد (٤٤)، العدد (٣)، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٧م.

٥٤- على ليلة، رأس المال الدينى والقيمة المضافة للفعل الإنساني، مجلة الديمقراطية، العدد (٢٦)، مركز الدراسات والبحوث السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٥٥- على ليلة، العلاقة بين الدين والسياسة فى أجندة الإصلاح فى العالم العربي، مركز البحوث والدراسات السياسية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٥٦- مايسة الجمل، النُخْبة السياسية فى مصر، المستقبل العربي، العدد (١٦٦)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.

٥٧- محمد عبد المنعم شلبي، العولمة والبني الطبقية متعدية الجنسيات، عالم الفكر، المجلد (٣٦)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٨م.

خامساً : الرسائل الجامعية :

٥٨- أسماء فريد، الخطاب الدينى للدعاة الجدد، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥٩- أميمة أبو الخير، النخبة النسوية ... دراسة سوسيولوجية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.

٦٠- ثروت على الديب، جماعات الصفوة فى مدينة مصرية صغيرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٠م.

٦١- خالد عبد الفتاح، المتعلمون القرويون خصائصهم الاجتماعية ورؤاهم للعالم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٩٩٩م.

سادساً : المؤتمرات والندوات :

٦٢- أحمد زايد، المرأة وعالم النقود ... فضاء للعيش أم فضاء للقوة، تجمع الباحثات اللبنانيات " النساء والمال فى لبنان والعالم العربي "، بيروت، ٢٦-٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨م.

٦٣- أحمد زايد، النخب بين المجال السياسى والاجتماعي، ندوة " النخب الاجتماعية ... حالة الجزائر ومصر "، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦٤- أحمد زايد، النخب السياسية والاجتماعية .. مدخل نظري مع إشارة خاصة إلى تشكلها فى المجتمع المصرى، ندوة "النخب الاجتماعية ... حالة الجزائر ومصر"، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٦٥- خالد كاظم أبو دوح، تحولات المجال العام وعلاقتها بتبدلات رأس المال الدينى فى صعيد مصر، المؤتمر السنوي الحادي والعشرون للبحوث السياسية "تحولات المجال العام فى مصر .. تنامي الصراع ومستقبل التوافق الاجتماعى"، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٦٦- صلاح سالم زرنوقة، التحول فى جماعات الصفوة فى الريف المصرى، مؤتمر "ماذا جرى فى الريف المصرى"، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦٧- عايدة عبد الفتاح، التحولات الاجتماعية وتغير أدوار الصفوة، مؤتمر "القرية المصرية... الواقع والمستقبل"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦٨- على ليلة، قوى واتجاهات التغير الاجتماعى، المؤتمر السنوي الخامس "التغير الاجتماعى فى المجتمع المصرى خلال خمسين عاماً"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٦٩- عماد صيام، نخبة تيار الإسلام السياسى ... محددات التشكيل والصعود وتحديات البقاء، فى النخب الاجتماعية .. حالة الجزائر ومصر، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٧٠- مديحة أحمد عبادة، المرأة فى المواقع القيادية فى القطاع الحكومي، المجلس القومي للمرأة، سوهاج، ٢٠٠٨م.

سابعاً : المراجع الأجنبية :

(١) القواميس والموسوعات :

71. Edgar F. Borgatta, Rhonda J.V. Montgomery, Encyclopedia of Sociology, Vol. 4, Macmillan Reference, New York, 2000.
72. George Ritzer, Encyclopedia of Social Theory, Vol.1, Sage Publication, London, 2005.
73. John Scott, Sociology…The Key Concepts, Rutledge, London, 2006.

(٢) الكتـــب :

74. Anirudh Krishna, Active Social Capital, Columbia University Press, New York, 2002
75. Anthony Giddens, Politics, Sociology and Social Theory, Stanford University Press, Stanford, 1995.
76. Anthony Giddens, Elites in The British Class Structure, in The Sociology of Elites, John Scott (ed), Vol. 1, Edward Elgar Publishing Limited, London, 1990.
77. Brian Roberts, Micro Social Theory, Palgrave Macmillan, New York, 2006.
78. Chris Wilkes, Bourdieu's Class, In An Introduction To The Work Of Pierre Bourdieu : The Practice Of Theory, Richard Harker and Others (eds), Micmillan Press, New York, 1990.
79. Craig Calboun, Critical Social Theory, Black Well, oxford, 1995.
80. Emily Etcheverry, Social Capital : A Resource for the Human Capital Development of University Students, Faculty of Education, Canada, 1996.

81. Eric F. Piche, Religion and Social Capital in Canada, Queens University, Canada, 1999.
82. Esther Ho Sui –Chu, Parental Involvement and Student Performance: The Contribution of Economic, Cultural, and Social Capital, National Library of Canada, Canada, 1998.
83. Fukuyama, The End of Order, Center for Post – Collectivist Studies, London, 1997.
84. George Lenczowshi, Some Reflection on The Study of Elites, In Political Elites in Middle East, American Enterprise Institute for Public Policy Research Washington, 1975.
85. James Colman, Foundations of Social Theory, Belknap Press, Cambridge, 1990.
86. John A. Perry, Erma K. Perry, Contemporary Society, Harper & Row Publishers, new York, 1981.
87. Jon Lauglo, Social Capital Trumping Class and Cultural Capital, Engagement With School Among Immigrant Youth, in Stephen Baron (ed), Social Capital : Critical Perspectives, oxford university Press, oxford, 2000.
88. Lorne E Jaques, Social Capital and Community : A Case Study of a small Mexican Village, National Library of Canada, Canada, 2001.
89. Micheal Rush, Politics and Society, Rentice Hall, London, 1992.
90. Nan Lin, Social Capital : A Theory of Social Structure and Action, Cambridge University Press, Cambridge, 2001.
91. Pierre Bourdieu , Structure , Habitus , Power : Basis for Theory of Symbolic Power, in "Culture, Power, History ... A Reader in Contemporary Social Theory", Nicholas, B. Dirks and others,(eds) , Princeton University Press , Princeton 1994.
92. Pierre Bourdieu, Distinction: A Social Critique of Judgment of Taste, Translated By Richard Nice, Routledge, London, 1984.

93. Pierre Bourdieu, The Forms of Capital, In J.G Richardson (ed), Handbook of Theory and Research for The Sociology of Education, Greenwood press, New York, 1980.
94. Richard Jenkins, Pierre Bourdieu, Rutledge, London, 1992.
95. Robret D. Putnam (ed), Democracies in Flux : The Evolution of Social Capital in Contemporary Society, Oxford University Press, Oxford, 2002
96. Robert Springborg, Patterns of Association in the Egyptian Political Elite, in Political Elites in the Middle East, Edited by George Lenczowski, American Enterprise Institute for Public Policy Research, Washington, 1975
97. Rod Hague and Others, Comparative Government and Politics, Macmillan Press, London, 1992.
98. S.F.Nadel, The Concept of Social Elites, in John Scott(ed), The Sociology of Elites, Vol.1, Edward Elgar publishing, London, 1990.
99. Vincent Jeffries, H. Edword, Social Stratification, Allyn and Bacon, London, 1980.
100. William A. Amaloney and Others, Social Capital and Associational Life, in Stephen Baron and Others (eds), Social Capital : Critical Perspectives, Oxford University Press, Oxford, 2000.

(٣) الدوريات والمقالات:

101. Abul Hassan Farooqi. Islamic Social Capital and Networking. Humanomics. Vol. 22. No.2. 2006.
102. Alejandro Portes. Patricia Landolt. Social Capital : Promise and Pitfalls of Its Role in Development. Journal of Latin American Studies. Vol. 33. No. 2. May 2000.
103. Alejandro Portes. The Two Meaning of Social Capital. Sociological Forum. Vol.15. No. 1. Mar. 2000.
104. Alejandro Portes. Social Capital : Its Origins and Applications in modern Sociology. Annual Review of Sociology. Vol. 24. 1998

105. Ali Farazmond، The Elite Question : Toward a Normative Elite Theory of Organization، Administration & Society، Vol.31، No.3، July 1999.

106. Anil Rupasingha and others، The Production of Social Capital in US Counties، The Journal of Socio- Economic، Vol.35، 2006.
107. Bradford Verter، Spiritual Capital : Theorizing Religion With Bourdieu Against Bourdieu، Sociological Theory، Vol. 21، No. 2، Jun. 2003.
108. Carlo Barons، Cultural Capital، Ambition and The explanation of Inequalities in Learning Outcomes، Sociology، Vol. 40، No.6، 2006.
109. Charles Tilly ، Relational Studies of Inequality، Contemporary Sociology ، Vol . 29، No ، 6 . Nov، 2000.
110. Christian Fuchs ، Some Implications of Pierre Bourdieu Works for A Theory of Social Self –Organization ، European Journal of Social Theory ، Vol ، 6، No 4، 2003.
111. Daniel Steven and Others، Authoritarian Attitudes، Democracy and Policy Preferences among Latin American Elites، American Journal of Political Science، Vol. 50، No. 3، July 2006.
112. David H. FloRio ، Education's New political Capital ، Educational Researcher ، Vol. 11، Dec 1982.
113. David K. Hart، Saint - Simon and The Role of Elite، The Western Political Quarterly، Vol. 17، No.3، Sep. 1964.
114. Dwaine Marvick، Elite Politics : Values and Institutions، American Behavioral Scientist، Vol. 21، No.1، 1977.
115. Elizabeth B. Silva، Homologies of Social Space and Elective Affinities: Researching Cultural Capital، Sociology، Vol. 40، No. 6، 2006.
116. Elizabeth B. Silva، Gender، Home and Family in Cultural Capital Theory، The British Journal of Sociology، Vol. 56، 2005.

117. Ghada P. Barsoum، The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt، Cairo Papers in Social Science، Vol. 25، No. 3، The American University، Cairo، 2002.
118. Hein – Anton، Van Der – Heijden، Globalization، Environmental Movements، and International Political Opportunity Structures، Organization Environment، Vol. 19، No. 1، March 2006.
119. Helmut K. Anheir، and Others، Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography، American Journal of Sociology، Vol. 100، No. 4، Jan 1995.
120. James Colman، Social Capital in the Creation of Human Capital، American Journal of Sociology، Vol. 94، 1988.
121. James P. Spillane and Others، Forms of Capital and The Construction of leadership : Instructional Leadership in Urban Elementary Schools، Sociology of Education، Vol. 76، No.1، Jan 2003.
122. Jff Couiter، Conceptual Transformations، Sociological Theory، Vol. 13، No.2، Jul 1995.
123. Joel Sobal، Can We Trust Social Capital?، Journal of Economic Literature، Vol. 40، No. 1، Mar 2002.
124. K. Newton، A Critique of the Pluralist Model، Acta Sociological، No.12، 1969.
125. Kim Quaiale، Carl Klarner، The Many Faces of Elite Power، The Journal of Politics،Vol.64، No.4، Nov.2002.
126. Manohar Pawar، "Social" "Capital"، The Social Science Journal، Vol.30، 2006.
127. Margaret A. Miller، Life Chances' Exercise، Teaching Sociology، Vol.20، No.4، Oct 1992.
128. Marie Duru – Bellat، and Others، Patterns of Social Inequalities in Access to Higher Education in France and Germany، International Journal of Comparative Sociology، Vol. 49، No. 4 -5، 2008.
129. Michele Dillon، Pierre Bourdieu، Religion، and Cultural Production، Cultural Studies، Vol.1، No.4، 2001.

130. Michele Lamont، Annette Lareou، Cultural Capital : Allusions، Gaps and Glissandos in Recent Theoretical Developments، Sociological Theory، Vol. 6، No. 3، Auto 1988.
131. Mleril Egerton، Occupational Inheritance :The Role of Cultural Capital and Gender، Work Employment & Society، Vol. 11، No. 2، 1997.
132. Nan Dirk De Graaf، and Others، Parental Cultural Capital and Educational Attainment in The Netherlands، Sociology of Education، Vol. 73، No.2 Apr. 2000.
133. Nan Lin، Inequality In Social Capital، Contemporary Sociology، Vol. 29، No. 6، Nov. 2000
134. Nan Lin ، Social Networks and Status Attainment ، Annual Review of Sociology، Vol . 25، 1999 .
135. Natalia Dinello ، Forms of Capital : The Case of Russian Bankers ، International Sociology، Vol . 13 No. 3، Sep . 1998.
136. Niilo Kanppi، Elements for Structural Constructivist Theory of Politics and of European Integration، Working paper، No. 104، Center of European Studies، 2002.
137. Pamela Paxton، Social Capital and Democracy : An Interdependent Relationship، American Sociological Review، Vol. 67، No. 2، Apr. 2002.
138. Paul Dimaggio، On Pierre Bourdieu، The American Journal of Sociology، Vol.84، No. 6، May 1979.
139. Paul W. Kingston، the Unfilled Promise of Cultural Capital Theory، Sociology of Education، Vol. 74، 2001.
140. Peter Digeser، The Fourth Face of Power، The Journal of Politics، Vol. 54، No.4، Nov.1992.
141. Pierre Bourdieu، Social Space and Symbolic Power، Sociological Theory، Vol.7، No.1، Spr.1989.
142. Qyvind Ihlan، The Power of Social Capital : Adapting Bourdieu to The Study of Public Relation، Public Relation Review، Vol. 31، 2005.

143. Ricardo D. Stanton – Salazar، Sanford M. Dornbuch، Social Capital and The Reproduction of Inequality : Information Networks Among Mexican – Origin High School Students، Sociology of Education، Vol. 68، No.2، Apr. 1995.
144. Roger Finke، Kevin D. Dougherty، The Effects of Professional Training : The Social and Religious Capital Acquired in Seminaries، journal for the Scientific Study of Religion، Vol. 14، No.1، 2002.
145. Susan A. Dumais، Cultural Capital، Gender، and School Success: The Role of Habitus، Sociology of Education،Vol.75، No.1،Jan 2002.
146. Sylvia Walby، Analyzing Social Inequality in the Twenty – First Century: Globalization and Modernity Restructure Inequality، Contemporary Sociology، Vol. 29، No 06، Nov. 2000.
147. Ted Mouw، Social Capital and Finding Job: Do Contact Matter ?، American Sociological Review، Vol. 68، No. 6، Dec 2003.
148. Tim Blum، and Others، The Political Capital of Foreign Subsidiaries، Business & Society، Vol. 18، No. 5، Sep. 2007.
149. Tomasz Zarycki، Cultural Capital and the Political Role of the Intelligentsia in Polanda، Journal of Communist Studies and Transition Politics، Vol. 19 No. 4، Dec2003.
150. Vivien Lowndes، Women and Social Capital، British Journal of Political Science، Vol. 30، No. 3، Jul 2000.
151. Walter R. Allen، Angie y .Chung، "your Blues Ain't like My Blues: Race، Ethnicity and social Inequality in America، Contemporary Sociology، Vol . 29، No 6، Nov. 2000.
152. William Genieys، The Sociology of Political Elites in France : The End of an Exception ?، International Political Science Review، Vol. 26، No. 4، 2005.

(٤) مواقع الإنترنت:

153. Alexander Lellatchitch. and Others. The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective .

http://www.Wien.Ac-at/inst/ivm/local.htm

154. Kaare Svalastoga. Elite and Social System.

http://asjSagepub.Com. 22 /2/ 2007.

155. Gerry Veenstra. Social Space. Social Class and Bourdieu. Helath & Place.

www.Elsevier.com/locate/helathplace.2005.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

تقديم بقلم الدكتوره : مديحة أحمد عبادة .....

مقدمة فى منهجية الدراسة .....

الفصل الأول : النُخْب الاجتماعية على صعيد التراث النظري .....

تمهيد .....

أولاً : مفهوم النُخْبة بين إشكاليات التكوين ومحاولات التجديد .....

ثانياً : الاتجاهات الكلاسيكية فى دراسة النُخْبة .....

١- باريتو والأساس السيكولوجي لتكوين النُخْبة .....

٢- موسكا وميشيلز... القدرات التنظيمية للنُخْبة .....

أ- موسكا .....

ب- ميشيلز .....

٣- جيمس بيرنهام ... الأساس الاقتصادي للنُخْبة .....

٤- رايت ميلز ... الأساس النظامي للنُخْبة .....

ثالثاً : روبرت دال ... نظرية التعددية .....

رابعاً : الاتجاه البنائي الوظيفى .....

خامساً : النُخْب الاجتماعية ... نحو تجديد الفكر النُخْبوي .....

التعقيب .....

هوامش الفصل الأول .....

الفصل الثاني : مقولات رأس المال وأشكاله علي ضوء نظرية بورديو....

تمهيد .....

أولاً : مفهوم رأس المال... من الطرح الكلاسيكي إلى الطرح المعاصر.....

١- مفهوم رأس المال .....

٢- مفهوم رأس المال البشري .....

ثانياً : مفهوم رأس المال الاجتماعي .....

الموضوع **الصفحة**

ثالثاً : مفهوم رأس المال الثقافى .....
رابعاً : مفهوم رأس المال السياسي .....
خامساً : مفهوم رأس المال الديني .....
التعقيب : .....
هوامش الفصل الثاني : .....
الفصل الثالث : أشكال رأس المال وتشكيل النُخْب الاجتماعية .....
تمهيد .....
أولاً : رأس المال وتشكيل النُخَب الاجتماعية ... من التفاوت الاجتماعي
إلى التفاوت الرأسمالي .....
١- التفاوت فى حيازة الأفراد لرأس المال .....
٢- التفاوت بين أشكال رأس المال .....
ثانياً : تبدلات رؤوس الأموال وتكوين رأس المال الجمعي .....
١- رأس المال الاجتماعي .....
٢- رأس المال الثقافى .....
٣- رأس المال السياسي .....
٤- رأس المال الديني .....
٥- رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال .....
ثالثاً : إستراتيجيات تدوير رؤوس الأموال .....
التعقيب .....
هوامش الفصل الثالث : .....
الفصل الرابع : رأس المال الاقتصادي وتشكيل النُخْبة الاقتصادية .....
تمهيد .....
أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية .....
١- أسرة النشأة ... الأصول والخصائص .....
٢- الخصائص الاجتماعية للنُخَبة الاقتصادية .....

الموضوع **الصفحة**

٣- ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية ...

تفسيرات وتأويلات .....

ثانياً : تشكيل النُخْبة الاقتصادية .....

١- فاعلية رأس المال الاقتصادي .....

٢- تبدلات رأس المال الاقتصادي ومردوداتها .....

أ- رأس المال الثقافى .....

ب- رأس المال الاجتماعي .....

ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الاقتصادي .....

١- الوراثة .....

٢- رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الاقتصادي .....

٣- عائلية الاستثمار .....

٤- إستراتيجيات الممارسة فى المجال الاقتصادي .....

التعقيب .....

هوامش الفصل الرابع : .....

الفصل الخامس : رأس المال الثقافى وتشكيل النُخْبة الثقافية .....

تمهيد .....

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية .....

١- أسرة النشأة ... الأصول والخصائص .....

٢- أسرة النشأة ورأس المال الثقافى الموروث .....

٣- الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الثقافية .....

ثانياً : تشكيل النُخْبة الثقافية .....

١- فاعلية رأس المال الثقافى .....

٢- تبدلات رأس المال الثقافى ومردوداتها .....

أ- رأس المال الاقتصادي .....

ب- رأس المال الاجتماعي .....

الموضوع **الصفحة**

ت- رأس المال الثقافى الرمزي .....

ث- مردودات رأس المال الثقافى ...

إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.....

ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الثقافى .....

١- الوراثة .....

٢- الاستثمار الثقافى وممارساته .....

٣- رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الثقافى .....

التعقيب .....

هوامش الفصل الخامس : .....

الفصل السادس : رأس المال السياسي وتشكيل النُخْبة السياسية .....

تمهيد .....

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية .....

١- أسرة النشأة ... الأصول والخصائص .....

٢- الخصائص الاجتماعية للنُخْبة السياسية .....

ثانياً : تشكيل النُخْبة السياسية .....

١- إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال السياسي .....

أ- التعبئة والتعيين .....

ب- الفرصة السياسية .....

ت- رأس المال الاجتماعي .....

ث- الوراثة .....

٢- مردودات رأس المال السياسي ... حديث فى فاعلية

رأس المال السياسي.....

- تبدلات رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف العامة .....

- رأس المال السياسي وتحقيق الأهداف الخاصة .....

٣- النُخْبة السياسية ورأس المال الجمعي .....

الموضوع **الصفحة**

ثالثاً : نُخْبة المجال السياسي والمجتمع المدني ... وصاية أم اتصال .....
التعقيب .....
هوامش الفصل السادس : .....
الفصل السابع : رأس المال الديني وتشكيل النُخْبة الدينية.....
تمهيد.....
أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية .....
١- أسرة النشأة ... الأصول والخصائص .....
٢- أسرة النشأة ... جذور رأس المال الديني .....
٣- الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الدينية .....
ثانياً : تشكيل النُخْبة الدينية .....
١- فاعلية رأس المال الديني .....
٢- تبدلات رأس المال الديني .....
أ- رأس المال الاقتصادي .....
ب- رأس المال الاجتماعي .....
ت- مردودات رأس المال الديني ...
إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.....
ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الديني .....
١- الوراثة .....
٢- التعليم الديني .....
٣- رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الديني .....
التعقيب .....
هوامش الفصل السابع : .....
الفصل الثامن : أشكال رأس المال وتشكيل النُخْب الاجتماعية .....
تأمُلات فى نتائج الدراسة.....
تمهيد .....

الموضوع **الصفحة**

أولاً : النُخَب الاجتماعية على خلفية الأصول الطبقية .....
ثانياً : فاعلية أشكال رأس المال فى تشكيل النُخْبة .....
أ- حركة أشكال رأس المال وتبدلاتها .....
ب- تقاطعات أشكال رأس المال عبر المجالات الاجتماعية .....
ثالثاً : إستراتيجيات تحقيق النُخْبوية وإعادة إنتاجها .....
التعقيب .....
هوامش الفصل الثامن : .....